بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك

كلية الآداب

قسم التاريخ

المرأة في العصر العباسي
(٤٤٧هـ-٦٥٦هـ/١٠٥٥م-١٢٥٨م)

إعداد الطالبة

وجدان حسن العزايزة

إشراف

أ. د. يوسف حسن غوانمة

حقل التخصص: التاريخ الإسلامي

١٤٢٥هـ

٢٠٠٤/٧/٢٥م

المرأة في العصر العباسي

(٤٤٧هـ - ٦٥٦هـ / ١٠٥٥م – ١٢٥٨م)

Women in Abbaside Area

(447-656A/H - 1055-1258A.D)

إعداد الطالبة

وجدان حسن العزايزة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في

التاريخ في جامعة اليرموك، اربد، الأردن

إشراف

أ.د. يوسف حسن غوانمة

وافق عليها

أ. د. يوسف حسن درويش غوانمة ---------------------------------- مشرفاً ورئيساً

د. سليمان عبدالعبدالله الخرابشة ---------------------------------- مشرفاً مشاركاً

أ.د صالح موسى درادكة ---------------------------------- عضواً

د. صالح محمد فياض أبو دياك ---------------------------------- عضواً

تاريخ تقديم الأطروحة

تموز / /٢٠٠٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

لا يسعني وقد أنتهيت من إعداد هذه الرسالة إلاّ أن أتقدم بجزيل الشكر ووافر الإمتنان وكل مشاعر الإحترام والتقدير إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور يوسف غوانمة، الذي أشرف على رسالتي ولم يبخل عليّ بعلمه ووقته وجهده، وقد أفدت منه كثيراً، ولولا إرشاداته وتصويباته لما قدّر لهذه الرسالة أن تخرج بما خرجت عليه، فأشكره كل الشكر، فجزاه الله عني وعن العلم خير جزاء.

كما أتقدم بجزيل الشكر والإمتنان إلى الدكتور سليمان خرابشة عضو لجنة الإشراف بتفضله بقبول الإشراف على رسالتي ومناقشتي، والأستاذ الدكتور صالح درادكه والدكتور صالح أبو ديّاك، فلأساتذتي خالص الشكر والتقدير والإحترام.

كما أتقدم بشكري إلى كل صديقاتي وزميلاتي في جامعة اليرموك، وختاماً تثمن الباحثة كل الجهود المخلصة التي ساهمت في إخراج هذا العمل فلهم جميعاً كل الشكر والتقدير.

فهرس المحتويات

الملخص

المرأة في العصر العباسي (٤٤٧هـ-٦٥٦هـ/١٠٥٥م-١٢٥٨م)

إعداد الطالبة

وجدان حسن العزايزة

إشراف

أ. د. يوسف حسن غوانمة

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن أحوال وأوضاع المرأة في العراق في العصر العباسي الممتد من (٤٤٧-٦٥٦هـ/١٠٥٥م-١٢٥٨م). تمثلت في اختيار الزوج، وتقديم المهر أو الصداق لها. كما كان لها نصيب كبير في الحياة العامة والحياة اليومية، ولعبت دوراً هاماً في الحياة السياسية والإجتماعية والعلمية والدينية.

وجاءت هذه الدراسة في أربعة فصول، تحدثت في الفصل الأول عن المرأة في العصر البويهي، كتمهيد لموضوع المرأة في فترة السلاجقة في العراق. وتناول هذا الفصل المرأة في المجتمع العراقي، ودورها في الحياة العامة والخاصة واليومية البيتية. والحديث أيضاً عن جمال المرأة وأدوات الزينة، والملابس والحُلي والجواهر، وجاء الحديث عن المصاهرات السياسية بين الخلفاء العباسيين وأمراء بني بويه والهدف منها، وتناول الفصل كذلك الجواري وأثرهن في المجتمع العراقي في عصر بني بويه. وتحدثت في الفصل الثاني عن مكانة المرأة ودورها في الحياة السياسية، حيث تناول الفصل مقدمة في الأوضاع السياسية في العراق بعد دخول السلاجقة في بغداد سنة (٤٤٧هـ-١٠٥٥م)، ثم بدأت الحديث عن زوجات الخلفاء والسلاطين، وما تميزنّ به على بقية النساء والحديث عن التنافس حول ولاية العهد بين نساء السلطان ملكشاه، ومن ثم الحديث عن المصاهرات السياسية "الزواج السياسي" بين الخلفاء العباسيين وسلاطين السلاجقة، وأشرت إلى دور الجواري في الحياة السياسية. وهل كان لهن أثر كبير في ذلك. أما الفصل الثالث فقد تناول دور المرأة في الحياة

الإجتماعـية والاقتصادية، وكيف وقفت المرأة إلى جانب زوجها داخل البيت وخارجه. والحديـث عـن مشاركة المرأة في الأفراح والأحزان والاحتفالات التي كانت تقام في بغداد وغيرها من المدن العراقية في فترة الدراسة، كما تناول هذا الفصل الحديث عن وضـع المرأة في المجتمع العراقي، فضلاً عن ذكر بعض من عادات النساء الذمّيات (النصرانيات)، مقارنة بنساء المسلمين.

أمـا الفصـل الرابع، فقد تناول دور المرأة في الحياة العلمية والثقافية في فترة الدراسـة، فألقيـت الضوء على تعليم المرأة ابتداءً من الكتاتيب، حتّى اصبحت قارئة للقـرآن ومفسـرّة له، وراويـة حديث، وفقيهة، وزاهدة وعابدة في الدنيا، ومن اجل الآخـرة. وتناولـت الدراسـة مساهمات النساء الميسورات وخاصة زوجات الخلفاء والسـلاطين، فـي بـناء وتشييد المدارس والمساجد والزوايا والربط وغيرها. والقاء الضوء على بعض الشهيرات والعالمات من مختلف مدن العراق في العصر العباسي، فضلاً عن دور الجواري في الناحية العلمية والثقافية.

وبشـكل عام فقد تمتعت المرأة بمكانة مرموقة في المجتمع العراقي في العصر العباسي، على الرغم من فرض القيود في بعض الأحيان، واستطاعت أن تحرز نصيباً وافراً في الحياة الاجتماعية والسياسية والعلمية في هذه الفترة الزمنية.

قائمة الاختصارات باللغة العربية واللغة الانجليزية

العربية	
ت	تاريخ الوفاة
ج	الجزء
مج	مجلد
ق	قسم
ط	الطبعة
ع	العدد
ص	الصفحة
م	التاريخ الميلادي
هـ	التاريخ الهجري
د.م	دون مكان نشر
د. ت	دون تاريخ نشر

الاجنبية	
p	Page
N.D	No date of publication in dictated
Vol.	Volume
Ibid	Ibidem
Op. cit	Opera citato

المقدمة:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن أوضاع المرأة في العراق في العصر العباسي الأخير الممتد من ٤٤٧-٦٥٦هـ/١٠٥٥-١٢٥٨م. وقد آثرت إختيار هذا الموضوع لأهمية المرأة في المجتمع في كل العصور، ولعدم وجود دراسة متكاملة عن المرأة في هذه الفترة المتأخرة من العصر العباسي، وقبل البدء في هذه الدراسة كان لا بد من معرفة الموضوعات والإشكالات التي سوف تتناولها الباحثة. لقد أغفلت كتب التاريخ دور المرأة في الحياة العامة في العهد الإسلامي، وإن كان هناك ذكر لها، فهو لا يتعدى اشارات هنا وهناك. لذا حاولت أن أجيب عن تساؤل طالما رُدّد كثيراً هل للمرأة من مكانة في المجتمع الإسلامي؟ وهل كانت النظرة إليها نظرة تقدير واحترام؟ وهل اقتصر دور المرأة على الانجاب وتربية الأولاد؟ أم أنها دخلت معترك الحياة وساهمت مساهمة فاعلة في الحياة العامة بشكل يسجل لها؟ كل هذه التساؤلات ستجيب عليها الباحثة من خلال هذه الدراسة التي أتمنى أن تنال إعجاب وقبول كل من يقرأها أو يطلع عليها.

وأشتملت هذه الدراسة على أربعة فصول:

ففي الفصل الأول: تناولت الدراسة أوضاع المرأة في العصر العباسي ايام البويهيين الممتد من (٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٠م). وألقت الباحثة الضوء على المرأة في حياتها اليومية، في البيت وخارجه، بالإضافة إلى الملابس وأنواعها ومسمياتها، وأدوات

الزينة، من مكاحل ومرايا وجواهر... الخ. كما تحدثت عن دور المرأة في المجال السياسي، وهل كان لها تأثير في ذلك؟ بالإضافة إلى المصاهرات السياسية والهدف من هذا الزواج، وتناولت الدراسة كذلك دور المرأة في الحياة العلمية والثقافية، وابرزت أهم عالمات ومثقفات هذه الفترة.

أما الفصل الثاني: فقد جاء الحديث عن المرأة، منذ دخول السلاجقة إلى العراق وبغداد وذلك في عهد طغرلبك (٤٤٧هـ/١٠٥٥م)، ودور زوجات الخلفاء والسلاطين في الحقل السياسي، وأوضحت الدراسة ان دور زوجات الخلفاء كان بسيطاً بالمقارنة مع دور زوجات السلاطين بسبب أن السلطة العسكرية كانت بيد سلاطين السلاجقة، حتى أن تركان خاتون تمكنت من جعل ولاية العهد لابنها، اما الزواج السياسي الذي تمّ بين الخلفاء العباسيين، وسلاطين السلاجقة ابتدأ من القائم بأمر الله وانتهاءً بالمستظهر والمقتفي فقد كان له دوره في السلطة كما أن زواج بنات الوزراء العباسيين والسلاجقة كان له أثره في الحياة السياسية في الدولة، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أن بعض الجواري كان لهن دورهن في الحياة السياسية آنذاك.

أما الفصل الثالث: فقد تناولت دور المرأة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، أي الأمور المتعلقة بحياة الأسرة، ودور المرأة في هذا الجانب، وتناول الحديث عن التقاليد والعادات الخاصة بالمرأة في هذه الفترة، ومدى مشاركتها في الاحتفالات والأفراح

والاحزان، ثم الحديث عن وضع المرأة في المجتمع العراقي، وعن بعض القيود التي فرضت على المرأة، ومنع الاختلاط مع الرجال، وتناول الفصل كذلك الحديث عن المهن التي عملت بها المرأة، وكيفية حصولها على ممتلكاتها والمحافظة على أموالها الخاصة بها.

أما الفصل الرابع: فتناول دور المرأة في الحياة العلمية والثقافية، وإلقاء الضوء على كيفية تعليمها، وما هي العلوم التي برعت بها. وتناول الفصل موضوع ممارسات المرأة للأمور الدينية، والأعمال الخيرية. والمساهمات النسوية وخاصة زوجات الخلفاء والسلاطين، فقد قمنّ ببناء المدارس والمساجد والزوايا والأربطة وغيرها، من المشاريع ذات النفع العام. وتناولت الدراسة كذلك الحديث عن بعض العالمات الشهيرات في هذه الفترة، وعن الجواري الجواري، وبعض أسماء النساء الشهيرات، كما ورد ذكر الآلات التي إستخدمتها الجواري للغناء والرقص.

إن موضوع المرأة في تاريخنا الإسلامي موضوع شائك، فالمعلومات تكاد تكون نادرة، فهي متناثرة في بطون المصادر التاريخية والتراجم، ومن هنا فكان على الباحثة ان تبذل جهداً مضاعفاً كي تحصل على تلك السطور من مصادرها الأولية. وكان البحث في هذا الموضوع شيقاً خصوصاً وانني فتاة أحببت ان أطرق موضوعاً اجتماعياً ليس سهلاً كي أتعرف على بنات جنسي في العصر الإسلامي، وهل كان لهن دورهن المميز آنذاك؟ خصوصاً ونحن الآن نمر بفترة في عالمنا العربي والإسلامي، التركيز فيها على المرأة

ودورها وحقوقها إلى غير ذلك من أمور. قد جاءت هذه الدرسة تثبت بأن الإسلام لم يقف في وجه تقدم المرأة وتعلمها، فالمرأة كانت أماً بالدرجة الأولى، ثم كانت سياسية ومارست الأعمال المهنية، والتجارة، والزراعة، وشاركت الرجل في كل منحى من مناحي الحياة. كما كانت عالمة وفقيهة وأديبة وشاعرة، وهذا دليل قاطع على أن المجتمع الإسلامي كان ينظر إلى المرأة نظرة تقدير واحترام.

لا أدعي بأني أعطيت الموضوع حقه في البحث والتنقيب، فهذا ما تمكنت من الوصول إليه من خلال المصادر والمراجع المتاحة، فإن حدث تقصر فهو مني. وان كان هناك تقدير فهو لمشرفي الاستاذ الدكتور يوسف غوانمة، الذي تعهدني بالتوجيه والرعاية، فله مني كل الشكر والتقدير والامتنان.

وأخيراً فلا شك أن هناك معلومات لم استطع الوصول إليها، فأرجو المعذرة، فالكمال لله وحده والله من وراء القصد.

وقد اعتمد الباحثة في هذه الدراسة على مجموعة من مصادر التاريخ الإسلامي، منها كتب التاريخ والأدب، والتراجم والرحلات، والموسوعات وغيرها من المصادر المخطوطة والمطبوعة. كما اعتمدت الباحثة على عدة مراجع حديثة عربية وأجنبية، وسأتعرض لأهم المصادر والمراجع التي تتصل اتصالاً مباشراً بموضوع البحث والدراسة.

نظرة في بعض مصادر ومراجع البحث:

- الإنباء في تاريخ الخلفاء لمؤلفه محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني (٥٨٠هـ/١١٨٤م): وهو كتاب أرخّ فيه مؤلفه للأحداث التاريخية التي إمتدت من البعثة النبوية إلى اول خلافة المستنجد بالله (٥٦٠هـ/١١٦٤م)، وتميز هذا المصدر عن غيره من المصادر بذكر حوادث وأخبار لم نجدها في مؤلفات أخرى، وهذا أعطاه خصوصية الإنفراد في ذكر هذه الحوادث وفي تميزه بذكر بعض الأخبار الواردة عن نساء الخلفاء والسلاطين في فترة الدراسة في الفصل الثاني والرابع.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، وهو من مصنفات العلامة ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد المشهور بابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م): والمنتظم من كتب التاريخ الإسلامي العام، اتبع فيه مؤلفه أسلوب التاريخ الحولي فكان يورد أخبار كلٍّ سنة على حده. ثم يعقِّب عليها بذكر الوفيات من أعيان الدولة وكبار رجالاتها وعلمائها وفقهائها وغيرهم، شأنه في ذلك شأن مؤرخي العصر من أمثاله. وتتميز الأخبار والمعلومات الواردة في ثنايا هذا الكتاب بأنها تشمل نواحي عديدة منها السياسية، الاقتصادية، والاجتماعية والعلمية الخ...، وهو أهم المصادر التي اهتمت بالتاريخ الحضاري فيما يتصل بفترة الدراسة. وقد عمت فائدته في جميع الفصول، وخاصة بما يتعلق بالأحوال السياسية الخاصة بزوجات الخلفاء والسلاطين. وتميزّ هذا المصدر أنه كان مهتماً بالأحداث الخاصة في مدينة بغداد.

- الكامل في التاريخ، لمؤلفه فخر الدين علي بن محمد الشيباني، المعروف بإبن الأثير، (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م): وإبن الأثير من المصنفين الذين لهم باع طويل في التصنيف التاريخي، ومنهجه جمع بين التاريخ الحولي، والتاريخ الموضوعي، ومدى الإفادة منه في موضوع الدراسة، فأورد أخباراً في المجال السياسي، التي أخذنا منها ما يتلائم وفصول الدراسة. وأورد ابن الأثير روايات تفصيلية عن الحوادث التي كانت تتعرض لها الخلافة العباسية، أثناء حكم السلاجقة. كما أورد أيضاً طبيعة العلاقات التي ربطت الخلافة العباسية بالسلطنة السلجوقية، فضلاً عن ذكر وفيات أهم رجالات الدولة ونسائها. وقد استفدت من هذا المصدر في الفصل الثاني المتعلق بالحياة السياسية وخاصةً في المقدمة عن أوضاع العراق في العصر السلجوقي.
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان لمؤلفه ابو المظفر يوسف بن قزأوغلي سبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م): وقد حاز الجزء الخاص بفترة النفوذ السلجوقي في الدولة العباسية اهتمام الباحثين وعنايتهم، والجزء المتعلق منه بموضوع الدراسة قام الباحث (علي سويم) بمراجعة أصوله ومقابلة نسخه، والتعليق عليها وأصدره في كتاب بعنوان " الحوادث الخاصة بتاريخ السلاجقة (٤٤٨هـ-٤٨٠هـ/١٠٥٦-١٠٨٧م). تضمنّ كتاب مرآة الزمان كثيراً من الأخبار والحوادث السياسية المتعلقة بالدولة العباسية والسلطنة السلجوقية على حدٍّ سواء، وميزة كتاب مرآة الزمان أنه اعتمد في ذكر بعض الحوادث على مصادر معاصرة لأحداث الفترة، أهمها "عيون

التواريخ" لمحمد بن الصابئ المتوفى (٤٨٠هـ/١٠٨٧م). وأفدت ايضاً من الجزء الثامن القسم الأول حيث وردت بعض الأخبار والحوادث السياسية التي افادت البحث والدراسة. في الفصل الثاني منها المتعلق بالحياة السياسية.

وأما كتب التراجم، فقد بذلت فيها الجهد، لأهمية ما فيها من أخبار وروايات تروي سير حياة المترجمين، ولكن الاعتماد عليها يتطلب مزيداً من الحذر والدقة، ومن أهم كتب التراجم التي أفادت الدراسة:

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، للعلامة شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد ابن خلكان (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م): وهو كتاب معروف في باب التراجم حيث افرد المؤلف ترجمات، لبعض النساء الشهيرات في الدولة العباسية، بين كاتبة، وشاعرة، وزوجات خلفاء وسلاطين، وتعدّ تلك التراجم من اوسع التراجم واكثرها فائدة بين المصادر التي ترجمت لهؤلاء. ومن خلال الإطلاع على هذا السفر الكبير نجد ابن خلكان قد ساهم في ابراز صورة جيدة عن الأوضاع والأحوال بمجالاتها المختلفة التي سادت ذلك العصر عن طريق تراجم شخصيات نساء ورجال كان لهم اثر كبير في احداث ذلك الوقت. وظهرت الاستفادة من هذا المصدر في فصول الدراسة وخاصة الفصل الرابع، الذي تناول الحياة العلمية والترجمة لبعض الشهيرات في العراق وبغداد.

- الوافي بالوفيات، لمصنفه صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)، وأفاد منه البحث إفادة جيدة، في ترجمات لنساء العصر، اللواتي كان لهن الأثر الأكبر في الحوادث التاريخية وتمثلت مدى الإستفادة منه في حواشي فصول الدراسة في الفصل الرابع المتعلق بترجمة بعض الشهيرات من نساء العراق وبغداد.

اما الدراسات الحديثة، فقد أخذت منها ما يتناسب مع الأحداث في فترة الدراسة بشكل عام، خاصة أعلام النساء، للمؤلف عمر رضا كحالة، حيث عرض ترجمات لعدد من النساء لشهيرات منذ العصور الإسلامية الأولى، وأفدت منه ما ساعدني في الإطلاع على المصادر لهذه الترجمات. ويعد كتاب حسين أمين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، من المراجع التي أشارت إلى الأوضاع السياسية في العراق في فترة دخول السلاجقة إلى بغداد حتى سقوطها بيد التتار...

الفصل الأول

المرأة في العراق في العصر البويهي
(٣٣٤هـ-٤٤٧هـ/٩٤٥م-١٠٥٦م

١. المرأة في المجتمع العراقي.
   ١- دورها في الحياة العامة.
   ٢- ملابسها وزينتها.
   ٣- الجواري في المجتمع العراقي.
٢. المرأة في الحياة السياسية.
٣. المصاهرات السياسية (الزواج السياسي).
٤. دورها في الحياة العلمية والثقافية.

١. المرأة في المجتمع العراقي.

يعتبر دور المرأة العراقية في فترة الحكم البويهي[١] امتداداً لدورها في العصور الإسلامية الأولى على الرغم من قلة المعلومات حول هذه القضية وندرتها في المصادر المتاحة، إلاّ أن ذلك لا يقلل من شأن المرأة أو أهميتها فقد برزت المثقفات، والعالمات، ومن عقدن حلقات الدرس والمناظرة، التي كان يحضرها بعض العلماء والفقهاء[٢].وعلى الرغم من ضآلة دور المرأة في هذه الفترة، إلاّ أنه كان على جانب كبير من الأهمية، بدليل ما وصلت إليه من نجاح في بعض مجالات الحياة.

والاعتماد على المرأة في هذه الفترة ضروري؛ لأن المرأة أمتازت بقدرات مكنتها من التخفي والوصول إلى أماكن لا يستطيع الرجل الوصول أليها، وقد أكد ذلك بعض المؤرخين فيما قيل عن نساء أكابر الديلم[٣]"وكن يجرين مجرى الرجال في قوة الحزم والعزم وأصالة الرأي والمشاركة في التدبير"[٤]. وقد ظلت المرأة وفيّة لزوجها وامتنعت عن الزواج بعد وفاته،

---

(١) أسرة بني بويه من الديلم وبلاد جيلان، التي تقع إلى الجنوب الغربي من بحر قزوين، وتنتسب هذه الأسرة إلى بني بويه بن فناخسرو الملقب بأبي شجاع، واستطاع زعماء هذه الأسرة قبل تسلطهم على الخلافة العباسية ودخولهم بغداد سنة (٣٣٤هـ-٤٤٧هـ/٩٤٥م-١٠٥٥م). تكوين إمارة واسعة، ضمت الأهواز وكرمان والري وهمذان وأصفهان... للمزيد أنظر، الدوري، عبد العزيز، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد، ١٩٤٥، ص٢٤٨، شلبي، أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية،١٩٧٨،ج٣،ص ٤١٤-٤٢٥

(٢) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد، تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧، ج١٤. ص ٤٤٢-٤٤٤.

(٣) الديلم: منطقة جغرافية حصينة والديالمة قبيلة تنتهي إلى ضبة وجبالهم ونواحيهم كثيرة المطر ولسانهم منفرد عن الألسن الفارسية والرانية والأرمينية وكان الديلم كفاراً إلى مدة الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب، فدخلتهم العلوية فأسلم أكثرهم. الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠، ص٢٥٥. الحموي، ياقوت شهاب الدين أبو عبدالله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥، ج٢، ص٥٤٤.

(٤) أبو شجاع الروذاري، محمد بن الحسين ظهير الدين، ذيل تجارب الأمم، تحقيق: هـ.ن. أمدورز، ١٩١٦، مصر، ج ٣، ص٨٥؛ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢؛ ج١٤، ص٣٤٠، ابن الطقطقي، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص٢٨٧.

ودليل ذلك رفض السيدة زينة بنت الوزير محمد المهلبي(١). الزواج من عز الدولة(٢) بختيار البويهي، سنة (٣٥٦هـ-٣٦٧هـ/٩٦٧م-٩٧٨م). ورفض السيدة جميلة(٣)بنت ناصر الحمداني الزواج من عضد الدولة،(٤)سنة (٣٦٧هـ-٣٧٢هـ/٩٧٧م-٩٨٢م) (٥)، إلاّ أنه ظهر بعض الحالات في المجتمع البغدادي لزواج بعض الأرامل، وخير شاهد ما جاء في رسالة الخوارزمي (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٢م) التي بعث بعها إلى مسكويه بعد زواج والدته قال فيها: "وقد كنت أسأل الله تعالى ان يبارك لك في حياتها، الآن أساله أن يعمل لك بوفاتها، فان القبر أكرم صهر وأن الموت أستر ستر ولا تذهب نفسك حسرات على ما سبقك عليه الدهر وغلبك عليه الرزق(٦)" فكانت هذه المناسبة اقرب إلى العزاء منها إلى التهنئة على زواج والدته، وعلى الرغم من جواز هذا الأمر شرعياً.

---

(١) الوزير أبو محمد الحسن بني محمد بن عبدالله بن هارون الأزدي، وزير عضد الدولة، توفي سنة ٣٥٢ هـ/٩٦٣م. الذهبي، شمس الدين محمد عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب أرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤، ج١٦، ص١٩٧-١٩٨.

(٢) عز الدولة بختيار: صاحب العراق، أبو منصور بن معز الدولة أحمد بن بويه بن فناخسرو، توفي سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٢٣٢.

(٣) جميلة بنت ناصر الحمداني، من ربات بيوت الجود والكرم، حجت عام ٣٦٦هـ/٩٧٧م توفيت سنة ٣٧١ هـ/٩٨٠م. الروذاري، ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص٤٠٤، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص ٢٤٨، ابن العماد، أبو فلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الأفاق، بيروت (د.ت)، ج٣، ص٥٥.

(٤) عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو صاحب العراق وفارس ابن السلطان ركن الدولة بن بويه الديلمي توفي سنة ٣٧٢هـ،/٩٨٢م. كان أعظم سلاطين زمانه. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٢٤٩-٢٥٢.

(٥) مسكويه، أحمد بن يحيى، تجارب الأمم، تحقيق: هـ. ف، أمدروز، التمدن الصناعي، مصر، ١٩١٤،ج٢، ص٣١٣.

(٦) الخوارزمي، أبو بكر، رسائل الخوارزمي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٣٠، ص٢١٣-٢١٤. التنوخي، أبو علي المحسن القاضي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي، (دن)، ١٩٧١، ج٢ ، ص٢٦٤.

وقـــد كـــان بعـــض من الرجال يكتفي بزوجة واحدة، وعلى الرغم من هذا فإن نظرة المجـــتمع العراقي للمرأة وقتئذٍ شابها الشك والارتياب، وتمثل هذا بعزل الحرائر وحجبهنّ عن المجـــتمع، خاصة في الطرقات؛ لأن القيود الاجتماعية فرضت ذلك، حيث إن المحتسب يراقب النســـاء في جميع الاماكن(١)، كما امر عضد الدولة المحتسب أن تلزم النساء إذا دخلن المساجد والأســـواق والمحـــال بضـــرب خمورهن على وجوههن عند مقابلة الرجال(٢). وبرز الاهتمام بالمرأة في عهد أمراء بني بويه ووزرائهم، بدليل ما فعله الوزير أبو محمد المهلبي عند ضربه لغـــلام(٣) قاضي القضاة وذلك سنة (٣٥٠هـ/٩٦١م)، بسبب تعرضه لحرمة الناس(٤). كما ان عضد الدولة غض الطرف عن اغتيال أحد قادة جيشه على يد امرأة وزوجها(٥).

فضـــلاً عـــن روايـــة أخرى فحواها "أن رجلاً دخل إلى جلال الدولة البويهي(٦). سنة (٤١٦هـــ-٤٣٥هـ/١٠٢٥م-١٠٤٤م). وأخبره بأنه وجد رجلاً غريباً قد تزوج ابنته بطريقة غـــير مشروعة دون علمه، وأخذ يتوعده، ولكن رد عليه جلال الدولة قائلاً:" لا بل تُزَوُجها به وتعطـــى المهـــر من خزائننا"(٧). وتعود النظرة القاسية للمرأة في الغالب إلى شيوع التسري في

---

(١) المـــاوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢، ص٢٤٩.

(٢) الصـــاحب بـــن عـــباد، أسماعيل بن عباد، رسائل الصاحب، قدم وصحة، عبد الوهاب عزام، دار الفكر (د.ت)، ص٤٠-٤١.

(٣) محمـــد الحاجـــب غلام قاضي القضاة المكنى بأبي السائب عتبة بن عبدالله، الذي ضرب من قبل الوزير بسبب اعتدائه على حرمات الناس. مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص ١٨٤.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١٨٤.

(٥) ابـــن الجـــوزي، الأذكياء، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الأمان الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠، ص٥١.

(٦) جـــلال الدولـــة البويهي، أبو طاهر، تولى بعد وفاة أخيه مشرف الدولة، سنة ٤١٦هـــ/١٠٢٥م، طُلب إلى بغـــداد، حيث أقام في واسط، وقطعت خطبته، ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤، ج٩، ص٣٤٦-٣٤٧.

(٧) ابن الجوزي، الأذكياء، ص٥٤.

المجتمع العراقي وفي مختلف الفترات في المجتمع الإسلامي، وإلى تدخل النساء في شؤون الحكم.

ولجأت النساء إلى المنجمين والمشعوذين، حيث ظلت تعتقد بالتعاويذ والتمائم، فقد كان المشعوذون يطوفون على البيوت والمنازل[١]. وعلى الرغم من ذلك ظل المجتمع الإسلامي ذكورياً، وظل فيه الرجل قواماً على المرأة، كما جاء في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿الرِجَالُ قوامونَ على النساءِ بما فضلَ اللهُ بَعْضَهم على بعضٍ وبما أنفقوا من أموالِهم..﴾[٢]".

أ. **دورها في الحياة العامة**

وقفت المرأة في الفترة التي نحن بصدد دراستها، إلى جانب الرجل لتساعده وتخفف عنه، فقد ساهمت في فلاحة الأرض، وتربية الماشية؛ ليكون ذلك مصدر ارتزاق لها ولعائلتها. فضلاً عن أعمالها المنزلية.

فقد اضطرت بعض النساء في بعض الأحوال إلى العمل خارج المنزل، فعملت بعضهن ماشطات وخاصة للنساء المترفات[٣]. ومن الأعمال التي كانت تقوم بها الماشطة: التفليج[٤]،

---

(١) ابن الجوزي، تلبيس إبليس، علق عليه، إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص٤٠٠.

(٢) القرآن الكريم، سورة النساء، آية رقم (٣٤).

(٣) البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٤٣٦.

(٤) التفليج: اصلها الفلج، وكما يقول ابن منظور هو تباعد الأسنان ما بين الثنايا والرباعيات، وهي بأن تبرد ما بين تلك الأسنان، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣، ج٢. (مادة فلج)، ص٣٤٦.

والتزجـــيج[1]، والتنمـــيص[2]، والوشم[3].. وغيرها من وسائل الزينة. ومرد عمل المرأة خارج بيـــتها صـــعوبة الحـــياة فـــي بغـــداد وباقي المدن العراقية الأخرى، وغلاء المعيشة، وارتفاع الأسعار[4].

كذلك عملت المرأة في تدريس البنات وتثقيفهن وتعليمهن القراءة والموسيقى والآداب[5]، وعملـــت المرأة في مهن أخرى مثل غسل الموتى من النساء[6]، وحراسة الحمامات[7]، وتوليد النساء [8] "أي القابلات"، والخبز في بيوت الأغنياء[9]وغيره من الأعمال البيتية، وشاركت المرأة أيضاً في صنع الطيب والعطارة[10] وبيعه للنساء الأخريات، وعملت نائحة في بيوت الرؤوساء

---

(١) التزجيج: تدقيق الحاجبين وإطالتهما بالإثمد وهو حجر أسود يسحق قبل استعماله.

إذا ما الغانيات برزن يوماً وزججـــن الحواجب والعيونا

ابن منظور، لسان العرب، ج٢، مادة زجّ، ص ٢٨٧.

(٢) التنمـــيص: إزالـــة المرأة الشعر عن حاجبيها وإزالة الشعر المتناثر في وجهها، الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بين يعقوب، القاموس المحيط(د.ن)، (د. م)، ١٩٢٩؛ ج٢، (مادة نمص)، ص٣٢٠-٣٢١.

(٣) الوشـــم: غـــرز الإبر في البدن حتي يسيل الدم وينثر عليه الفحم فيزرّق أو يخضّر، ابن الجوزي، أحكام النساء، تحقيق: علي بن يوسف المحمدي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٠، ص، ٣٤٠-٣٤١.

(٤) شاكر، مصطفى، دولة بني العباس، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٣، ج٢، ص٧٥.

(٥) بيهم، محمد جميل، المرأة في حضارة العرب، دار النشر للجامعيين، (د.م)، ١٩٦٢، ص١٥٠.

(٦) ابـــن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، اعتناء: عبد القادر المغربي، مطبعة التوفيق، دمشق، (دن)، ص ١٠٩؛ السيد سابق، فقه السنة، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، ج١، ص ٤٣٣-٤٣٥.

(٧) المقدسي، شمس الدين ابو عبدالله، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، اعتناء: أم جي، ديغويه، ليدن، ١٩٠٦ ، ص٤٤١، وذكـــر المقدســـي أيضـــاً أن المرأة ربما شاركت في حراسة الحمامات، وقد قصد هنا المرأة المجوســـية، فضـــلاً عن أن بعض العادات في إقليم الشام مشاركة المرأة في حراسة الحمامات. المقدسي، ص٤٤١.

(٨) ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، ص١٧٢.

(٩) أن الجـــوزي، المنـــتظم، ج١٠، ص٦٩؛ فهد، محمد بدري، العامة في بغداد في القرن الخامس الهجري، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٧، ص٥٥.

(١٠)سعد، فهمي عبد الرزاق، العامة في بغداد، في القرن الثالث والرابع للهجرة، دار المنتخب العربي، بيروت، ١٩٩٣، ص١٥١.

وذوي الجـــاه[1]، وكانت تشارك أيضاً العامة في النواح مقابل مبلغ من المال وتسمى "بالنادبة"، أمـــا الجواري فقد عملن في الكتابة على الملابس والمناديل ودور الطراز، التي تعد من وسائل الزيـــنة، التي احتاجت إليها المرأة العراقية، وهذه المهنة اختصت بها الجواري دون الحرائر[2]. واختصـــت الجـــواري بالغـــناء والـــرقص مهنة يسترزقن منها[3]، وكن يسمين عند المحتسب بضاربات الطبل.

ب. ملابسها وزينتها

ســـاهمت المـــرأة البغدادية وجميع نساء المجتمع الإسلامي في تطوير الأزياء وسايرت التطور الحضاري، وحرصت دائماً على التأنق من خلال اهتمامها بلباسها ووسائل زينتها، ولعل ذلك يعود إلى فترة ما قبل الإسلام[4]. ولبست المرأة في هذا العصر ملابس للرأس والجسد منها الخمار[5] الذي جاء ذكره في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وقل للمؤمنات يَغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يُبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن... ﴾[6]".

---

(١) الأصـــفهاني، ابو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، تحقيق: لجنة إحياء التراث، دار الكتب، القاهرة،١٩٢٧ ،ج٤/ص٢٦؛ سعد، العامة في بغداد، ص ١٥٣.

(٢) الوشـــاء، محمـــد بـــن اســـحق أبو الطيب، الموشى أو الظرف والظرفاء، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٣، ص٢١٩، ٢٢٢، ٢٤٣.

(٣) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٢٤٩.

(٤) الجـــبوري، يحيى، الملابس العربية في الشعر الجاهلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٩، ص٣٢، وما بعدها.

(٥) الخمـــار: عـــبارة عن غطاء تغطي به المرأة رأسها ويلتف حول عنقها، دوزي، رينهارت، تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة والفنون العربي، ج٤، ١٩٧٨، ص٢٠٤.

(٦) القرآن الكريم، سورة النور، رقم الآية(٣١) .

وتشـــير بعض المصادر التاريخية إلى أن النساء اتخذن من خُمُرهّن رايات لقتال المشركين[١]. وكذلــك لبست المرأة العراقية النقاب والبرقع[٢]، وزينت رأسها بالعصائب[٣]، المكللة بالجواهر، وانتشـــرت هـــذه العادة في العصر العباسي انتشاراً واسعاً[٤]، أما الملابس الداخلية للمرأة فهي: الأتب[٥]، والصدار[٦]، والمجسد[٧]. ولبست السراويل حيث اشتركت في لبسه مع الرجال[٨].

ومـــن الملابس الخارجية التي لبستها المرأة، البريم[٩]، والوشاح[١٠]، كما ارتدت النساء الجلابيـــب[١١]، والأرديـــة[١٢]. وأما الألوان التي كانت تختارها النساء فقد دلت على التباين في مســـتوى المعيشة، فالنساء المترفات كن يلبسن ما مال لونه إلى الصفرة أو الزرقة أو الخضرة،

---

(١) الطـــبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢، ج٣، ص٥٩٦. ذكـــره الطبري بإسناده عن قتادة، قال:"وجمع أهل ميسان للمسلمين، فسار إليهم المغيرة بن شعبة، وخلفَ المغـــيرة الاثقـــال، فلقي العدوّ دون دجلة، فقالت أزْدة بنت الحارث بن كلدة: لو لحقنا بالمسلمين فكنّا معهم فاعتقدت لواء خمارها، واتخذ النساء من خُمرهن رايات، وخرجن يرُدْنَ المسلمين، فانتبهن إليهم، والمشركون يقاتلونهم، فلما رأي المشركون الرايات مقبلة، ظنوا أن مدداً أتى المسلمين فانكشفوا، اتبعهم المسلمون فتغلبوا فهم عدّة ". (الطبري، تاريخ الأمم، ج٣، ص ٥٩٦).

(٢) ابـــن ســـيدة، ابـــي الحسن علي بن اسماعيل، المخصص، تحقيق: لجنة احياء التراث، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د.ت) ج٤، ص٣٨، ابن منظور، لسان العرب، مادة (نقب)، ج١، ص٧٦٨.

(٣) وهـــو كل ما يعصب به الرأس، ابن منظور، لسان العرب، مادة (عصب)، ج٢، ص٧٥٢، بلال، ثناء عبد الرحمن، الملابس في العصرين القبطي والإسلامي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٢، ص٢٠٧. العبيدي، صلاح حسين، الملابس العربية والإسلامية في العصر العباسي الثاني، دار الرشيد، الجمهورية العراقية،١٩٨٠، ص٦٩.

(٤) بلال، الملابس، ص٢٧.

(٥) الأتب، ثوب تلقيه المرأة في عنقها من غير كمين ولا جيب، ابن سيدة، المخصص ، ج٤، ص٣٥.

(٦) الصدار، ثوب رأسه كالمقنعة واسفله يغشي الصدر والمنكبين وهو من الجلد، ابن سيدة، المخصص ، ج٤، ص٣٩، انظر، بلال الملابس، ص٢٥.

(٧) المجســـد: الـــثوب الذي يلي جسد المرأة وقد صُبغ بالزعفران، وهو من القماش الخفيف من خيوط القطن أو الحرير لأن المـــرأة كانـــت تســـتعمله في أوقات الخلوة والوضع، ابن سيدة، المخصص ، ج٤، ص٢٣٧، انظر: الجبوري، الملابس، ص٢٩٢-٢٩٣.

(٨) ابن الجوزي، أحكام النساء، ص٣٥.

(٩) البريم: الحبل المفتول يكون فيه لونان وكانت المرأة تشده على وسطها، دوزي، تكمله المعاجم، ج١،ص٣٨

(١٠) الوشاح: نسيج من اديم عريض تشده المرأة بين عاتقيها وكميها، ابن سيدة، المخصص ، ج٤، ص٤٥.

(١١) الجلـــباب، وجمعـــه جلابيـــب، ثـــوب واسع من الخمار ودون الرداء، تغطي المرأة ظهرها وصدرها، ابن سيدة، المخصص ، ج٤، ص ٣٩.

(١٢) الوشاء، الموشى (الظرف والظرفاء)، ص١٦٣.

مـــثل الـــلاذ[1]. وذلك بسبب ارتفاع السعر وارتفاع سعر الأصباغ آنذاك. وابتعدت الحرائر عن ارتـــداء الأحمر المورّد من الثياب؛ لأنه من لباس النساء النبطيات والإماء القيان[2]، مما عكس ذلك سلبياً على المجتمع العراقي .

امـــا نســـاء الطـــبقة المتوســـطة، فكـــن يملـــن إلى لبس الجيد من الملابس، كالحرير والإبريســـمية وهـــي ثـــياب مـــن الحرير[3]. وأما نساء الطبقة الفقيرة فقد لبسن ما يتناسب مع وضـــعهنّ الاجتماعي، فارتدينَ المدرعة وهي نوع من أنواع الجيب، ومصنوعة من الصوف، ومشـــقومة القدم، وهي درع المرأة[4]، وارتدينَ النطاق[5]. واقتضت تقاليد المجتمع العراقي أن تلـــبس المـــرأة الذمـــية خفيها أحدهما اسود والأخر ابيض، وذلك ليسهل التمييز بين المسلمات والذميات[6]. وفي الغالب تساوى الرجال والنساء في لبس الثياب السوداء في حال الحداد، حيث يـــورد ابن الجوزي أن صمصام الدولة البويهي (٣٩٧هـــ-١٠٠٧م) لبس السواد، وجلس لتقبل الـــتعازي، فـــي وفـــاة عضـــد الدولة سنة (٣٧٢هـــ/٩٧٨م)[7]، ويطلق على ثياب الحداد هذه

---

(١) اللاذ: ثياب من الحرير، ابن سيدة، المخصص ، ج٤، ص٦٨.

(٢) الوشـــاء، الظرف، والظرفاء، ص١٦٤. المنجد، صلاح الدين، الظراف والشحاذون، دار الكتاب، بيروت، ١٩٨٠، ص٦٠-٦١. العبيدي، الملابس، ص٥٢.

(٣) ابـــن ســـيدة، المخصـــص، ج٤، ص٦٩؛ وانظر؛ رشدي، صبيحة رشيد، الملابس المصرية وتطورها في العهود الإسلامية، مؤسسة المعاهد الفنية، القاهرة، ١٩٨٠، ص٢٧.

(٤) ابن سيدة، المخصص ، ج٤، ص٣٧.

(٥) النطاق: أن تأخذ المرأة ثوباً فتلبسه ثم تشد وسطها بحبل وترسله للأعلى عن الأسفل، ابن سيدة، المخصص ، ج٤، ص٣٧.

(٦) ابـــن الجـــوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، ص ١٦٤؛ العبيدي، الملابس، ص٣٣١، للمزيد انظر، ابن قيّم الجوزيـــة، شمس الدين أبو عبداش، أحكام أهل الذمة، تحقيق: صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣، ج٢، ط٣، ص٧٥٦.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص٣٠٠.

الأصـــباغ[١] المأخوذة من لحاء شجر الجوز وقشر ثمارها، واستخدمت الكحل للعيون[٢]. ومن الحلي والجواهر والمصاغ التي استخدمتها المرأة، الياقوت والألماس والزمرد والبلخش[٣].

واســتخدمت المرأة لتمشيط شعرها أمشاطاً مصنوعة من الصدف والصندل والخشب[٤]، حيــث كـــان أجــود أمشـــاط الخشـــب من التوت، لمكانته وحسن أداءه، واستعانت بالماشطة، والبلانة[٥]، وهما اللتان تقومان بجميع أعمال التجميل مثل تصفيف الشعر وإزالته. وقد تضمنت الدواويـــن الشـــعرية بعض الإشارات التي تتحدث عن اهتمام المرأة بتصفيف شعرها ومن ذلك شعر الأمير البويهي عضد الدولة في وصف فتاة فقال[٦]:

بحر الهزج

غـــــزالٌ فاتـــــن الطـــــرفِ ملــــيحُ الوجــــهِ والطـــــرَةَ
انـــا ملـــك وقـــد ملَّكـــــــتُ قلبـــي صـــاحب الوَفـــرة
وقـــــد زرفــــنَّ صـــــدغين علـــى أبهـــى مـــن الزهـــرة

وكذلك ورد في قول أحد الشعراء وهو (محمد بن سكره) [٧] الذي توفي سنة (٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)، بعض الاشارات التي تبين اهتمام النساء في تصفيف شعرهن إبان فترة حكم بني بويه:

بحر المنسرح

---

(١) زكية، العلي، التزيق والحلي، ص٩٣ وما بعدها.

(٢) ابن سيدة، المخصص ، ج٤، ص٥٧،٥٨؛ زكية، التزيق والحلي ، ص٦٧ وما بعدها.

(٣) البلخش، ياقوت وردي اللون، دوزي، ج١، ص٤١٩، الوشاء، الظرف والظرفاء، ص١٦٢، ١٦٥، للمزيد انظر، ابن سيدة، المخصص، ج٤، ص٤٠، ٥١، ٥٣.

(٤) شوقي، ضيف، العصر العباسي الأول، دا ر المعارف، مصر، ط٢، (د.ت) ، ص ٥٠.

(٥) الـــبلانة: وهي المرأة التي تقوم بتدليك البدن بالكبيس وتصبغ الشعر الأبيض، القاسمي، محمد سعيد، جمال الدين، قاموس الصناعات الشامية، تحقيق: ظافر القاسمي، دار طلاس، دمشق، ج١، ص١٠٨.

(٦) الثعالبـــي، أبـــو منصور عبد الملك، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣، ج٢، ص٢٦٣.

(٧) محمـــد بـــن عبدالله بن سكره، ويلقب بالدار قطني، نسبة إلى دار قطن وهي محلة ببغداد، وله ديوان شعر يـــزيد علـــى خمسين آلف بيت، الثعالبي، يتيمة الهر، ج٣، ص٣، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١١٥، ابن العماد، شذرات، ج٣، ص١١٧، وما بعدها.

فـــي وجـــه إنســـانةً كُلفُــت بها   أربعـــة مـــا اجتمعـــن فـــي أحـــد
الوجـــه بـــدر والأصـــداغُ غالية   والـــريقُ خمـــرٌ والـــثغرُ مـــن بردِ

وفضـــلت النساء إرسال الذوائب وتصفيف شعرهن على هيئة ضفائر، ووصف الشريف المرتضي (ت٤٣٦ هـ/١٠٤٤م)، ذلك بقوله:

بجانـــب الكـــرخ من بغداد عنَّ لنا   ظبـــيٌ يُـــنفره عـــن ولـــنا نفـــرٌ
ذؤابـــتاه نجـــادا ســـيف مقلـــته   وجَفَـــنُه جفـــنه وافـــرنده الخـــور
ضـــفيرتاه علـــى قـــتلى تضـــافرتا   ممـــن رأى شـــاعراً أودى به الشعر[١]

واستخدمت النساء "اللبان" لغسل الشعر[٢]، كما خضبن شعرهن بالحناء[٣]، أما الجواري فقـــد طـــوّرن اســـتخدام الخضـــاب برسم أشكال متعددة ، وكتابة الأشعار بالحناء على أيديهن وأرجلهـــن[٤]. وقـــد وردت إشارات عند بعض المؤرخين، أن بعض النساء الحرائر في بغداد، ابتعدن عن بعض زينة الشعر وتصفيفاته التي شاعت، خشية تعرضهنّ لسخرية واستهزاء افراد المجـــتمع؛ لأن بعـــض التصـــفيفات اختصت بها انجواري دون الحرائر[٥]، وهذا يدلل على أن بعـــض النسوة لم يلتزمن باللباس الشرعي للرأس، فالخوف من السخرية والاستهزاء يعني إنهن

---

(١) الشريف المرتضي، ديوان الشريف، تحقيق: رشيد الصقار واخرون، المؤسسة الإسلامية، بيروت، ١٩٨٧، ج١، ط٢، ص٢٦، الوشاء، الموشى، ص٧.

(٢) يورد ذلك أبي نواس ويصف شعر الجارية بنات بقوله:
أما بنات فقد أضحت مخضبة   والشعر مفترق بالبان مغسول
أبو نواس، ديوان أبو نواس، شرحه وضبطه علي العسيلي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ص ٤٣٦.

(٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٨، ص١٩١.

(٤) الأطرقجي، المرأة في أدب العصر العباسي، ص٢٤٧.

(٥) الجـــاحظ، المحاســـن والأضداد، عُني بتصحيحه: محمد أمين الخانجي، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩١٨، ص٣٥١.

كن حاسرات الرأس. ووضعهن في موضع الطبقة السفلى من المجتمع وخاصة الجواري اللواتي يثرن الفتنة وصاحبات المهن الرخيصة.

ج. الجواري في المجتمع العراقي

كثر وجود الجواري في المجتمع العراقي، ولم يكن استخدام الجواري أمرا مستحدثاً في هذه الفترة، وكانت الجواري تصل إلى العرق ومدنه إما عن طريق الأسر، أو الشراء، وتنوعت جنسيات الجواري، فكانت منها التركية، الرومية، والأرمنية، كما استجلبت الجواري من الكرج، والخطــا، والهند، والنوبة، والزنج، والحبشة، والخزر، والصين، وشمال إفريقيا(١). وكان فيهن البيضـــاء والسمراء والحمراء والبربرية والزنجية بين مولّدة في البصرة أو الكوفة أو بغداد(٢)، والصــفراء ومنهن مولدات المدينة واليمامة ذوات الألسن العذبة والجواب الحاضر(٣)، والمولدة اثمن من الجلبية، وفي الجلبيات النصرانية، واليهودية والمجوسية(٤).

وكان بعض أفراد المجتمع يفضلون الجواري على الحرائر حتى أنه كان يقال: "من أراد قلة المؤونة، وخفة النفقة، وحسن الخدمة، وارتفاع الحشمة، فعليه بالإماء دون الحرائر(٥)"، ولكن فــئة أخـــرى نظرت إليهن نظرة رديئة مقارنة بالنساء الحرائر؛ ذلك أنهن كن يتاجرن بالحب، ويجريـــن وراء المكاســب الماديـــة، فهــن يعشقن الفتى ما دام كثير المال، ثم يتركنه اذ صار

(١) ســعد، فهمـــي عـــبد الـــرزاق، العامة في بغداد في القرن الثالث والرابع الهجري، دار المنتخب العربي ، بــيروت، ١٩٨٣، ص١٣٠، زيـــدان، جرجـــي، تاريخ التمدن الإسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (دت)، ج٥، ص٢٩.

(٢) ابـــن الساعي، تاج الدين بن أنجب، نساء الخلفاء، تحقيق: مصطفى جواد، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣، ط٣، ص٨٢، السيوطي، المستظرف من أخبار الجواري، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٦، ص٣٥.

(٣) ابن الجوزي، الأذكياء، ص٩، ذم الهوى، ص٥٢٠، السيوطي، المستظرف من الجواري، ص٦٢.

(٤) زيدان، ج٥، ص٢٩.

(٥) الجـــاحظ، المحاسن والاضداد، ص٢٥٣،؛ التنوخي، الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالجي، دار صـادر، بيروت، ١٩٧٨، ج٣، ص٣١٥.

مفلساً[1]، وكانت الجواري تتخذ للمتعة[2]، وتتخذ أحياناً للغناء والطرب، وخاصة ذوات الحسن والدلال، فكان لغنائهن موقع في القلب، افضل من غناء الرجال وإن كان أجود فناً [3]، وقد يكون ذلـــك بسبب اهتمام تجار الرقيق بهن وتدريبهن على حفظ الشعر والغناء[4]، ولذلك فان المغنيات كـــثرن في مجالس الطرب في دور رجال السياسة[5] الذين كانوا يسارعون إلى شراء الجواري المغنـــيات. وكانت أسعار الجواري تتفاوت حسب الشكل والذكاء، وحسن الكلام، فكانت أسعار بعضـــهن تصـــل إلى ألف دينار[6]، والبعض الأخر إلى ألف وخمسمائة دينار، كما بلغت أسعار بعضهن ألفا وخمسائة دينار واخريات فيما لم يتعدى سعر الدينار الواحد[7].

وكان للخليفة المستكفي، "قهرمانة " تدعى علم[8]، عرفت بحسن الشيرازية، وقد اشتهرت هـــذه القهرمانة بالدهاء، حتى أنها حاولت إعادة المستكفي إلى سدة الخلافة مرة أخرى[9]،ولكنها فشـــلت فـــي ذلك، فألقي القبض عليها وعلى المستكفي سنة (٣٣٤هـــ/٩٤٥م)، وسُملت عيناها، وقطـــع لسانها بأمر من المعز البويهي[10]. ووجدت الجواري في المجتمع العراقي خلال العصر البويهي.

---

(١) فهد، العامة في بغداد، ص٢٩.

(٢) ابن الجوزي، الأذكياء، ص٩٠.

(٣) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج٤، ص٣١٦.

(٤) الراضي (فاطمة حمزة): الظرف البغدادي، مجلة المورد، دار الحرية، بغداد، مج٨، العدد الرابع، ١٩٧٩، ص٣٢٩

(٥) ابـــن الجوزي، ذم الهوى، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مراجعة محمد الغزالي، مطبعة السعادة، ١٩٨٠، ص٣٦٠.

(٦) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج٣، ص٣١٥.

(٧) التنوخي، ج٣، ص٣١٥.

(٨) مسكويه، تجارب الأمم، ج١، ص٨٦، ٣٤٩.

(٩) الهمذانـــي، محمـــد عـــبد الملك، تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: إبراهيم أبو الفضل، دار المعارف، مصر، ١٩٧٧، ص٣٤٧-٣٤٨، مسكويه، تجارب الامم، ج٢، ص٧٥.

(١٠) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص٣٥٤-٣٥٥.

فقــد أخبرنا مسكويه عن تواجد الجواري في قصور الخلفاء والملوك وانه عندما قبض عضد الدولة البويهي سنة (٣٦٩هــ/٩٧٩م)، على جميلة بنت ناصر الحمداني اعتقلها في داره مــع جواريــه[1]. وكان من ضمن جدوله اليومي سماع غناء الجواري (٣٦٧هــ/٩٧٨م)، وفي رواية أخرى ورد أن عضد الدولة شغف بإحدى جواريه، حتى أنه خلا معها خلوة طويلة؛ فأهمل أمــور دولته، ولكنه انتبه لنفسه؛ فسلّمها إلى خادمه وأمره بإغراقها، وقال في ذلك: "ما يساوي طاعــة الــنفس في شهوتها ترك الدنيا وإفساد سياستها"[2]. وفي رواية لابن الجوزي حول ذلك شغف عضد الدولة يقول: "فإذا انتبه –من النوم– صلى الظهر وخرج إلى مجلس الندماء للراحة وسماع الغناء[3]".

علـــى الرغم من قلة الشواهد التاريخية في فترة الحكم البويهي، إلاّ أن ذلك لا يعني أنهم كــانوا يتســاوون مع خلفاء بني العباس في مدى تعلقهم وحبّهم للجواري، والتغزل في جمالهن وصــفاتهن[4]، وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أنه عندما ألقى بهاء الدولة البويهي (٣٧٩-٤٠٥هــــ/٩٨٩م-١٠١٤م) القبض على الخليفة الطائع لله (٣٦٣هــ-٣٨١هــ/٩٧٣م-٩٩١م)، أمــره بــأن يكتــب كتاباً يخلع نفسه فيه، ويسلّم فيه الأمر إلى القادر، ثم طاف بهاء الدولة بدار الخلافة، وأخذ جميع ما فيها من الأموال والأواني والمصاغ والأسلحة والجواري[5]. وكذلك اكتظّ قصــر جلال الدولة البويهي سنة ٤١٦هــ-٤٣٥هــ/١٠٢٥م-١٠٤٣م بالجواري[6]. وفي سنة ٤٢٣هــ/١٠٣١م، اتفق القادة الأتراك على خلع جلال الدولة البويهي، وحجتهم في ذلك أنه زاد

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص٣٤٨-٣٤٩.
(٢) الروذاوري، تجارب الأمم، ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص٤٢.
(٣) المنتظم، ج١٤، ص٢٩٣.
(٤) فريج، سهام عبد الوهاب، الجواري في الشعر في العصر العباسي الأول، ربيعان للنشر، ١٩٨١، ص٢١ وما بعدها.
(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٢٢٣.
(٦) ابن الجوزي، المصدر السابق، ج١٤، ص٣٥٠.

خطر العيارين[1] في السلب والنهب وقالوا لبعضهم، "هذا الملك مشغول عنا وقد طمع فينا حتى العوام"[2]، وبعد التصميم على خلع جلال الدولة أزعجه الأمر جلب خواص جواريه لدار الخلافة، وخيّر الباقيات من الجواري بين أن يعتقن أو يأخذن لنفوسهن، ومنهن من اعتق، ومنهن رجعن إلى من كنَّ عنده من قبل[3].

وفي سنة (٤٤٠هـ/١٠٤٨م)، توفي السلطان أبو كاليجار[4] بن سلطان الدولة بني بهاء الدولة، بطريق كرمان[5]، ونهبت خزائنه وجواريه[6].

ولعبت تحفة قهرمانة معز الدولة دوراً مميزاً من الناحية السياسية، حيث كانت تعقد المحالفات مع أكابر رجال الدولة، وتتقاضى الأموال مقابل ذلك[7].

وقد أثر وجود الجواري في الحياة الأسرية في المجتمع العراقي، وكان من الصعب على الرجل أن يوّفق بين زوجاته الحرائر وبين الجواري المحظيات[8]، ولم يتحرج الخلفاء العباسيون

---

(١) العيارون: اول ظهور لهم كان في نهاية القرن الثاني الهجري، أثناء حصار بغداد سنة ١٩٧هـ/٨١٢م، بشكل جماعات مسلحة لها تنظيم عسكري، وقد اتبعت اسلوباً شاذاً في التعامل مع الناس، والعيارون في اللغة: جمع عيار، وهو الكثير المجيء والذهاب في الأرض؛ والمقصود بهم السراق وقطاع الطرق، بدري، العامة في بغداد، ص ٢٨٦ وما بعدها.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٢٢٣.

(٣) المصدر السابق، ج١٥، ص٢٢٤، انظر، بدري، العامة في بغداد، ص٢٧.

(٤) أبو كاليجار، صمصام الدولة. لقبه وهو شمس الله المرزبان، كنيته أبو كاليجار بن عضد الدولة توفي سنة ٣٨٨هـ/٩٩٣م، مقتولاً، الصابئ، المنتزع من كتاب التاجي، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٧، ص٣٧، انظر، دائرة المعارف الإسلامية، مج١٤، ص٣٢٨-٣٢٩.

(٥) كرمان: ولاية مشهورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس وسجستان وخراسان ومكران، وهي كثيرة النخل، والزرع والمواشي، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٥٤-٤٥٦.

(٦) الذهبي، الحافظ شمس الدين، دول الإسلام، طبعه: عبد الله الأنصاري، دار إحياء التراث الإسلامي، قطر، ١٩٨٨، ج١، ص٢٥٨.

(٧) مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص٣٢٢، انظر، خريسات، محمد عبد القادر، المراة والمشاركة السياسية في ظل الدولة الإسلامية، الجامعة الاردنية، عمان، ١٩٩٧، ص ١٩١.

(٨) المسعودي، أبو الحسن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد لحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت)، ج٤، ص٣١٨.

مـن الـزواج بالأجنبـيات من الجواري غير مبالين بأصولهن، وأصبح معظم أبناء الخلفاء من أمهــات أجنبـيات[١]. وقـد اختلفـت النظرة الاجتماعية إلى الزواج بالجواري إذ رأها بعض الأشــخاص أن السـرور كله يكون باتخاذ الجواري، كما ان الزواج بهنّ أقل تكلفة، وأقل تقييداً بالزواج من الحرائر[٢]. حتى قيل انهن كخبز السوق[٣]، ويدل ذلك على سهولة نيلهنّ.

أمـا بالنسـبة لمشـاركة الجواري الحرائر في اللباس، فقد اضفنّ عليه الابتكارات بما يتناسب وطبيعتهنّ، حيث لبست الجواري السراويل المنقوشة بالكتابات، وشاع استعمال السراويل المذّيلـة والفضفاضـة المنتفخة[٤]، وتفننت الجواري في كتابة الأشعار، التي تدور حول الحب والهجـر بالخـيوط الذهبية والفضية على ثيابهن[٥]. وكان لباس الجواري من الأقمشة الحريرية الشـفافة، واختصصن بلبس القباء[٦] دون الحرائر للمناسبات الخاصة، مثل الرقص في مجالس الطرب والغناء، وقد شارك الرجال النساء بلبس القباء[٧].

وأوردت بعـض المصادر أسماء بعض الجواري المغنيات في العراق، حيث يقول أبو حـيان التوحـيدي: "وأحصـينا نحن جماعة من الكرخ أربعمائة وستين جارية مغنية"[٨]. ومن أسـمائهنّ علـوة جارية ابن علوية في درب السلق[٩]، ونهاية جارية ابن المغني، والمغنية بلوّر

(١) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢، ط٥، ص٢٠-٢٣.
(٢) الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص٣١٨.
(٣) الجاحظ، المصدر السابق، ص٣٣٥.
(٤) بلال، الملابس في العصرين، ص٢٥.
(٥) الوشاء، الموشى، ص١٦٤-١٦٥.
(٦) دوزي، تكملة المعاجم، مراجعة جمال الخياط، ١٩٩١، ج٨، ص١٦١.
(٧) الجاحظ، البيان والتبين،ج٢، ص ١١٥؛ العبيدي، الملابس العربية، ص٣٥.
(٨) التوحـيدي، أبـو حيان، الإمتاع والمؤانسة، صححه أسين، احمد الزين، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧، ص١٨٣.
(٩) درب السلق: درب ببغداد، ينسب إليه السلقي- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٤٨.

جارية ابن اليزيدي، وقلم القضيبية" مغنية في درب القطن[1]، وسندس جارية ابن يوسف صاحب ديـوان السواد، ودرّة جارية أبي بكر الحراجّي في درب الزعفران[2]، وغيرهن[3]. وقد وصفن بحسن غنائهن[4].

واشـتهرت حُسن المغنية المعروفة بحُسن العكبراوية في مجلس الوزير المهلبي، وكان عـز الدولـة البويهي (٣٥٦هـ-٣٦٧هـ/٩٦٦م-٩٧٧م)، يمتلك في قصره جاريتين عوادتين بارعتيـن، لـتخففا مـن تعلقـه بالغلمان الأتراك[5]، ويدل ذلك على شهرة الجواري المغنيات، وإبداعهن في الضرب على العود.

فقـد وردت بعـض الإشارات أنه قد بلغ ثمن الجاريتين العوادتين آنذاك كل واحدة مائة الـف ديـنار[6]. وعلـى الرغم من موقف الفقهاء من المغنيات، إلاّ أن بعض الأمراء البويهيين ووزراءهـم كـانوا يعقدون في قصورهم مجالس للطرب والغناء، فقد عرف عن جلال الدولة البويهـي، أنـه كـان مسـرفاً في الشراب وسماع الغناء[7]، ونخلص من كل ذلك إلى انه كان للجـواري فـي العصـر البويهي أثرهن الواضح في المجتمع، وتأثيرهن على الخلفاء والملوك والشـعراء، وهو أمر لا يمكن إنكاره. ونستخلص من هذا الوصف أن المجتمع في هذا العصر

---

(١) درب القطـن: محلة ببغداد بالجانب الغربي بين الكرخ ونهر عيسى بن علي، ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٤٢٢.

(٢) درب الزعفران: يوجد بكرخ بغداد، كان يسكنه التجار وأرباب الأموال وربما يسكنه بعض الفقهاء، ياقوت، معجم، ج٢، ص٤٤٨.

(٣) التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج٢، ص١٦٥-١٧٦، انظر، سعد، العامة في بغداد، ص٢٧٥-٢٧٦.

(٤) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٢، ص٢٧١.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٢٤٨.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٢٤٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٣٠٠.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٢٤٨.

كـــان مليـــئاً بالفسق والمنكر، وهذا ما أدى إلى انصرافه عن مهامه لجريه وراء شهوات النفس وظلالها.

٢. المرأة في الحياة السياسية

تمـيزت فترة الحكم البويهي التي امتدت من (٣٣٤هــ-٤٤٧هــ/٩٤٥م-١٠٥٥م)، في سيطرة البويهيين على الخلافة العباسية، إذ لم يبقَ للخلفاء غير السيادة الاسمية، فالسلطة المطلقة أصـــبحت بـــيد البويهيين فاتخذوا الوزراء، والكتاب للخلفاء[١]، وللحديث عن المرأة ودورها في الحـــياة السياسية في هذه الفترة لا بدّ من الإشارة إلى دورها في العصر العباسي، وخاصة في العصـــر العباسي الثاني الممتد من (٢٣٢هــ-٣٣٤هــ/٨٤٦م-٩٤٥م)، فقد كانت المرأة آنذاك تتمـــتع بقسطٍ وافر من الحرية، حيث تدخلت بعض النساء في شؤون الدولة، كقبيحة أم المعتز، وأم المقتدر (شغب) وقهرمانتها[٢] ثومان.

ولم تكن نساء بني العباس وحدهن اللاتي تدخلن في شؤون الدولة، فقد ظهر دور لنساء بني بويه على الساحة السياسية وخاصة أمهات الأمراء وزوجاتهم. أما زوجات الخلفاء وأمهاتهم فقـــد تدنى دورهنّ خلال فترة حكم البويهيين؛ لأن الخلفاء انفسهم لم يكن لهم سلطة في الدولة، فضربت السكة باسم البويهيين، وخُطب لهم على المنابر[٣]. ولما دخل أبو الحسن أحمد بن بويه بغـــداد سنة (٣٣٤هــ/٦٤٩م)، أخذ البيعة للمستكفي، واشترط عليه أن يكون مطيعاً لأبي أحمد

---

(١) مســـكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص٨٤؛ ابن الأثير، ج٨، ص ٤٥٢، ٤٥٠، ٤٤٩، للمزيد: انظر، خريسات، المرأة والمشاركة السياسية، ص١٨٧.

(٢) القهرمانة: مدبرة البيت ومتولية شؤونه، وتعتبر خادمة جارية واحيانا تكون خليلة وامرأة مسؤولة عن نساء السلطان وقد استمر هذا الأمر حتى عند سلاطين بني عثمان. دوزي، تكملة المعاجم، ج٨، ص ٤٠٣.

(٣) الذهبـــي، تـــاريخ الإســـلام ووفيات المشاهير، وفيات ٣٨١هــ-٤٠٠هــ، تحقيق: عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤، ص ٢٦٦، انظر، الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص٣٥٥.

الشيرازي كاتبه، وقلّمْ القهرمانة، ولأبي عبد الله ابن أم موسى وللقاضي السائب[1]. وقد أشارت بعض المصادر التاريخية إلى تدخل بعض نساء القصر والبلاط في سياسة الدولة، ومنهن أم صمصام الدولة التي كان لها دوراً مهماً في السلطة والنفوذ، وقد اتخذت لها كاتباً[2]يدعى أبو الحسن أحمد بن محمد بن برمويه[3]، وتدخلت كذلك في سلطة ابنها في مسألة الجمع بين كاتبها ابن برمويه وأبى القاسم العلاء بن الحسن في الوزارة، فكان ابنها مجيباً ومطيعاً لرغباتها[4]. وقد أشار بعض المؤرخين "إلى أن الدولة إذا كفلها النساء فسدت أحوالها ودبّ الاختلال فيها، وإذا شاركت النساء في الأمر قل صوابه[5]" وبتأثير كاتبها أبن برمويه ومن المستولي على أمورها أبي الحسين علي بن طاهر، فقد أوغرت صدر أبنها على وزيره أبي الريان[6]، فاتهماها بالميل إلى شرف الدولة[7]، حتى تم القبض عليه سنة (٣٧٥هـ/٩٨٥م) واستوليا على الأمور[8]. وكاتبت ام صمصام الدولة شرف الدولة في نفس السنة (٣٧٥هـ/٩٨٥م)، للبقاء في فارس[9]،

(١) عتبة بن عبد الله بن موسى بن عبد الله الهمذاني، القاضي أبو السائب، تولى منصب قاضي القضاة في العراق، توفي سنة ٣٨٠٠هـ، مسكويه، ج٢، ص١٨٤. الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص٣٥٣.

(٢) الروذاوري، ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص١٠٢.

(٣) رجل قد خدم عضد الدولة، وكان حضيّاً، الروذاوري، ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص١٠٣.

(٤) الروذاوري، المصدر السابق، ج٣، ص١٠٣-١٠٤.

(٥) الروذاوري، ذيل تجارب، ج٣، ص١٠٤-١١٩.

(٦) حمد بن محمد أبو الريّان الوزير الأصبهاني، لعضد الدولة، توفي سنة (٣٧٥هـ/٩٨٥م) وقد قتل على يد أبي الفضل المظفر بن محمود الحاجب، الصفدي، صلاح الدين خليل بين ايبك الوافي بالوفيات، اعتناء: محمد الخيمري، فرانز شتايز، فيسادون، ١٩٨٤، ج٣،ص١٦١.

(٧) شرف الدولة، شيرويه ابن عضد الدولة، ابن ركن الدولة بن بويه الديلمي، سلطان بغداد وابن سلطانها تملك العراق، مرض بالاستسقاء، مات في جمادى الآخرة، سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ٣٥١هـ/٣٨٠هـ ص٦٤٤.

(٨) الروذاوري، ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص١١٩.

(٩) فارس: ولاية واسعة وإقليم فسيح أول حدودها جهة العراق أرجان ومن جهة كرمان ساحل بحر الهند وجهة السند مكران. ياقوت الحموي، ج٤، ص ٢٢٦-٢٢٧.

على أن يخضع أخوه صمصام الدولة بالطاعة والولاء وإقامة الدعوة[١]، وبذلك منعت من وقوع التصادم بين الأخوين، وهذا عمل إيجابي. وبسبب سلطتها القوية منذ استولت على الري وأُنذرت مــن قِبَل محمود ابن سبكتكين[٢] الذي بعث رسولاً يهددها بالسير أليها، ولكنها لم تتأثر بالتهديد واســتمرت في سيطرتها على الري وقد أسدى إليها بدر بن حسنوية[٣] بإرسال الرسول المُهَدِد إليه ليتولى أمره[٤].

وفــي سنة (٣٨٢هـ/٩٩٢م)، ألقت ام صمصام الدولة القبض على أبي العلاء الحسين بشــيراز، بمساعدة أبيها، فتم سجنه بمساعدة من أبي القاسم الدلجي، ولكن بعد مرور سنة على سجنه ضَعُفَ بصره، وأُفرج عنه؛ ليتلقى العلاج في دار السيدة (أم صمصام الدولة)، ثم عاد إلى الوزارة، ولكنه لم يُخلص النيّة لصمصام الدولة، فأهلك دولته بالإقطاعات، وزاد بالأعطيات مما أدى إلى اضطراب أحوال الدولة[٥]. وبعد انهزام صمصام الدولة في حربه مع بهاء الدولة سنة (٣٨٤هـــ/٩٩٤م)، عــاد إلـــى شيراز، وتمّ استقباله بأبهى الصور، فقد تلقته والدته بالمراكب والقِــباب والتجمل، وبكت بكاءً شديداً، وكان جالساً في عماريه (شبه هودج) [٦] ويرتدي اللباس

---

(١) الــروذاوري، ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص١٢٠؛ خريسات، المرأة والمشاركة السياسية، ص١٨٧-١٩١.

(٢) محمود ابن سبكتكين، أبو القاسم محمود بن ناصر الدولة أبو منصور سبكتكين، الملقب بسيف الدولة، ولقبه الإمــام القادر "يمين الدولة"و(أمين الحلة)، ولد عام ٣٦١هـ/ ت-٤٢٢هـ. ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج٥، ص١٧٥.

(٣) بــدر بن حسنويه، هو بدر بن حسنويه بن الحسين الكردي البرزكاني، أبو النجم، ناصر الدين الدولة، أمير الينور ونهاوند ويزوجر وأسد آباد وبكردستان، تولى الإمارة سنة ٣٦٩هـ بعد وفاة أبيه، كان عادلاً كثير الصــدقات والمعونــة، اغتاله بعض جنوده وهو في طريقه إلى مسرب الحسين بن حسنوية الكردي. ابن الجــوزي، المنــتظم، ج١٤، ص ٢٧٢. ابــن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٢٤٨؛ ابن كثير، البداية، ج١١، ص ٣٥٣.

(٤) الروذاوري، ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص ٢٩١.

(٥) الروذاوري، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٤٦، ٢٤٧.

(٦) البقلي، مصطلحات صبح الأعشى، ص انظر، خريسات، المرأة المشاركة، ص ١٨٩-١٩٠.

الأسود وكان قليل الطعام لا يأكل الاّ اليسير، فسكتت والدته وقالت له: "الملوك تَغْلب وتُغْلَب إذا سلمت المُهجة رجوت الأوبة". وبدل ثيابه واصلحت حاله[1].

وبعد مقتل صمصام الدولة سنة (٣٨٩هـ/٩٩٨م). قبض على والدته وسلمت لبعض قواد الديلم، فعذبها وأجبرها على إعطائه الأموال، وبعدها قام بقتلها، وبنى عليها دكه[2]. وهكذا بلغت أم صمصام الدولة مكانة عالية في دولة بني بويه، كما كانت السيدة شغب أم الخليفة المقتدر في العصر العباسي، حيث كانت على اتصال مع المسؤولين من الوزراء في الدولة[3]، ولقبت أم صمصام الدولة كذلك بالسيدة؛ لأن هذه الكنية هي التي كانت تطلق على أمهات الخلفاء[4]. أما أم أبي الحسن أحمد بن عضد الدولة، وهو الأمير الذي تم القبض عليه في سنة (٣٧٢هـ/٩٨٢م)، كانت أمه ابنة ملك الديلم[5]. وعند سماعها خبر القبض على ابنها توجهت إلى دار صمصام الدولة متنكرة، وكانت جموع من الديلم معها، وهجمت على صمصام الدولة، وأخذت ابنها بالقوة، وعندما علم صمصام الدولة بالأمر وما تخططه خافها، وأرسل رسالة جميلة فعفا عن ابنها، وقلّده أعمال فارس[6]، وقد ذكر ابن الجوزي "أن عز الدولة أدخل يده في إقطاع سبكتكين[7]. فجمع سبكتكين الأتراك الذين ببغداد ودعاهم إلى طاعته فأجابوه، وراسل ابا اسحاق ابن عز الدولة ليعلمه بالحال ويطمعه أن يعقد له الأمر، فاستشار والدته فمنعته من ذلك

---

(١) الروذاوري، ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص ٢٦٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١٤٣. الروذاوري، ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص ٣١٥،

(٣) الروذاوري، المصدر السابق، ج٣، ص٣٠٠، خريسات، المرأة والمشاركة السياسية، ص١٨٩-١٩٠.

(٤) خريسات، المرأة والمشاركة السياسية، ص ١٨٨.

(٥) ملك الديلم: هو أبو الفوارس ماناذر بن جستان بن المرزبان السلار بن أحمد بن مسافر، الروذاوري، ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص٧٩،

(٦) الروذاوري، ذيل تجارب، ج٣، ص٧٩.

(٧) سبكتكين هو الحاجب مقدم الأتراك زمن الخليفة المطيع ثم الطائع العباسيين ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥/ ١٧٥-١٧٦.

فصار اليها من بغداد، ومن الديلم وصوبوا لها محاربة سبكتكين فحاربوه فقهرهم واستولى على ما كان ببغداد لعز الدولة وذلك سنة (٣٩٣هـ/١٠٠٢م)..."[١].

٣.ولم يقتصر دور المرأة على المشاركة في الحياة السياسية فقط، بل تعدّتها إلى المشاركة في مجالات الحياة كافة.

٣. المصاهرات السياسية

ويعد الحديث عن المصاهرات السياسية في فترة حكم بني بويه حديثاً شيّقاً، فقد كانت المصاهرات ظاهرة وضعها أمراء بني بويه؛ لخدمه أغراضهم السياسية، ولدعم حكمهم الشيعي في مدن العراق على الرغم من رفض المجتمع السني لهذه الظاهرة وقد أشارت بعض المصادر التاريخية إلى تلك المصاهرات التي يطلق عليها اسم "الزواج السياسي".

والهدف من وراء ذلك الزواج إحكام السيطرة على الخلافة العباسية، أما الخلفاء، فكانوا يسعون إلى العيش بأمن وهدوء بعيداً عن سيطرة البويهيين المتجبرة[٢]، وذكرت بعض المصادر التاريخية العديدة عدداً من الزيجات، منها الزواج الذي تمّ بين الطائع وعضد الدولة سنة (٣٦٩ هـ/٩٨٠م). إذ عقد الطائع لله على ابنة عضد الدولة، وحضر الأشراف والقضاة، والشهود على صداق مبلغه مائة ألف دينار[٣]. وقيل مئتي ألف دينار[٤]. وكان الوكيل عن عضد الدولة في عقد زواج الطائع من بنت عضد الدولة هو أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي النحوي والخطيب القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي[٥].

---

(١) الروذاري، ذيل تجارب الأمم، ج٣. ص ١٥٠؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٢) علي، وفاء محمد، الزواج السياسي في عهد الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٨،ص٧٢.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص٢٧١-٢٧٢، ابن الأثير، الكامل،ج٩، ص٩، للمزيد انظر، وفاء علي، الزواج السياسي، ص٧٢-٧٣.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص٢٧١-٢٧٢.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص٢٧١-٢٧٢.

وذكر بعض المؤرخين أن عضد الدولة كان هدفه من الزواج، الذي تمّ بينه وبين الطائع، أن يُرزق ولدا، فيوليّه ولاية العهد، وتصبح الخلافة في البيت البويهي[1]. وقد توفيت بنت عضد الدولة سنة (٣٨٦هـ/٩٩٦م). وحُملت تركتها إلى بهاء الدولة وكان فيها جواهر كثيرة[2]، ويؤكد ما أشرنا إليه ما ذكره المؤرخ ابن الأثير الذي قال: "وكان غرض عضد الدولة أن تلدَ ابنته ولداً ذكـراً فيجعله ولي عهده، فتكون الخلافة في ولد لهم فيه نسب"[3]. وبعد كشف الطائع لله غرض عضد الدولة من الزواج من ابنته، منع ذلك، وقام عضد الدولة بالقبض على القاضي[4] أبي علي المحسـن بن التنوخي لاعتذاره بمرضه. للقيام بالوساطة بين عضد الدولة وبين الخليفة[5]؛ وذلك لأن القاضي كان وكيلاً عن الخليفة في الخِطْبة والعقد[6]. ونتيجة لما حدث غضب عضد الدولة علـى القاضـي التنوخي فراسله؛ وفرض عليه إقامة جبرية بأن يلزم بيته، وألا يخرج ولا يأذن لأحد بالدخول عليه، واستمر ذلك حتى وفاة عضد الدولة[7]. وقد وقعت المصاهرة بين القادر بالله الخلـيفة العباسـي وبهاء الدولة البويهي[8] سنة (٣٧٩هـ-٤٠٣هـ/٩٨٩م-١٠١٢م)، بتزويج القادر من ابنة بهاء الدولة (سكينة) سنة (٣٨٣هـ/٩٩٣م)، على صداقٍ يقدر بمائة الف دينار،

---

(١) الـروذاوري، ذيل تجارب، ج٣، ص٤١٤، النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق أحمد كمال زكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠، ج٢٣، ص٢٠٣.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص٣٨٦.

(٣) ابـن الأثـير، الكـامل، ج٨، ص٢٧١، ابـن العبري، غريغوريوس الملطي، تاريخ مختصر الدول، دار المسيرة، بيروت، (د، ت)، ص١٧١-١٧٢.

(٤) هـو المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم بن تميم التنوخي البصري، قاضٍ من الأدباء والعلمـاء الشـعراء، ومصنف بارع، ولد بالبصرة ٢٢٧هـ- ولاه الخليفة المطيع لله القضاء على مدينة (عسـكر مكرم) بالأهواز، واستقر ببغداد وتوفي فيها، سنة(ت ٣٨٤هـ) (ص ٨٨١)، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣، ص ١٥٧. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص١٥٩.

(٥) الروذاوري، ذيل تجارب، ج٣، ص٢٠.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص٢٧٢.

(٧) الرذاوري، ذيل تجارب، ج٣، ص٢١.

(٨) بهـاء الدولة، أحمد بن فناخسر، أبو نصرالله السلطان عضد الدولة، أصيب بالصرع، وتوفي بأرجان سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م، الصفدي، الوافي بالوفيات، ط٣، اعتناء: إحسان عباس، ج٧، ص٢٩١-٢٩٢.

وعقـد الزواج بحضور الولي الشريف أبو احمد الحسين بن موسى الموسوي، ولسوء الحظ فقد توفيت العروس قبل الدخول[١].

أما هدف الزواج فكان لنفس الأسباب السابقة، فقد توصل الخليفة إلى ما أراده من وراء هـذا الزواج، وظلت علاقة بهاء الدولة بالخليفة القادر علاقة طيبة حسنة[٢]. ومما تجدر الاشارة إلـيه أن الخلفاء العباسيين إبان الحكم البويهي لم يزوّجوا بناتهم من الأمراء البويهيين، فقد ذكر السـيوطي تعلـيقاً علـى ذلـك بقوله:"وهذا أمر لم ينله أحد ملوك بني بويه، مع قهرهم الخلفاء وتحكمهـم فـيهم"[٣]. واعتبرت المصاهرات بين الملوك البويهيين والأمراء المجاورين من أهم المصـاهرات السياسـية، التـي عقدهـا البويهيون في محاولة لكسب هؤلاء الأفراد ومحاولة إرضـائهم، فقـد حـاول عـزّ الدولة كسب ودّ عمران بن شاهين[٤]، صاحب البطيحة[٥]، بعقد مصـاهرة معه سنة (٣٦٦هـ/٩٧٦م)، فتزوج عزّ الدولة بختيار من ابنة عمران هذا، وبالمقابل تزوج الحسن بن عمران بابنة بختيار[٦]. حتى لا يتمرد على طاعة عز الدولة البويهي وفي سنة (٣٦٠هـ/٩٧٠م) حصلت المصاهرة بين الرؤساء الأتراك والديالمة، وغرض ذلك إزالة العداوة بينهم، فقد عقد الزواج بين المرزبان ابن عزّ الدولة وبختلين مولى معز الدولة[٧]. ومن الطبيعي

---

(١) الروذاروي، ذيل تجارب، ج٣، ص٢٥٤، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص ٣٦٦ ابن الأثير، الكامل،ج٩، ص١٠١، ، ابـن طباطبا الفخري في الآداب، ص ٢٨٠، الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ٣٨١ هـ/٤٠٠ هـ، ص١٥٤.ابن العماد، شذرات الذهب، ج٣، ص١٠٤.

(٢) وفاء علي، الزواج السياسي، ص٧٥.

(٣) السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء، تحقيق: ابراهيم أبو الفضل، دار النهضة، مصر، ١٩٧٥، ص١٦٧.

(٤) عمـران بني شاهين من أهل الجامدة، قلده أبو القاسم الجامدة والأهواز التي في البطائح، توفي سنة ٣٦٩ هـ/٩٧٩م، مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص٣٩٧.

(٥) البطـيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة، وكانت قديماً قرى متصلة وأرضاً عامرة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٠.

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص٣٦٦.

(٧) مسكويه، تحارب الأمم، ج٢، ص٢٦٦، ٢٨٢.

أن تـــتم المصـــــاهرات بيـــن أفـــراد البيت البويهي أنفسهم، نذكر من ذلك زواج مؤيد الدولة أبو منصـــور بن بويه ركن الدولة من ابنة عمه زبيدة بنت معز الدولة، وقد انفق سبعمائة ألف دينار في هذا العرس(١).

أما المصاهرات بين العامة في المجتمع العراقي فالكتب تشحُ في ذكر أخبارها، ومع ذلك تـــدل بعـــض الأخبار المتفرقة أن الاكتفاء بزوجة واحدة، كان الأكثر شيوعاً في المجتمع، وقد وصف بديع الزمان الهمذاني ت (٣٩٨هـــ/١٠٠٧م)، في مقاماته أن سعادة أحد التجار في بغداد كـــان بـــزواجه مـــن امرأة واحدة، حيث يعدد محاسنها لأحد ضيوفه بقوله:"يا مولاي لو رأيتها والخـــرقة في وسطها، وهي تدور من التنور إلى القدور، تنفثُ بفيها النار، وتدق بيديها الإبرار، ولـــو رأيت الدخان وقد غبّر ذلك الوجه الجميل، وأثر في ذلك الخد الصقيل، لرأيت منظراً تحار فيه العيون، وأنا أعشقها لأنها تعشقني، ومن سعادة المرء أن يرزق المساعدة من حليلته"(٢).

نخلـــص مما سبق أن هدف المصاهرات في العصر البويهي ببغداد سواء بين البويهيين والخلفاء العباسيين أو بين البويهيين وبين القادة الأتراك، وكانت محاولة منهم للتقريب بين السُنة والشـــيعة، أو إقامة علاقات مصاهرة بينهم وبين الأمراء المناهضين لكسب ودهم، وكان هدف المصاهرات في الحقيقة هو ترسيخ قاعدة الدولة البويهية في بغداد وتثبيت أركانها، ولا نغفل أنهم فـــي هذا العصر استخدموا المرأة وسيلة من أجل الوصول إلى أهداف بعينها. اذن يمكننا القول بأن المرأة كانت وسيلة لتحقيق غاية.

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص٢٧٣، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٤، ص١٧٩.

(٢) الهمذاني، ابو الفضل، بديع الزمان، مقامات بديع الزمان الهمذاني، بقلم: مارون عبود، ط٣، دار المعارف، مصر، ١٩٧١، ط٣، ص٧٠. (المقامة المضيرية).

٤. دور المرأة العلمي والثقافي

اتضـــح فـــي هـــذا العصر اهتمام أولي الأمر في الدولة من العلماء والأدباء والشعراء فـــيجمعونهم ويلحقونهـــم بمجالســـهم، وذلك لذيوع شهرتهم في البلدان ولاعتبار ذلك مظهراً من مظاهـــر الجاه والسلطان[١]. ولقد ظهر بعض الأمراء والوزراء البويهيين المحبين للعلم والثقافة، نذكـــر منهم معز الدولة البويهي الذي كان شاعراً، وأديباً، وكذلك عز الدولة البويهي[٢]. ولا بد ونحـــن بصدد دراسة دور المرأة في العصر العباسي من أن نشير إلى مشاركة المرأة في إحياء النهضة الأدبية في العراق وبغداد في العصر البويهي، فقد ظهرت نساء مثقفات وعالمات تثقفنّ علـــى أيـــدي العلماء والفقهاء، وكَسِبْنَ شُهرة واسعة في العلم ورواية الحديث، وقد وردت أخبار كثـــيرة في بعض المصادر التاريخية تذكر اسماء الشهيرات في هذا المجال، ومنهن أمة الواحد سُتيتة بنت القاضي المحامليّ[٣]، التي كانت تفتي مع العلماء[٤]، وكانت احفظ الناس على المذهب الشـــافعي. وقـــد تحدث الخطيب البغدادي عن "أمة السلام[٥]" ابنة القاضي أبي بكر حيث يقول: وكانـــت ذات ديانـــة وعقـــل وفضل كبير وكانت حُجة الإفتاء[٦]، وحفظت القرآن والفقه والنحو

---

(١) عســـيري، مريـــزن ســـعيد مريزن، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة، ١٩٨٧، ص٥٤-٥٥.

(٢) العسيري، المرجع السابق، ص ٥٥.

(٣) أمة الواحد بنت الحسين بن اسماعيل المحاملي، عالمة متفقهة في المذهب الشافعي توفيت سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م، ابن الجوزي، أحكام النساء، ص٤٦١، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٥، ص٢٦٤، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٩، ط ٢، اعتناء: فان اس، ص ٣٨٧، كحالة، عمر رضا، اعلام النساء، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٨٢، ج١، ص٨٩.

(٤) ابـــن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص٣٥٣، ابن العماد، شذرات الذهب، ج٣، ص٨٨، انظر: سعد، العامة في بغداد، ص٢٣٧.

(٥) أمـــة السلام بنت أحمد بن كامل البغدادية، محدثة، توفيت سنة ٣٩٠هـ/٩٩٩م، الخطيب البغدادي، تاريخ بغـــداد، ج١٤، ص٤٤٣، ابـــن كثـــير، أبو الفداء الحافظ، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الوهاب فتيح، دار الحديثة، القاهرة، ١٩٩٤، ج١١، ص٣٥٢، كحالة، أعلام النساء، ج١، ص٨٦.

(٦) ابن الجوزي، أحكام النساء، ص٤٦١.

والفرائض والعلوم[١]. ومنهن أيضا من اشتهرت برجاحة العقل مثل جمعة بنت أحمد[٢] وتكنى أم الحسين النيسابورية، وكان أبو حامد الإسفرائيني[٣] يكرمّها ويعظّمها[٤]. ومن اللواتي اتخذن الكتابة مهنة، منية الكاتبة[٥]، وعاتكة المخزومية[٦]، وكانت شاعرة فصيحة، مدحت عضد الدولة ببغداد، وروى عنها القاضي التنوخي[٧].ومن النساء العراقيات اللواتي برزن في هذه الفترة التي نحن بصدد دراستها، عابدة الجهنية[٨]، وكانت أديبة شاعرة، فصيحة وفاضلة، وروى اعنها أيضا القاضي أبو علي المحسن به علي بن محمد التنوخي[٩]. حيث قال: "أنشدتني عابدة قصيدة، كانت تهجو بها أبا جعفر بن محمد القاسم الكرخي عادلي الوزارة:

(بحر السريع)

شاورني الكرْخِيّ لما دنا الـ	ـنيروز وألسنّ له ضاحكة
فقال ما نَهْدي لِسُلْطاننا	من خير ما الكفُ له مالكة
قلت له كل الهدايا سِوّى	مشورتي ضائعة هالكة

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٤٤٣-٤٤٤، انظر، سعد، العامة في بغداد، ص٢٣٧-٢٣٨.

(٢) جمعة بنت أحمد بن عبيد المحمية، محدثة من نيسابور، قدمت بغداد سنة ٣٩٦هـ/١٠٠٥م، كحالة، أعلام النساء، ج١، ص٢٠٥.

(٣) أبو حامد أحمد بن محمد الأمام ابن أبي طاهر الاسفرائيني، مولده سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م، وتوفي سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م، الصفدي، فوات الوفيات، اعتناء: إحسان عباس، ط٣، ج٧، ١٩٩١، ص٣٥٨.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ص٤٤٤.

(٥) منية الكاتبة، محدثة حدثت عن أبي الطيب محمد بن اسحق بن يحيى الوشاء، وروى عنها عبيد الله بن الحسين الأنباري، كحالة، أعلام النساء، ج٥، ط٥، ١٩٨٤، ص١١٧.

(٦) عاتكة بنت محمد بن القاسم، شاعرة، روى عنها القاضي التنوخي، كحالة، أعلام، ج٣، ص٢١٠،

(٧) القاضي التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٥، ص٢٦٩.

(٨) عابدة الجهنية، بنت محمد، امرأة عم أبي محمد المهلبي الوزير، التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٥، ص ٢٦٧، ج٢، ص٢٢٣، كحالة، أعلام النساء، ج٣، ط٥، ١٩٨٤، ص ١٩٨-١٩٩.

(٩) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٥، ص ٢٦٧.

ومــن النساء الفقيهات الواعظات، الواعظة ميمونة[1] بنت ساقوله، وهي حافظة للقرآن الكريم، وقد ذكرت يوماً في وعظها أن ثوبها الذي عليها- وأشارت إليه- له في صحبتها تلبسه مــنذ سـبع وأربعين سنة، وما تغير، وأنه كان من غزل أمها[2]. واشتهرت منهن مُضفة ومُخّة وزبِـدة أخــوات بشر بن الحارث وكن عالمات زاهدات[3]، وهن من العابدات في بغداد، ودأبت كثيرات منهن على التنقل بين بغداد ودمشق والقاهرة شأن فقهاء ذلك العصر؛ للسماع على كبار العلمــاء والمحدثين، وحرصن دائماً على الذهاب إلى المساجد والجوامع منفصلات في الجلوس عن الرجال؛ للاستماع إلى الدروس الدينية أو للوعظ والتعليم[4].

---

(١) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٥، ص٢٦٧.

(٢) مــيمونة بنت ساقولة، من ربات الوعظ والإرشاد، توفيت سنة (٣٩٣هـ/١٠٠٢م)، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص ٤٢؛ كحالة، أعلام النساء، ج٥، ط٥، ١٩٨٤، ص١٤٠.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٤٤٢-٤٤٣، انظر، سعد، العامة في بغداد، ص ٢٣٨.

(٤) ابن الجوزي، صفة الصفوة، دار المعرفة، بيروت، (د، ت) ، ج٢، ص٥٢٤-٥٢٦.

الفصل الثاني

المرأة والحياة السياسية

(٤٤٧هـ-٦٥٦هـ/١٠٥٥م-١٢٥٨م)

١. مقدمة في الأوضاع السياسية في العراق في العصر السلجوقي
٢. زوجات الخلفاء
٣. زوجات السلاطين
٤. الصراع والتنافس على ولاية العهد
٥. الزواج السياسي في العصر السلجوقي
   أ. زواج الخلفاء والسلاطين
   ب. زواج بنات الوزراء
٦. أثر الجواري في الحياة السياسية

١. مقدمة في الأوضاع السياسية في العراق في العصر السلجوقي

لا بـد لنا ونحن بصدد دراسة أوضاع المرأة في العراق، في هذه الفترة، من أن نوضح الأوضاع السياسية في فترة وجود السلاجقة، حيث ظهر الدور السياسي الفعال للجند الأتراك في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي. فبعد أن كانوا في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي جزءاً من الجيش الرسمي للخلافة العباسية، أصبحوا يشكلون في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي قوة عسكرية مستقلة تأتمر بإمرة سلجوقية، وتوجهت هذه القوة إلى مقر الخلافة وتسلمت مقاليد السلطة، عندئذ صار للسلاجقة اثر في مجالات الحياة المختلفة في العراق(١).

ويرجع السلاجقة في أصولهم إلى مجموعة من القبائل التركية عرفت باسم الغز، دفعتهم الظروف الاقتصادية والسياسية، في أواسط آسيا وبلاد المشرق، للتنقل بحثاً عن أسباب العيش الرغيد(٢)، وأطلق على هذه القبائل اسم السلاجقة نسبة إلى رئيسها سلجوق بن دقاق(٣)، ويبدو أن سلجوق تمكن من تكوين كيان لقبيلته بفضل قوة شخصيته التي امتاز بها.

واعتبر العصر السلجوقي عصراً ذا أهمية في المشرق الإسلامي؛ لأن السلاجقة لعبوا دوراً مهماً في حماية الدين الإسلامي، ويعود الفضل لهم في توحيد المشرق الإسلامي، وتحقيق ما عجز عنه المسلمون من السيطرة على بلاد الأناضول، والتمهيد للسيطرة على بيزنطة وآسيا

---

(١) كاهن، كلود، تاريخ العرب الشعوب الإسلامية، ترجمة: بدر الدين القاسم، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٧٧، ص ٢٣٧.

(٢) حسنين، عبد النعيم محمد، سلاجقة إيران والعراق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠، ص ١.

(٣) سلجوق: ورد اسم دقاق على صور مختلفة، ففي إخبار الدول السلجوقية، ذكر الحسيني، أنه "يقاق" وفي بقية المصادر "دقان" ودقان أو ديقان وهي كلمة دقاق تركية معناها القوس من الحديد، وقد وصف بالشهادة وحسن الرأي والتدبير، الحسيني، صدر الدين بن علي، أخبار الدولة السلجوقية، صححه: فهد إقبال، منشورات دار الأفق الجديدة، بيروت، ١٩٨٤، ص ١؛ انظر: Ric, Tamaree, Tab at: the selijuks in Asia Minor, londons, 1961, p 26؛ أمين، حسين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، منشورات المكتبة الأهلية، بغداد، ١٩٦٥، ص ٥٤٥.

الصـــغرى[١]. وكانـــت بغداد قبل دخول السلاجقة قد خضعت لحكم الأمراء البويهيين منذ سنة (٣٣٤هـــ-٤٤٧هـ/٩٤٦م-١٠٥٥م(، وقد سلب هؤلاء الخلفاء العباسيين كل سلطاتهم السياسية، ولــم يبقَ لهم إلاّ الجانب الديني الاعتقادي[٢]. وكانت سنة (٤٤٧هــ/١٠٥٥م) السنة الفاصلة في تــاريخ دولـــة بني بويه، حيث اعدّ طغرلبك السلجوقي[٣] العدة من أجل القضاء على دولة بني بويـــه، فأخبر قادته بأعداد الجنود والتهيؤ لدخول العراق، وأعلن أنه يريد التوجه إلى مكة بقصد الحـــج، وإصلاح طريق مكة، والمسير إلى الشام ومصر، لعزل المستنصر العلوي صاحبها[٤]، وقـــد ذكرت بعض المصادر التاريخية أن أحد قادة الديلم يدعى "فولاذ" قد قام بحركة سنة (٤٤٧ هـــــ/١٠٥٥م)، حيث أستولى على شيراز، وقطع الخطبة للسلطان طغرلبك، وخطب فيها للملك الرحيم أحد أمراء بني بويه[٥].

ويمكـــن أن تكـــون هذه الحركة مؤشراً لقيام طغرلبك السلجوقي للتخلص من أمراء بني بويـــه في العراق وأقليم فارس، وتعتبر تمرداً من جانب بني يويه، ويمكن أن يكون خطراً على السلاجقة في إيران، فأراد إزالتهم من طريقه، مغتنماً سوء الأوضاع وتردي الأحوال في أواخر عصر بني بويه، أو أن الرسول الذي أرسله الخليفة القائم بأمر الله، إلى السلاجقة لإنقاذ العراق من حالته البائسة[٦]. وفي محرم سنة (٤٤٧هــ/١٠٥٥م)، اتجهت الجيوش بقيادة طغرلبك لدخول

---

(١) زكار، سهيل، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، دار القلم، بيروت، ١٩٧٢، ص ١٧.

(٢) البيرونـــي، أبـــو الريحان، محمد بن احمد، الآثار الباقية عن القرون الخالية، اعتناء: س، ادوارد سخاء، ١٩٢٣، ص ١٣٢؛ انظر، حسنين، سلاجقة ايران والعراق، ص ٣٢.

(٣) زيـــن الديـــن أبـــو طالب، محمد بن طغرل بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق ٤٢٩هــ/٤٥٥هـــ وهو من ســـلاطين السلاجقة العظام، ومؤسسي الدول السلجوقية دخل العراق سنة ٤٤٧هــ/١٠٥٥م، توفي ٤٥٥ هــــ/١٠٦٩م. البنداري، أبو الفتح علي بن محمد بن حامد، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت، ص ٢٨، ٢٩؛ إبن العماد، شذرات الذهب، ج٣، ص ٤٦.

(٤) إبن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٦٠٩؛ عبد النعيم حسنين، سلاجقة ايران والعراق، ص ٣٩.

(٥) إبن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٦٠٥.

(٦) إبن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٦١٢.

العراق عن طريق حلوان[1] وانتشر خبر دخول السلاجقة بين الناس، فوقع الخوف كالصاعقة في قلـوب البويهين، حيث حاول الملك الرحيم آخر حكام بني بويه الهروب مع البساسيري،[2] وقد كاتـب الخليفة القائم بأمر الله الملك الرحيم الذي كان في واسط[3]؛ ليعلمه أن البساسيري قد خلع الطاعة. وكاتب الأعداء المصريين، فقال الملك الرحيم ومن معه: "نحن لأوامر الديوان متبعون وعنه منفصلون"[4]. أي المقصود البساسيري.

وقـد جـرى اتفـاق بين الملك الرحيم والخليفة القائم بأمر الله على وجوب التعاون مع طغرلـبك، فأعلن الخليفة القائم أن يذكر اسم طغرلبك في الخطب، وأطلق عليه لقب ركن الدولة أبـو طالب طغرلبك محمد ابن ميكائيل يمين امير المؤمنين، على أن يذكر بعد اسمه اسم الملك الرحـيم أبـو نصر بن أبى كاليجار سلطان الدولة البويهي[5]. وبهذا رضيت الدولة البويهية أن تكـون تابعـة للسلاجقة، آملة أن يكون لها نوع من البقاء، ووصل طغرل بعد ذلك وجنوده إلى

---

(١) حلوان: وهو الطريق الذي يطرقه التجار من العراق إلى بلاد فارس وبالعكس منذ أقدم العصور إلى الآن، ويـبدو أن هذا الطريق الذي استخدم لغزو ايران أو غزو العراق، هو الطريق السهل الذي يوصل بشكل سريع إلى قلب إيران وقلب العراق، أمين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، في العصر السلجوقي ، ص ٥٨-٥٩.

(٢) البساسيري: أبو الحارث، ارسلان عبد الله الملقب بالمظفر، مقدم الأتراك ببغداد، ينسب إلى مدينة فسا في فـارس، وكـان في بداية الأمر مملوكاً للبويهيين، وأصبح من أبرز قادة جيوشهم، شارك الحكم العباسي وخطـب للفاطميين أصحاب المذهب الشيعي، الراوندي، محمد بن علي بن سليمان، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة إبراهيم الشواربي، عبد النعيم حسين، فؤاد الصياد، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٠، ص ١٦٩. إبن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص ١٩٢، أبو الفدا عماد الدين اسماعيل، تـاريخ ابـو الفـداء المسمى (المختصر في اخبار البشر)، علق عليه محمود أيوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، (دت)، ص ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٨، ص ١٣٣،١٣٢.

(٣) واسـط: ذكرها الحموي وهي مكان لعدة مواقع، وهي مدينة عراقية متوسطة بين البصرة والكوفة. معجم البلدان، ج٥، ص ٣٤٧-٣٤٨.

(٤) إبن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٦٠٩.

(٥) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٦٩؛ إبن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٦١٠.

١٠٥٨[١]، وسلّم الخليفة العباسي بالأمر الواقع، سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، واسقط اسم الملك الرحيم من الخطبة[٢].

ونتيجة لدخول الجيش السلجوقي بغداد، اصطدم العامة ببعض جيش طغرلبك، فوقع من جراء ذلك قتلى وجرحى، وقد نهبت الأسواق والبيوت وأحدثوا جرائم كثيرة، حتى استاء الخليفة القائم بأمر الله، حيث أرسل الخليفة إلى السلطان ينكر ما جرى من قبض الملك الرحيم وأصحابه ونهب بغداد، وقال: " انما اخترتك واستدعيتك اعتقاداً مني أن تعظيم الأوامر الشريفة يزداد، وحُرمة الحريم تُعظم، وأرى الأمر بالضد"[٣].

وقد وقعت في بغداد حوادث واضطرابات، وحصل غلاء كبير في الأسعار، كما حدثت فتنة الفقهاء والشافعية والحنابلة[٤]. فقد كان موقف العامة يختلف عن موقف الخليفة ورجال الدولة الرسميين. وفي سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦ أراد السلاجقة توثيق صلتهم بالخلافة العباسية، وتحقق لهم ذلك بزواج الخليفة القائم بأمر الله من أرسلان خاتون خديجة ابنة داود السلطان طغرلبك[٥].

وتجلت الانتصارات التي حازها طغرلبك ونجاحه في توطيد علاقات المصاهرة مع البيت العباسي، أخذت الأنباء تتوالى عن حركات حربية واسعة قام بها القائد التركي البساسيري[٦]، وعند دخول طغرلبك إلى بغداد كان البساسيري في واسط، وسار إلى الحلة حيث

---

(١) إبن الاثير، الكامل، ج٩، ص ٦١٢، حسنين، سلاجقة ايران والعراق، ص ٣٩.

(٢) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٠.

(٣) إبن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٦١٣.

(٤) إبن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٦١٤؛ أبو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج١، ص ٥٢٨.

(٥) البنداري، تاريخ مختصر دولة ال سلجوق، ص ١٠-١١؛ إبن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٦١٧. أبو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج١، ص ٥٣٠. حسنين، سلاجقة ايران والعراق، ص ٤٠.

(٦) إبن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص ١٧٢، إبن تغري بردي، النجوم الماهرة، ج٢، ص ٣.

كـــان نور الدولة دبيس بن مزيد[١]، وتظهر شخصية شيعية، كان لها اثر كبير في تنظيم وتدبير حركة البساسيري، هي شخصية المؤيد الدين هبة الله[٢].

ودعـــا هـــبة الله إلى مساندة البساسيري الذي خرج على طاعة الخليفة العباسي وبعث المؤيـــد إلـــى البساسيري ليطلب العمل للخليفة الفاطمي[٣]. وكاتب أيضاً دبيس بن مزيد الأسدي صاحب الحلة وغيره[٤].

وفي سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) فقد خرج إبراهيم ينال أخو طغرلبك من أمه من الموصل إلى بلاد الجبل[٥]. واعتقد طغرلبك أن خروجه هذا كان من باب العصيان له، فأرسل إليه، حتى رجـــع إلى بغداد، فاذا تردّد السؤال ماهية الذي فعله إبراهيم أو سبب فعله هذا، فهناك إشارات ترددت وفحواها أن البساسيري كان قد راسل إبراهيم ينال وطلب منه المعونة، ووعده بأن يملك البلاد باسم الفاطمية[٦]، وبقيت الموصل بدون حاكم، دخلها عساكر السلاجقة، واغتنم البساسيري وقـــريش بن بدران، ولما وصل الموصل كان البساسيري وقريش قد تركاها إلى نصيبين، فسار طغرلـــبك لتتـــبع آثـــارهم، وفي هذه القرية فارقه أخوه إبراهيم ينال إلى همذان، وتذكر بعض المصـــادر التاريخية: "أن المصريين قد كاتبوه والبساسيري قد استماله وأطمعه بالسلطة[٧]. بعد

---

(١) دبـــيس بـــن مزيد: هو دبيس بن علي بن مزيد بن الاسدي، صاحب الحلة أمير العرب، والعراق، الملقب بنور الدولة، مات سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٥م)، الذهبي، سير أعلام، ج١٨، ص ٥٥٧.

(٢) المؤيـــد هـــبة الله: هو موسى بن عمران، ولد بالشيراز، حوالي سنة (٣٢٠هـ/٩٤١م) تدرج في مراتب الدعوة حتى صار حجة بلاد فارس عرف بنشاطه في الدعوة لمذهبه إلى درجة ادت إلى نفيه من شيراز ســنة (٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، حسين، محمد كامل، ديوان المؤيد، داعي الدعاة، تحقيق: محمد كامل حسين، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٤٩، ص ٣٤.

(٣) حسين، ديوان مؤيد الدين، ص ٤٠.

(٤) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٧٥. إبن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٦٢٦.

(٥) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ٣٠-٣١؛ إبن الاثير، الكامل، ج٩، ص ٦٣٩.

(٦) سيرة المؤيد، ج٩، ص ٦٤٠، إبن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ٣٣.

(٧) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٧١.

ذلــك صــمم طغرلبك أن ينزل بأخيه ضربة مؤلمة شديدة قبل أن يستقر في همذان، فسار إلى همذان تاركاً العراق والموصل وراءه، وتمكن من إبراهيم وقتله[1].

تمكــن طغرلبك من تنفيذ خطته في السيطرة على ايران والعراق، واستولى على مدينة الري عاصمة اقليم خراسان، واتخذها عاصمة له، ومقراً لحكومته[2]، وأصبح السلطان طغرلبك ســيد الموقــف فــي بغداد، بعد أن تخلص من العنصر البويهي، وقضى على فتنة البساسيري، وبعدها حصل تقارب بين السلطان والخليفة، وذكر اسم السلطان في الخطبة وضرب اسمه على الــنقود[3]، ولم يتخذ السلطان العديد من القرارات إلاّ بعد مشاورة الخليفة، نذكر من ذلك قضية اعــتداء الجند السلجوقي على سكان بغداد السلاجقة، فقد تدخل الخليفة لدى السلطان؛ لإزالة تلك الأضــرار، وإطلاق السجناء من سجونهم[4]، لكن هذه العلاقة لم تدم طويلاً، ولم تكن على خط واحــد خــلال فترة حكم السلاجقة للعراق، كما قسم السلاجقة العراق إلى أقاليم لكل أقليم حاكم سلجوقي يتولاه ويطلقون عليه اسم "ملك"، ويخضعون لسيطرة السلطان[5].

فــي حين كان طغرلبك منشغلاً في قتال أخيه إبراهيم ينال في همذان، اغتنم البساسيري وأعوانه الفرصة، وحاصروا الخليفة في دار الخلافة وأسروه، وقتلوا رئيس الرؤوساء، وأرسلوا الخليفة إلى مدينة "حديثة عانة"، وأودعوه لدى شخص عربي، وهو ابن عم قريش بن بدران[6]، مهــارش العقيلــي هو أحد معاوني البساسيري، كما انضم إليه قرواش بن المقلد حاكم الموصل

---

(١) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٦٩؛ إبن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٣,٤.
(٢) إبن الأثير، الكامل، ج١، ص ٦٠٥؛عبد النعيم حسنين، سلاجقة ايران والعراق، ص ٤٠-٤١.
(٣) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٦٩؛ إبن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٦١٠.
(٤) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣؛ إبن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٦٢٦.
(٥) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٠٤.
(٦) الراوندي، المصدر نفسه، ص ١٧٢؛ إبن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٦٤٣.

وهـو ابـن مـزيد، وأصبحت بغداد بقبضة البساسيري، وأعلن الخطبة للمستنصر الفاطمي[1]، واستولى على واسط والبصرة، وحاول السيطرة على الأهواز، لكنه وجد السلطان طغرلبك يمد صاحب الأهواز بالعساكر فصالحه[2].

وبعـد ذلـك وصلت إلى السلطان طغرلبك رسالة من "حديثة عانه"، مكان اسر الخليفة القـائم وفيها يستنجد الخليفة به السلطان طغرلبك. ومن ثم استعد طغرلبك للنجدة والتخلص من شر البساسيري، فسار بجيش كبير وبعد ذلك اعيد الخليفة إلى بغداد[3]، وذلك في سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م)[4].

وبذلـك أصبح طغرلبك هو المؤسس الحقيقي لدولة السلاجقة، ولقبه الخليفة بلقب "ركن الدين"[5]، وتخلصت الخلافة العباسية من الفتنة، وعادت الخطبة للخليفة القائم بأمر الله، وفي سنة (٤٥١هـ/١٠٥٩م) توجه السلطان إلى واسط، وفي سنة (٤٥٢هـ/١٠٦١م) توجه إلى بغداد، واجـتمع بالخليفة وتناول الطعام معه[6]. وبعد أن استتب الأمن في العراق غادر السلطان متجهاً إلى أذربيجان، ونزل بمدينة تبريز وترك في بغداد وزيره الكندي[7]، وكان السلطان قد رغب في الزواج من ابنة الخليفة القائم[8].

---

(١) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٧٢.
(٢) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ٣٢؛ إبن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٦٤٤.
(٣) الراوندي، المصدر السابق، ص ١٧٢.
(٤) الراوندي، المصدر نفسه، ص ١٧٥؛ إبن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٦٤٧.
(٥) الراوندي، المصدر نفسه، ص ١٧٥.
(٦) إبن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٨، أمين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي،، ص ٧٠.
(٧) أمين، المرجع السابق، ص ٧٠.
(٨) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٧٧.

وتوسعت الدولة السلجوقية في عهد ألب أرسلان توسعاً كبيراً، حيث كانت له مع الروم وقائع وحروب أشهرها معركة ملاذكرد[١]. وفي عهده شيدت المدارس النظامية، وأهمها نظامية بغـداد، التي شيدها الوزير السلجوقي نظام الملك، في سنة (٤٥٧هـ/١٠٦٤م)[٢]. وبعده تولى ابـنه ملكشاه الذي أرسل إلى بغداد يطلب الخطبة فخطب له على منابرها[٣]. وقد واجهته مشكلة التنافس في العرش في بداية فترة حكمه سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٢م)، ولكنه استطاع أن يتخلص من المنافسين له ومنهم عمه قاورت بيك[٤]، وفي سنة (٤٧٩هـ /١٠٨٥م) دخل السلطان إلى بغداد بعـد فـتح حلب والجزيرة ونزل بدار المملكة[٥]. ووقعت فتنة في بغداد بين أهل الكرخ وباب البصـرة في سنة (٤٨١هـ/١٠٨٧م)[٦]، لكنها ظهرت واستمرت الفتن في بغداد وتعددت، ويبدو أن السـلاجقة كـانوا يخمدونهـا بالقوة واستعمال البطش، وأدت إلى إقلاق الناس، أما في سنة (٤٨٤هـ/١٠٩١م)، فقـد زار وللمـرة الثانية السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان مدينة بغداد، مصطحباً معه نظام الملك، ونزل بدار المملكة، وأمر ببناء الجامع الذي سمي بجامع السلطان[٧].

وفـي أيـام الخليفة المقتدي بأمرالله كانت العلاقة بينه وبين السلطان ملكشاه على غير ما يرام

---

(١) ملاذكـرد: معركة جرت بين السلاجقة بقيادة ألب أرسلان، والروم بقيادة الإمبراطور رومانوس ديوجين، وذلك في سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م، حيث كان عدد الروم ٢٠٠ ألف مقاتل، وقد ذكر الراوندي، أنهم ستمائة الـف مقـاتل، أما عن السلاجقة، وكان عددهم ١٥ ألف مقاتل وانتصر ألب أرسلان انتصاراً ساحقاً على الـروم، وأسر رومانوس. الراوندي، راحة الصدور، ص ١٨٨-١٨٩. إبن الأثير، الكامل، ج٩، ص ١، الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ص ٤٦؛ حسنين، سلاجقة ايران والعراق، ص ٥٧.

(٢) الـراوندي، راحـة الصدور، ص ١٩؛ البنداري، تاريخ مختصر دولة ال سلجوق، ص ٤٤؛ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ص ٥٤؛ إبن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٩؛ حسنين ، سلاجقة ايران والعراق، ص ٧٩.

(٣) إبن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٧٦.

(٤) إبن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٧٨.

(٥) إبن الأثير، المصدر السابق، ج١٠، ص ١٤٨-١٤٩.

(٦) إبن الأثير، المصدر السابق، ج١٠، ص ١٦٤.

(٧) إبن الجوزي، المنتظم، ج ١٧، ص٢٥ ؛ إبن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ١٩٩-٢٠٠.

وبسبب ذلك أن ملكشاه أراد أن ينتزع ولاية العهد من ابن الخليفة المقتدي "المستظهر"؛ لحفيده أبي الفضل جعفر[1]، وأراد ملكشاه سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) عندما قصد بغداد وأنذر الخليفة بالمغادرة خلال عشرة ايام، وبموت السلطان في نفس السنة، تخلص الخليفة المقتدي من المأزق الذي وضعه السلطان فيه[2].

وبعد وفاة ملكشاه واجهت الدولة السلجوقية مشكلات خطيرة، وانشغل السلاطين والأمراء عن مصالح الرعية، بصراعاتهم حول الحكم والسلطة والسعي وراء الملذات.

ويذكر الراوندي أن ملوك العصر والوزراء العظام، انشغلوا عن أمور الدولة بالشراب ومجالس الأنس والحفلات والولائم[3]، ويذكر أيضاً أنه لم يكن للخليفة من منصبه إلاّ الاسم فقط[4].

وبعد وفاة السلطان ملكشاه ومقتل نظام الملك، فقدَ السلاجقة شخصية تميزت بالحنكة السياسية والخبرة العسكرية[5]. وتم اختيار بركياروق سلطاناً وقدم إلى بغداد وأرسل للخليفة المقتدي يطلب الخطبة له وأجيب إلى ذلك ولقب "بركن الدين"[6]. وفي سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) توفي الخليفة المقتدي بامر الله وبويع ابنه المستظهر وله من العمر ست عشرة سنة وبايعه السلطان بركياروق والأمراء القواد[7].

---

(١) انظر، إبن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص ٢٨٨؛ أمين ، في تاريخ العراق في العصر السلجوقي، ص ٧٨.

(٢) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص ٢٩٩؛ إبن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢١٧.

(٣) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢١٠. الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص ٧٠.

(٤) إبن دحية، النبراس في تاريخ بني العباس، ص ٢٢٤٥.

(٥) حسنين، سلاجقة ايران والعراق، ص ٨٢؛ أمين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي،، ص ٧٩.

(٦) إبن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٢٩.

(٧) إبن الأثير، المصدر السابق، ج١٠، ص ٢٢٩.

وكان التنافس على العرش دائراً بين بركياروق الابن الأكبر لملكشاه، ويؤيده اتباع نظام الملـــك، وبين أخيه الأصغر محمود، وهو ابن تركان خاتون يناصره تاج الدين الشيرازي الذي احتل مكان نظام الملك[١]، وفي بداية الأمر كان الأمر لصالح محمود ابن تركان خاتون.

لأن السلطان توفي في بغداد مقر الخلافة العباسية، إذ يتطلب هنا رأي الخليفة في تعيين السلطان، بينما بركياروق لم يعلم بالأمر وهو في أصفهان، استطاعت تركان خاتون بالاتفاق مع تاج الملك اخفاء نبأ وفاة ملكشاه وحتى تم البيعة لأبنها محمود[٢].

بالاضـــافة إلى محمود بن ملكشاه منافساً على السلطة ظهر بركياروق محمد تاج الدولة الذي كان والياً في دمشق وما جاورها.

مـــا لبثـــت مشـــكلة التنازع حول العرش تنتهي بتسلم بركياروق السلطة، حتى ظهرت انقســـامات تهـــدد الدولة السلجوقية ومنازعات بين الوزراء، حيث بدأ التنافس بين الوزير فخر الملك وأخيه مؤيد الملك على كرسي الوزارة، وحاول فخر الملك وهو الأبن الأكبر لنظام الملك أن يحـــتل مكانـــة أبيه، واستطاع أن يتقرب من السلطان، فعزل مؤيد الملك، وأسند الوزارة إلى أخـــيه فخر الملك عام (٤٨٨هـــ/ ١٠٩٤م)[٣]. لكن بعد ذلك وفي سنة (٤٩٠هـــ/١٠٩٦م)، أمر بركـــياروق بخلـــع فخر الملك من الوزارة[٤]، وعين مجد الملك القمي وزيراً بصفة رسمية[٥]، ولكـــن لن نستطيع أن نفصل ما حصل في سنة (٥١١هـــ/١١١٧م)[٦] وهو العام الذي توفي فيه

---

(١) حســـنين، ســـلاجقة ايـــران والعراق، ص ٨٣، أمين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، في العصر السلجوقي، ص ٧٩.

(٢) حسنين، المرجع نفسه، ص ٨٤.

(٣) الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٥، ٢١٦؛ إبن الأثير، الكامل، حوادث سنة ٤٨٨هـــ، ج١٠، ص ٢٥٢.

(٤) الراوندي، المصدر السابق، ص٢١٥، ٢١٦؛ إبن الأثير، المصدر السابق، ج١٠، ص ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٦٥ ؛ حسنين، سلاجقة ايران والعراق، ص٩٠.

(٥) حسنين، المرجع السابق، ص ٩٠.

(٦) إبن الأثير، المصدر السابق، ج١٠، ص ٥٣٣، حسنين، سلاجقة ايران والعراق، ص ٩٠.

السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان، وهو بداية عصر سلاجقة العراق، وكان اول هؤلاء السلاجقة هو محمود ابن محمد بن ملكشاه[١].

أمــا ســنة (٥١٣هــ/١١١٩م) فكانت البداية الدولة السلجوقية في العراق، حيث أصبح الســلطان محمــود بصــفة شرعية نائباً لسنجر في العراق، وبذلك كسب تأييد الخليفة العباسي المسترشــد بالله، وبذا ظهر سلطانان في الدولة السلجوقية، السلطان سنجر الذي اتخذ مدينة مرو عاصــمة له وفضلها عن غيرها من المدن[٢]، وكان هذا آخر سلاطين السلاجقة العظام، وكان الســلاجقة يهابونه وينفذون أوامره، أما الآخر فهو السلطان محمود، الذي عينه سنجر نائباً عنه فــي العراق، وزوجه ابنته "مهملك خاتون" ولما ماتت ارسل بدلاً منها "ست خاتون" وهي والدة الأمــيرة "كوهرنســب"[٣]. وبعد وفاة السلطان محمود توجه القادة إلى السلطان سنجر؛ لاختيار سلطان للعراق، فاختار الملك طغرل سلطاناً للعراق وجعله ولي عهده[٤]. واشترط على سلاطين السلاجقة في العراق أن يذكروا اسمه في الخطبة فبدأ اسمائهم[٥]، وظل نفوذ السلطان سنجر قوياً حتى انهكته الحروب والفتن وأضعفت قوته ومن ثم وافته المنية سنة (٥٥٢هــ/١١٥٧م)، ومن الجدير ذكره أن السلطان محمود كان محاطاً ببطانة من المستشارين الضعفاء الذين ساعدوا على نشــر الجــواري والأماء في دورهم [٦]. فنشر المفاسد وانغمس رجال الدولة في اللهو واللعب

---

(١) أمين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي،، ص ٩٢.
(٢) إبن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٢٢٢.
(٣) الراوندي، راحة الصدور، ص ٣٠١.
(٤) الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ص ٩٩-١٠٠.
(٥) إبن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٢٢٢.
(٦) البنداري، تاريخ مختصر دولة ال سلجوق، ص ١١٢، ١١٣.

وسيطروا على السلطان وإجترأوا عليه(١)؛ وسبب ذلك أنه كان صغير وفي سن المراهقة، وكان يقضي الوقت في ملاعبة الفهود وكلاب الصيد والحمام(٢).

ولم يسلم السلطان محمود من منافسة أخوته له في السلطة، فقد اعلن مسعود وكان ملكاً علـــى الموصـــل واذربـــيجان الحرب على أخيه السلطان محمود ولكن مسعود فشل، وانهزمت جيوشه امام جيوش السلطان محمود في سنة (٥١٤هـ/١١٢٠م)(٣). ولم تسلم بغداد من النكبات في هذه الفترة، فقد تعرضت لمهاجمة دبيس بن صدقة، الذي اكثر فيها النهب والقتل والفساد(٤). وقـــد اســـتنكر الخلـــيفة أعماله، ولم يستجب لأوامره السلطان في الكف ومنع اصحابه عن هذه الأعمـــال(٥). وقد تفشى الضعف في هذه الفترة، حيث ظهر العيارون في بغداد سنة (٥١٤هـ/ ١١٢٠م)، وأحدثـــوا الفوضـــى والاضطراب(٦). وعاد دبيس ابن صدقة صاحب الحلة للهجوم، ولكنه هزم أمام جيوش الخليفة المسترشد سنة (٥١٧هـ/١١٢٣م)، والتجأ إلى قبائل المنتفق(٧). حيـــث اتفق معها على غزو البصرة فوافقوه ودخلوها، ونهبوا اسواقها، وقتلوا الكثير من أهلها، وكـــان ممـــن قتلوا الأمير "سخت كمان" مقدم العسكر السلجوقي في البصرة، وقد التحق دبيس بـــالملك طغـــرل بن السلطان محمد، وذلك بعد أن هزم امام جيوش السلاجقة بقيادة البرسقي(٨). وكانت علاقة السلطان محمود مع اخيه طغرل غير حسنة في سنة (٥١٣هـ/ ١١١٩م) قد جهز

---

(١) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١١٣.

(٢) الراوندي، راحة الصدور، ص ٣٠١.

(٣) إبن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٥٦٢، ٥٦٤، ٥٦٥.

(٤) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص ١٨٦،-١٨٧. إبن الأثير، المصدر السابق، ج١٠، ص ٥٦٢.

(٥) إبن الأثير، المصدر السابق، ج١٠، ص ٥٦٥.

(٦) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص ١٨٥.

(٧) المنـــتفق: من أهم قبائل العراق، ومنازلها في المناطق الواقعة بين البصرة وبغداد، وهي فرع من القبائل العدنانية، تنتسب إلى المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن الامير بن صعصعة وكانت منازلهم الاجام والقصيب التـــي بيـــن البصـــرة والكوفـــة؛ إبـــن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٦١٠، انظر: أمين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي،، ص ٩٨.

(٨) إبن الأثير، المصدر السابق، ص ج١٠، ص ٥٥٩، ص ٦١٠.

جيشاً لمحاربة أخيه طغرل، لكن هذه الحرب لم تجري، كما ذكرت بعض المصادر التاريخية[١].

وفــي هــذا العهد بدأت الخلافة العباسية تسترد شيئاً من قوتها، حيث بيّن الخليفة المسترشد ما أصـــاب الـــبلاد من الضعف، بسبب حركات تمرد دبيس بن صدقة، صاحب الحلة، وما أحدثه عسكره من فساد[٢]، وحصلت في سنة (٥٢١هـ/١١٢٦م)، حرب بين السلطان محمود والخليفة المسترشـــد، حيــث حاصر السلطان محمود بغداد، مما اضطر الخليفة في نهاية الأمر إلى قبول الصلح[٣]، ثم كان أغلب مقامه في أصفهان وبغداد.

وفي سنة (٥٢٣هـ/١١٢٨م) قدم السلطان محمود إلى بغداد ومعه دبيس صاحب الحلة، ليصلح الحال مع الخليفة المسترشد بالله، وقد رجع السلطان إلى همذان، ولكن صاحب الحلة عاد إلـــى احداث الفتن والفوضى في البلاد، مستغلاً وفاة زوجة السلطان محمود ابنة سنجر (مهملك خاتون)، ومرض السلطان، حيث سار إلى العراق ودخل الحلة والبصرة، ونهب الأموال واخذ ما للخليفة والسلطان من أموال[٤].

وفــي ســـنة (٥٢٥هـ/١١٣٠م) توفي السلطان محمود، وتنازع على السلطة ابنه داود وعمـــه مسعود[٥]، ولعب الخليفة المسترشد دوراً مهماً في إحداث الفرقة بين صفوف السلاجقة؛ بقصـــد إضعافهم وتشتيتهم[٦]، وبعد وفاة السلطان محمود خُطب لأبنه داود بن محمد ببلاد الجبل وأذربيجان[٧].

---

(١) إبن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٥٤٧.

(٢) إبــن الجــوزي، المنتظم، ج١٧، ص ٢٠٧؛ البنداري، تاريخ مختصر دولة ال سلجوق، ص ١٧٨؛ إبن الأثير، المصدر السابق، ج١٠، ص ٦٠٩.

(٣) الراوندي، راحة الصدور، ص ٣٠٢، إبن الأثير، المصدر السابق، ج١٠، ص ٦٥٤.

(٤) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص ٢٥٣؛ إبن الأثير، المصدر السابق، ج١٠، ص ٦٥٤.

(٥) حسنين، سلاجقة ايران والعراق، ص ١٢٢؛ أمين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي،، ص ١٠٠.

(٦) إبن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٦٧٤.

(٧) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص ٢٦٤؛ إبن الأثير، المصدر السابق، ج١٠، ص ٦٦٩-٦٧٠.

ولـــم يكـــن يهم الخليفة المسترشد أن يكون السلطان الذي يخطب له داود أو مسعود أو سنجر أو غيره، انما الذي كان يهمه انذاك هو التخلص من السلاجقة[١].

وقد شجع الخليفة المسترشد السلطان مسعود على منازعة اخيه طغرل وصار يؤمله أنه سيســير معــه بنفسه، لكن وقع بينهم خلاف بسبب اطلاع الخليفة على الرسائل من طغرل إلى الأمراء السلاجقة بوعدهم الاقطاع أن وقفوا بجانبه، فقبض الخليفة المسترشد احد الأمراء المدعو (غلبك) ونهب ماله، وهربوا بقية العسكر إلى السلطان مسعود فأرسل الخليفة إليه في اعادتهم، فلم يفعل[٢]. وفي سنة (٥٢٩هـ/١١٣٤م) توفي السلطان طغرل بن السلطان محمد، ولما بلغ ابن مسعود، خرج إلى همذان واستولى عليها وأصبح سلطان السلاجقة بلا منازع، وآلت إليه سلطة العــراق وكردســتان واذربيجان في عام (٥٢٩هـ/١١٣٤م)[٣]. وقد زادت الأحوال سوءاً بين الخلـيفة المسترشد والسلطان مسعود، وسبب ذلك هو التحاق عدد من الأمراء من جيش مسعود بالخلـيفة وطلبهم الأمان خوفاً من غدر مسعود بهم، حينها اقترحوا على الخليفة الخروج بجيش لمحاربة مسعود، واقتنع الخليفة وجهز جيشاً وسار معه الأمراء السلاجقة، الذين كانوا قد هربوا مـــن جيش مسعود، ودخل الخليفة ايران، ووصلت الأخبار لمسعود بقدوم جيش الخليفة، فاستعد لمنازلته، ووقعت الحرب في دايمرج في طريق همذان من حلوان، لكن انهزام جند الخليفة اوقعه في الأسر[٤].

---

(١) إبـــن الجوزي، المصدر السابق، ج١٦، ص ١٥١؛ الراوندي، راحة الصدور، ص ٣٢٥؛ أمين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي،، ص ١٠١.

(٢) إبن الجوزي، المصدر السابق، ج١٧، ص ٢٨٤؛ إبن الأثير، المصدر السابق، ح١١، ص ١٩.

(٣) إبـــن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص ٣٠٣، إبن الأثير، الكامل، ج١١، ص ١٩. إبن الوردي، تاريخ إبن الوردي، ص ٣٩.

(٤) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص ٢٤-٢٥؛ البنداري، تاريخ مختصر دولة ال سلجوق، ص ١٦٢؛ إبن الأثير، الكامل، ج١١، ٢٥-٢٦.

وحـــاول السلطان سنجر في أن يعيد الخليفة إلى دار الخلافة، وان يطلب العفو والصفح مــنه[1]. وقد وافق السلطان سنجر على الصلح مع الخليفة حسب رغبة السلطان سنجر، شريطة أن يعــوض الخليفة السلطان بالمال، ويتعهد بعدم جمع الجيوش وألا يخرج من داره[2]. وقد قتل الخليفة المسترشد سنة (٥٢٩هـ/١١٣٤م) إذ هاجمه جماعة من الاسماعلية؛ فقتلوه وكانت خيمته منفردة عن العسكر[3]. ويعتقد بعض المؤرخين أن السلطان مسعود هو الذي دبر قتل الخليفة[4]، وبويع الخليفة الراشد بالخلافة[5]، واظهر السلطان مسعود الطاعة، فأرسل سنة ٥٣٠هـ/١١٣٦م الأمـــير بـــرنقش الزكوي يطلب من الخليفة الراشد مبلغاً من المال مقداره اربعمائه الف دينار، فأجـــاب الخلـــيفة أنـــه لا يملـــك شيئاً، وان المال كان من الخليفة المسترشد فنهب[6]. و حاول السلاجقة اخضاع الخليفة بالقوة، حينها استعد لهم الخليفة الراشد، وواجههم بقوة كبيرة ادت إلى انسحاب عساكر برنقش الزكوي إلى البندنيجين ونهب العامة دار السلطان[7].

وفـــي ســـنة (٥٣٠هـــــ/١١٣٥م) دخل مسعود بغداد وجمع العلماء والفقهاء والشهود والأعيان؛ ليشهدوا بظلم الراشد بنهب الأموال، وسفك الدماء، وشرب الخمر[8]. وأفتوا: أنه يحق

---

(١) إبن الجوزي، المصدر السابق، ج١٧، ص ٢٩٨، إبن الأثير، الكامل، ج١١، ص ١٩٧؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢٨٧.

(٢) إبن الأثير، الكامل، ج١١، ص٢٧.

(٣) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص ٢٩٨، الراوندي، راحة الصدور، ص ٣٣٠، إبن الأثير، الكامل، ج١١ ، ص ٢٧، إبن الأثير، الكامل، ج١١، ص٢٧.

(٤) إبـــن دحـــية، النبراس في تاريخ بني العباس، ص ١٥١؛ إبن الطقطقي، الفخري في الاداب، ص ٢٢٣؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢٨٧.

(٥) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص ٣٠٠؛ الراوندي، راحة الصدور، ص ٣٣٢؛ إبن الأثير، الكامل،ج١١، ص ٢٧؛ إبن دحية، النبراس، ص ١٥١؛ إبن الطقطقي، الفخري في الآداب، ص ٢٢٦.

(٦) إبن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٣٥، حسنين، سلاجقة ايران والعراق، ص ١٢٠.

(٧) ابو الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص ٣٠٣؛ إبن الأثير، الكامل، ج١١، ص٣٥.

(٨) إبـــن الجـــوزي، المنـــتظم، ج١٧، ص ؛ إبـــن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٣٧، ٤١، ٤٢، تاريخ الدولة الأتابيكية، ص ٩٢،٩٦.

للسلطان خلع الخليفة، واستبداله بغيره، فتم خلع الخليفة الراشد، وولّيَ مكانه الخليفة المقتفي لأمر الله سنة (٥٣٠هـ/١١٣٥م)[١].

أمـــا الخليفة الراشد فلم يقم طويلاً في الموصل، بل سار إلى أصفهان، وقتل على بابها، على يد مجموعة من الباطنية سنة (٥٣٢هـ/١١٥٧م)[٢].

إن الأحـــوال العامـــة فـــي العـــراق وخاصـــة في بغداد كانت سيئة خلال حكم مسعود السلجوقي، فكثيراً ما عم الغلاء والقحط في البلاد، وأهمل السلاطين أمور الري، ونشط العيارون فقاموا بنهب الأموال، وكثر شرهم، وتعددت ثوراتهم في سنة (٥٣٠هـ/١١٣٥م)[٣]، وعظم أمر العيار ابن بكران، وكثر اتباعه ببغداد والعراق[٤]. وفي سنة (٥٤٧هـ/١١٥٢م)، توفي السلطان مسعود في همذان حيث دفن في مدرسة (سربرزة) [٥].

وبوفـــاة الســـلطان مسعود فقدت سلطنة السلاجقة في العراق شخصية قوية، كانت على جانـــب من الحيوية والنشاط، وفي موته يقول ابن الأثير: "ومات معه سعادة البيت السلجوقي فلم يقم له بعد آية يعتمد بها ولا يلتفت إليها[٦]. وفي فترة حكم الخليفة المقتفي قطع الخطبة للسلطان محمـــد، وهذا كان سبباً في قيام النزاع بين محمد والخليفة المقتفي عام (٥٥١هـ/١١٥٦م)[٧]، وفكر الخليفة المقتفي في استمالة احد أفراد البيت السلجوقي، وهو سليمان شاه بن محمد، فأدخله

---

(١) الـــراوندي، راحـــة الصدور، ص ٣٣٢؛ إبن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٤٢، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٠٤.

(٢) إبـــن الجوزي، المنتظم، ج١٧؛ إبن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٤٢. إبن الطقطقي، الفخري في الآداب، ص ٣٢٧.

(٣) إبن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٤١.

(٤) إبن الأثير، المصدر السابق، ج١١، ص ٦٣.

(٥) الـــراوندي، راحة الصدور، ص ٣٥٤؛ إبن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٩٥، ١٦٠؛ إبن النظام، العراضة في الحكاية السلجوقية، ص ١٢٨.

(٦) إبن الأثير، الكامل، ج١١، ص ١٦٠.

(٧) إبن الأثير، المصدر السابق، ج١١، ص ٢١٢، أمين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي،، ص ١١٢.

وأخـذ علـيه العهد والميثاق، وخُطب له ببغداد، ولقب بألقاب ابن غياث الدنيا والدين، وجهزه الخليفة بثلاثة آلاف فارس(١)، ووقعت المعارك بين السلطان محمد والسلطان سليمان شاه فخسر سليمان شاه، وهرب حتى وصل إلى خراسان(٢)، وعاد السلطان محمد يطلب أن يخطب له ببغداد والعـراق، فامتـنع الخلـيفة، فاتجه السلطان محمد إلى بغداد وحاصرها، ولكن وقوع الفتن في همـذان جعـل السـلطان محمد يترك بغداد، ويرجع إلى همذان إلى أن توفي سنة (٥٥٤هـ/١١٥٩م)(٣).

وقد ذكر ابن الجوزي أن: "من أيام المقتفي عادت بغداد والعراق إلى يد الخليفة ولم يبق له منازع، وقبل ذلك من دولة المقتدر العباسي إلى وقته كان الحكم للمتغلبين من الملوك، وليس للخليفة معهم إلاّ اسم الخلافة(٤). وهكذا نجح المقتفي لأمر الله بتأييد ومساعدة وزيره عون الدين يحيى بن هبيرة بإعادة بغداد إلى يد الخليفة(٥).

وبعـد وفـاة المقتفي عام (٥٥٥هـ/١١٦٠م) بويع ابنه المستنجد بالخلافة. وكان شديداً علـى أهـل الفسـاد(٦). وقد فاق خطر بني مزيد (٧) في الحلة(٨). وبعد وفاة السلطان محمد سنة

---

(١) إبن الأثير، المصدر السابق، ج١١، ص ٢٠٦.

(٢) الراوندي، راحة الصدور، ص ٣٨١، إبن الأثير، المصدر السابق، ج١١، ص ٢٠٧.

(٣) إبن الأثير، المصدر السابق، ج١١، ص ٢١٢؛ ٢٥٠.

(٤) المنتظم، ج١٦، ص ٢٢٠، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٠٤.

(٥) ابـو المظفر، عون الدين يحيى بن هبيرة، كان عالماً باللغة والأدب والحديث، ولد سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م توفي سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤، إبن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص ٢٣٠.

(٦) الفارقي، احمد بن يوسف الأزرق، تاريخ الفارقي، تحقيق دكتور عبد اللطيف بدوي. دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٤، ط٢، ص ٢٤٣.

(٧) بنـي مـزيد، الاسديون، النازلون بالحلة السيفية في الفرات، العماد الاصفهاني، محمد بن محمد، خريدة القصر، وجريدة العصر، تحقيق أحمد بهجت الأثري، المجمع العلمي العراقي، ج١، قسم شعراء العراق، ١٩٥٥م، ص ١٥٣.

(٨) الحلـة: ذكر ياقوت الحموي أنها علم لعدة مواضع، وحلة بني مزيد، هي اشهر هذه المواضع وهي مدينة كبيرة في بغداد والكوفة، خططها سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس، سنة ١٩٥هـ/١١٠١م، وكان

(٥٥٤هـ/١١٥٩م)، تولى عرش السلاجقة طغرل بن ارسلان شاه، وكان طفلاً في السابعة من عمره، وهو أخر سلاطين السلاجقة في العراق، أما الخليفة العباسي فكان الناصر لدين الله، اقوى الشخصيات التي تولت الخلافة في عصورها المتأخرة، وقد دارت حروب بينه وبين السلطان طغرل[1].

وقد وقع في الأسر بعد أن سيطر ارسلان على السلطنة وتزوج بالخاتون زوجه ابيه "اينانج خاتون"، وثم سجن السلطان طغرل في قلعة باذربيجان[2].

وأعلن نفسه سلطاناً سنة (٥٨٧هـ/١١٩١م)، إلاّ أنه لم يتمتع طويلاً بمنصب السلطة، إذ ظهر من يحقد عليه وينافسه، كان سيء الطباع، وكان منصرفاً عن زوجته التي تأمرت عليه وقتلته[3].

وفي سنة (٥٩٠هـ/١١٩٤م) جرت اتصالات بين الخليفة الناصر وجهة غير سلجوقية وهي الدولة الخوارزمية؛ ليقضي بمعونتها على السلاجقة، واظهر الخليفة في رسائله لخوارزمشاه الشكوى من سوء نية طغرل الثالث، وأعطاه الأمل في تمليكه البلاد التي يملكها طغرل[4]، فسار خوارزمشاه من نيسابور إلى الري، والتقى بعسكر السلطان طغرل، وقتل وحمل رأسه إلى خوارزمشاه، وسيره إلى بغداد فنصب برأسه على باب النوبة عدة أيام[5]. وبذلك استطاع الخليفة الناصر التخلص من آخر مظهر من مظاهر الحكم السلجوقي، وأعلنت الخلافة

يحيط بها حلة بني قبيلة من أواسط البلاد وحلة بني عفيف الأسدي قرب الحويزة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٢٩٢.

(١) أمين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي،، ص ١١٤؛ حسنين، سلاجقة ايران والعراق، ص ١٤١.

(٢) إبن الأثير، الكامل، ج١٢، ص ١٢٠.

(٣) الراوندي، راحة الصدور، ص ٥٠١، ٥٠٢، إبن الأثير، ج١٢، ص ؛ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقي، ص ١٨١، الراوندي، راحة الصدور، ص ٥١٢.

(٤) الراوندي، راحة الصدور، ص ٥١٤؛ أمين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، ص ١١٥.

(٥) إبن الأثير، الكامل، ج١٢، ص ٦٠٥.

اســتقلالها التام من النفوذ والحكم السلجوقي، حيث كانت نهاية حكم السلاجقة في العراق، وكان العامل الأول في تفتيت الوحدة السلجوقية، الخصومات والمنازعات بين الأفرد والبيت السلجوقي والتــنازع حــول العرش والسلطة. ولم يقتصر التنازع على البيت السلجوقي على بيوت الحكام على فترات من التاريخ.

٢ـ زوجات الخلفاء والسلاطين:

كــان للنســاء دوراً بــارزاً في هذا العصر على المستوى السياسي، وخاصةً زوجات الخلفاء حيث أصبح لهن دواوين خاصة بهن وكتاب، نذكر منهن:

١. قطر الندى: وهي والدة الخليفة القائم بأمر الله، وهي أم ولد أرمنية اسمها بدر الدجى[١]، وقــد وقعــت قطــر الندى في أسر البساسيري، وظلت في الأسر حتى تمكن السلطان طغرلبك من تحريرها، واعادتها إلى بغداد حيث قصر الخليفة[٢].

٢. أرجــوان، وهـــي ام الخليفة المقتدي بأمر الله، وهي أم ولد وسميت (قرة العين)، وهي جاريـــة أرمنية، أدركت خلافته وخلافة ابنه المستظهر وولده المسترشد[٣]. توفيت سنة (٥١٢هـ/١١١٨م).

وقد وقعت ارجوان في أسر البساسيري وظلت في الأسر حتى أعادها السلطان السلجوقي طغرلبك إلى بغداد[٤].

(١) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص ١٣٤؛ إبن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ٢٥٣؛ إبن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٩٥، القرماني، ابي العباس أحمد بن يوسف الدمشقي، أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، عالم الكتب، بيروت، ١٨٦٥ ، ص ١٧٢.

(٢) إبن الجوزي، المصدر السابق، ج١٦، ص ٣٥٥.

(٣) إبــن الجــوزي، المصدر السابق، ج ١٧، ص ١٦٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث (٥٠١هــ-٥٢٠هــ)، ص ٣٢٩. العاملي، زينب بنت فواز، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، دار المعرفة، بيروت،١٩٠٢،ص٢٤-٢٥

(٤) إبن الجوزي، المصدر السابق، ج ١٦، ص ٣٥٥.

٣. شـــمس الـــنهار وهي جارية الخليفة المقتدي، وقد لعبت هذه الجارية دوراً له اهمية في الحياة السياسية آنذاك[١].وسيشار إليه لاحقاً.

٤. حـــد الـــروز: وهي من جواري الخليفة المقتدي بأمر الله، وقد تمكنت هذه الجارية من أن تلعب دوراً في تدبير شؤون القصر، نذكر من ذلك أن ثلاثة رجال مكثوا مدة أربعة أشهر على باب قصر الخليفة المقتدي ولم ينظر في حالهم، حتى تدخلت جارية الخليفة حد الروز، فادخلتهم على الخليفة، ونظر في حاجاتهم[٢].

٥. عصمت خاتون: زوجة الخليفة المستظهر بأمر الله، وابنة السلطان ملكشاه،على الرغم من انهـــا تتصف بالعقل الراجح والحزم وسداد الرأي، إلاّ أن الخليفة لم يفسح المجال لها للعب دور سياسي في الدولة[٣]. وذكرت بعض المصادر التاريخية، أنه كان لها دوراً كبيراً، فقد منعـــت جنود السلطان وعسكره من الدخول إلى دار الخلافة، ومع أنها كانت تتمتع بالجاه وعلوّ المنزلة[٤]، إلاّ أن عسكر السلطان تمكنوا من الدخول، ونهب دار الخلافة، فأسرعت الجواري يلطمن وأستشفعن الخاتون بنت ملكشاه وزوجة المستظهر[٥]، في سنة (٥٢١هــ/ ١١٢٧م). وفي رواية أخرى ذكر أنه في سنة (٥٣٠هــ/١١٣٦م)، أي بعد حصار بغداد، وفي أيام الخليفة الراشد، حمل أهل بغداد أموالهم ومتاعهم إلى دار الخاتون (زوجة الخليفة المســتظهر)، فخرج الخليفة الراشد، وسلم مفاتيح الدار للخاتون[٦]، فدخل السلطان مسعود

---

(١) إبـــن الجـــوزي، المصدر السابق، ج ١٧، ص ١٠؛ القلقشندي، احمد بن عبد الله، مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، عالم الكتب، بيروت، ١٩٧٩م، ط٢، ج٢، ص ١.

(٢) إبن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ٣٥٥.

(٣) إبن الساعي، نساء الخلفاء، ص ١٠٨-١١٠.

(٤) سبط إبن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ١٥٨؛ السيوطي، تاريخ الحلفاء، ص ٥٠٩.

(٥) انظر .Muire: The Calaphate, p 585

(٦) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص ٣١٢، ٣١٤.

إلى بغداد، وذهبت هي لاسترداد ما أخذ ونهب، وكان يرافقها القراء والاتراك، فعادت وقد تحرر جميع ما نهب وتقلد صاحب المخزن[1] وزارة الخاتون (عصمت) [2].

٦. زهرة: وهي أم الخليفة المستظهر، تركية الأصل، وُصِفت بالقوة ورجاحة العقل[3].

٧. لـبانه[4]: أم الخلـيفة المسترشد، وهي أم ولد، ولم يكن هناك أي دور للنساء في إدارة الدولـة؛ ويعود ذلك إلى عدم وجود نساء ثقات ذوات نفوذ ودهاء، فضلاً عن المسترشد الذي سلم امور الدولة إلى رجال ثقات، وفوضهم بالأمور كلها.

٨. نـزهة: زوجة الخليفة المسترشد، وهي حبشية الأصل، اتصفت بالكرم، وأدركت خلافة ابنها المقتفي بأمر الله[5]، وعرفت (بست السادة) [6].

٩. طـاووس[7]: أم الخلـيفة المستنجد، وهي أم ولد رومية الأصل[8]. وكانت صاحبة دين وخلق طيب، عرفت بالصلاح ولها بر معروف[9].

---

(١) أبـو طاهـر يوسـف بن أحمد الخزي، تقلد وزارة الخاتون زوجة الخليفة المستظهر، انظر إبن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٥٣٧.

(٢) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص ٣١٤، ٣١٥.

(٣) إبـن العمرانـي، محمـد بن علي بن محمد، الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، المعهد الهولندي، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٢٢٠٦؛ القرماني، اخبار الدول، ص ١٧٣.

(٤) الإربلي، عبد الرحمن بن سنبط قنيتو، خلاصة الذهب ومختصر سلوك الملوك، تحقيق مكي السيد، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٤، ط٢، ص ٢٧٢؛ القرماني، أخبار الدول، ص ١٧٤.

(٥) إبـن الجـوزي، المنـتظم، ج ١٧، ص ٣١٣. إبن الأثير، الكامل؛ ج١١، ص ٢٥٦؛ الإربلي، المصدر السابق، ص ٢٧٥.

(٦) إبـن العمرانـي، المصـدر السـابق، ص ٢٥٥؛ إبن الجوزي، المصدر السابق، ج١٧، ص ٣١٣؛ إبن الكازروني، ظهير الدين علي بن البغدادي، مختصر التاريخ من اول الزمان إلى منتهى دول بني العباس، حققه: مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، بغداد، د.ت. ص ٢٨٨؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥١٦.

(٧) إبن الأثير، المصدر السابق، ج١١، ص ٢٥٦.

(٨) إبـن الأثير، الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق: احمد طليمات، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٣، ص ١٥١؛ الإربلي، المصدر السابق، ص ٢٧٦.

(٩) كحالة، أعلام النساء، ج٢، ص ٢٦٥.

١٠. غضة: والدة الخليفة المستضيء بأمر الله، وهي أم ولد، عرفت بالتقوى والصلاح[١].

١١. عائشـــة: أخت الخليفة المستضيء بأمر الله، وهي عمة الخليفة الناصر لدين الله، عرفت بالصلاح وقد عمرت طويلاً[٢].

١٢. بنفشـــا: جاريـــة الخليفة المستضيء بأمر الله، كان لها دورها في إدارة الدولة في عهده وكانت كثيرة الخيرات والصدقات[٣]. وسيشار اليها لاحقاً.

١٣. زمرد خاتون: والدة الخليفة الناصر لدين الله بن المستضيء، وهي تركية الأصل، عاشت فـــي خلافـــة ابنها أربعاً وعشرين سنة، عرفت بالصلاح وأعمال الخير[٤]. وقد أوقفت المدارس والربط والجوامع وأنفقت في الحج نحو ثلاثمائة الف دينار في سنة (٥٥٣هـ/١١٥٨م)[٥] علـــى الفقـــراء والمحتاجيـــن، توفيت سنة (٥٩٩هـ/١٢٠٢م)، فخرج في جـــنازتها خلـــق كثـــير، ودفنت في التربة التي بنتها لنفسها، وكانت نافذة الكلمة، سديدة الرأي، ومطاعة[٦]. فحزن الناس عليها كثيراً[٧].

---

(١) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص ١٩٠؛ سبط إبن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ٢٨٢. الذهبي، تاريخ الإسلام، (حوادث ٥٧١هـ-٥٨٠هـ)، ص ١٦٦؛ الكتبي: محمد إبن شاكر الحلبي، فوات الوفيات، تحقـــيق: إحســـان عـــباس، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج١، ص ٣٧١؛ إبن كثير، عماد الدين الحافظ، البداية والنهاية، دار الحديثة، القاهرة، ١٩٩٤، ج١٢، ص ٢٨٣.

(٢) الذهبـــي، العبر في خبر من غبر، تحقيق: ابو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م، ج٣، ص ٢٣٨.

(٣) إبن الساعي، نساء الخلفاء، ص ١١١.

(٤) إبن الأثير، الكامل، ج١٢، ص ١٨٤؛ ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج٢، ص ١٩٥.

(٥) ســـبط بـــن الجـــوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ٣٣٥؛ إبن الساعي، الجامع المختصر في عناوين الـــتواريخ وعـــيون الســـير، تحقـــيق: مصطفى جواد، المطبعة السريانية، بغداد، ١٩٣٤، (د. ط). ج٩، ص ٥٥، ١٠٢؛ القرماني، اخبار الدول، ص ١٧٨؛ الصفدي، الوافي، ج١٤، ص ٢١٣.

(٦) إبن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ٤٥.

(٧) أبـــو شـــامة، شهاب الدين ابو محمد المقدسي؛ (الذيل بين الروضتين)؛ ترجمة: أحمد زاهد الكوثري، دار الجيل، بيروت، ١٩٤٧، ص ٣٣.

١٤. سلجوقي خاتون: زوجة الخليفة الناصر لدين الله وبنت السلطان قلج أرسلان بن مسعود ملك سلاجقة الروم، قدمت بغداد في موسم الحج سنة (٥٧٩هـ/١١٨٣م)، وحجت وعادت بعدها سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م، وخطبها الإمام الناصر لدين الله. وتوفيت سنة (٥٨٤هـ/١١٨٨م)، وتكريماً لها انشأ الإمام الناصر بجانب تربتها رباطاً ووقفه على الصوفية[١].

١٥. ست نسيم البغدادية: من اصحاب النفوذ والسلطان في الدولة، وبلاط الخلافة [٢].

١٦. بقجة: والدة الظاهر بأمر الله (٦٢٢هـ-٦٢٣هـ/١٢٢٥-١٢٢٦م). وهي أم ولد تركية، لم تدرك خلافته، إلاّ أنها عرفت بالصلاح والبأس[٣].

١٧. شيرين: والدة الخليفة المستنصر بالله (٦٢٣هـ-٦٤٠هـ/١٢٢٦م-١٢٤٢م) وهي جارية رومية، عُرفت بالعدل والإنصاف[٤].

١٨. هاجر[٥]: والدة الخليفة المستعصم (٦٤٠هـ-٦٥٦هـ/١٢٤٢م-١٢٥٨م). آخر خلفاء بني العباس في بغداد، وهي أم ولد، كانت صالحة كريمة كثيرة العطاء والبر، وأنفقت

---

(١) إبن الساعي، نساء الخلفاء، ص ١١٥-١١٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث سنة (٥٨١هـ/٥٩٠هـ)، ص ١٣.

(٢) الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، ج١، ص ٦٧، كحالة، المرأة في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٦٢، ج١، ص ٢٣٢-٢٣٣.

(٣) الأربلي، خلاصة الذهب، ص ٢٨٤؛ وقد ذكر القرماني في أخبار الدول اسمها اسما، القرماني، اخبار الدول، ص ٧٩.

(٤) الكازروني، مختصر التاريخ، ص ٢٥٨؛ الذهبي، العبر في خبر عن غبر، ج٣، ص ٢٣٩، وقد ذكرها الأربلي في خلاصة الذهب، إخشو، خلاصة الذهب، ص ٢٨٥؛ انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٦٠، ٤٦٨؛ الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص ١٤٥، ١٤٦.

(٥) الأربلي، خلاصة الذهب، ص ٢٨٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ٦٤٢هـ-٦٥٥هـ. ص ٢٩٨.

أموالاً كثيرة على الحجاج[1] في مكة عندما حجت سنة (٦٤١هـ/١٢٤٣م)، توفيت سنة (٦٤٥هـ/١٢٤٧م)، ودفنت في التربة التي أنشأتها[2].

نلاحظ من خلال العرض السابق أن دور بعض النسوة اللاتي كن أمهات الخلفاء أو زوجات لهن كان محدوداً في الحياة السياسية، حتى كاد أن يكون معدوماً، بخلاف زوجات السلاطين السلاجقة اللاتي كان لهن دور سياسي بارز في تسيير شؤون الدولة.

أ. تدخل زوجات السلاطين في شؤون الدولة:

كان للنساء في عصر الدولة السلجوقية دور كبير في السياسة وقد ظهر عدد من النساء ممن كان لهن تأثير في الحياة السياسية، نذكر منهنّ:

١. الترنجان (زوجة السلطان طغرلبك)، وكانت تدعى بأم (أنوشروان)، وهي من ربات البرّ والإحسان والدين، سديدة الرأي، فوضها السلطان بكثير من الأمور، وكان سامعاً لها مطيعاً لها[3]. وقد لعبت الخاتون دوراً مهماً في المحافظة على سلطنة زوجها، والدفاع عنه ضد أعدائه.

ومما أشارت إليه المصادر التاريخية في سنة (٤٥١هـ/١٠٥٨م)، خروج السلطان طغرلبك بقواته لمحاربة أخيه إبراهيم ينال[4] في همذان[1]، هنا ظهر دور الخاتون الترنجان، في

---

(١) ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص ٢٦٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ٦٤٢-٦٥٠هـ، ص٢٩٨.

(٢) ابن الكازروني، المصدر السابق، ص ٢٦٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٩، ص٣٥٢؛ كحالة، أعلام النساء، ج١، ص ١٧١.

(٤) اخو طغرلبك من أمه، إبراهيم بن ميكائيل السلجوقي، حارب أخاه وقهره، وورد اسمه في كتب التاريخ، بأشكال مختلفة مثل ينال ونيال وينال ونيال وينأل، ويرى الاستاذ هو تسما أن اسمه هو "ينال" ومعناها في التركية "رئيس القبيلة" ابن العمراني، الإنباء، ص ١٩٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ٣١؛ الراوندي، راحة الصدور، ص ١٦٨، ١٧١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص ١١٢.

انقاذ زوجها السلطان طغرلبك ومقاتلة أعدائه، حيث كان برفقتها الوزير الكندري[٢]، الذي قبضــت عليه؛ لأنه أراد الهروب خوفاً من مساعدتها، في تخليص زوجها طغرلبك[٣]. وبذا حافظت الخاتون على بغداد من الطامعين فيها. وقد توفيت سنة (٤٥٢هـ/١٠٥٩م)، ودفنت في الري[٤]، وحزن السلطان عليها حزناً شديداً[٥].

٢. كوهـر خـاتون: هـي زوجـة السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي وهي من مدينة قرب أصـفهان يقال لها سميرم، وكان أهل هذه المدينة ذو فطرة زكية وفطنة ذكية، وقد عاشت فـيها وهـي ابنة الملك اسماعيل البغاني من آذربيجان، وقد وزر لهذه الخاتون كمال الملك علي السميرمي[٦].

٣. تـركان (خاتون) الجلالية: هي زوجة السلطان السلجوقي جلال الدين ملكشاه المحبوبة، وأم السلطان محمود[٧]، ويعد الحديث عن هذه المرأة حديثاً شيقاً؛ لما تمتعت به من نفوذ وسـلطة، وهي من أبرز النساء السلجوقيات، وهي سيدة جليلة تتصف بالدهاء والقدرة

(١) همذان، مدينة من عراق العجم من كور الجبل، كثيرة المياه والزرع والبساتين، الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٠٦.

(٢) الكندري، أبو نصر محمد بن منصور بن محمد الملقب بعميد الملك، أول وزير للسلاجقة توفي سنة ٤٥٧ هـ/١٠٦٤م. إبن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص ١٣٨؛ الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص ٢٣، ٢٤؛ إبن العماد، شذرات الذهب، ج٣، ص ٣٠١.

(٣) إبـن العمرانـي، الإنـباء، ص ١٩٥؛ إبن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ٣١؛ سبط إبن الجوزي، مرآة الزمان، الحوادث الخاصة بالسلاجقة، ص ٣٣، ٣٤؛ إبن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ٨٤، ٨٥.

(٤) الـري: كـوره معروفة تنتسب إلى الجبل وليست منه، وهي اقرب إلى خراسان، فتحها نعيم بن مقرن، الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ١١٦؛ إبن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٢١.

(٥) إبن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ١٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٩، ص ٣٥٢.

(٦) أنظر النبداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٠٦-١٠٧.

(٧) كحالـة، أعـلام النسـاء، ج١، ص ١٦٩. Levey, Ruben, Baghdad Chronicl, combridge, university, press, 1929, p. 205.

علـــى تدبير الأمور، ذات دين وصلاح وجود وكرم[1]، وهي إبنة عيسى خان من نسل أفراســياب التركـــي[2]. وكانت تُركان مطاعة في أوامرها مسموعة الكلمة، ومشاركة لـــزوجها في الحكم، بفعل حسن سياستها وتدبيرها، توصلت لمصاهرة الخليفة المقتدي بأمـــر الله، نتيجة كثرة ترددها على حريم دار الخلافة، ومعها ابنتها خاتون[3].وكان لها كاتب يدعى ابن فضلان اليهودي[4]، وقد اتخذت الخاتون المستشارين والوزراء، وأثرت تأثـــيراً عظـــيماً في بلاد فارس، فأصلحت كثيراً من عادات البلاد، وأخلاق أهلها، كما بذلـــت لهم العطايا والإقطاعات[5]. وتمكنت من الحصول على اعتراف الخليفة بسلطة ولدها[6]، وسجنت بركياروق، ولكن أنصار نظام الملك تمكنوا من إنقاذه ونصبوه سلطاناً عليهم، حيث بدأت الحرب بين تركان وبركياروق.

ومن الوزراء الذين كان لهم نفوذ في عهدها، الوزير تاج الملك أبو الغنائم الفارسي[7]، تمـــيز بحســـن النظر والدراية، وفي سنة ٤٧٧هـــ/١٠٨٤م أرسل المقتدي بأمر الله رسالة إلى

---

(١) الحســـيني، اخـــبار الدولة السلجوقية، ص ٧٤، ٧٥؛ إبن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢١١، ٣١٤؛ القلقشندي، مآثر الانافة، ج٢، ص ٣،٤؛ العاملي، الدر المنثور، ص ١٠٦، ١٠٨؛ كحالة، إعلام النساء، ج١، ص ١٦٩، ١٧٠.

(٢) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٠٧، ٢١٩؛ الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص ٧٤ن ٧٥؛ إبن الأثير، ج١٠، ص ٢٤٠، ٢٣٤؛ وقـــد ذكـــر كحالة أنها ابنة طوخاج خان، أعلام النساء، ج١، ص ١٦٩. وذكر إبن الجوزي أن تركان بنت طراج وابوها من نسل افراسياب ملك الفرس، إبن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص ١٤.

(٣) العاملي، الدر المنثور، ص ١٠٦، ١٠٨.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ٣٠.

(٥) العاملي، المرجع السابق، ص ١٠٨.

(٦) امين، تاريخ العراق، ص ٧٩.

(٧) تاج الملك أبو الغنائم: هو جمال الدين تاج الملك. المرزبان بن خسرو الشيرازي، ولد سنة ٤٣٨هـــ/١٠٤٦م، وتعلم من أبيه أدب الكتابة، قتل على يد النظامية وهم اتباع نظام الملك، سنة (٤٨٥هـــ/١٠٩٢م). وقد كان وزيراً لتركان خـــاتون، إبن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ٣١٣، ٣١٤. الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٠٧؛ إبن كثير، البداية والنهاية، ص ١٤٤؛ عباس، اقبال الوزارة في عهد السلاجقة، جامعة الكويت، الكويت، ١٩٨٤، ص ١٤٤.

الخـــاتون، تتعلق برغبة الخليفة بأن تتدخل الخاتون لدى السلطة لطرد بني جهير[١] من معسكر السلطان[٢]. وهذا يدلل على مكانة الخاتون في دار الخلافة ولما لها من سلطة ونفوذ.

الصراع والتنافس على ولاية العهد

لعبت النساء وخاصة زوجات السلطان ملكشاه، دوراً في حَبْكِ المؤامرات السياسية من اجـل إي صـــال أولادهــن إلـــى الســلطة، فقد ترك ملكشاه أربعة أولاد من ثلاث نساء وهم: بركياروق[٣] وعمره إثنا عشر عاماً، ومحمود وعمره أربع سنوات، ثم محمد[٤] وسنجر[٥]. وهما من أم واحدة تدعى خاتون السفرية[٦]. ولم تذكر المصادر التاريخية أعمارهم.

---

(١) اسرة بني جهير: هم جماعة من اصل عربي وهم من قبيلة ثعلبة العربية التي توطنت بالعراق، والمؤسس فخر الدولة "محمد بن محمد بن جهير" ولد أربعة أبناء، عميد الدولة محمد وزعيم الرؤوساء، والكافي أبو الــبركات، والمظفــر، وزر لبني العباس (٤٥٤هــ/٥٤١هــ/١٠٦٢/١١٤٦م). وقد تولى أحدهم وزارة السلاجقة، فوزر لتتش بن ألب أرسلان لمدة وجيزة ٤٨٥هــ/١٠٩٢م)، إبن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص ١٢٧، ١٣٤. انظــر: عقلـــة، عصام مصطفى، رسائل أمين الدولة بن الموصلايا، دراسة وتحقيق: رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٧، ص ٤٣٤-٤٣٨. نسخة كتاب إلى الخاتون رقم ٦٦.

(٢) القلقشـــندي، صـــبح الأعشـــى فـــي صناعة الإنشا، شرح وتعليق: محمد حسين شمس الدين، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، ج٥، ص ٤٧٠.

(٣) بركياروق: ركن الدين أبو المظفر تولى الملك (٤٨٦هــ/١٠٩٣م) وتوفي عام (٤٩٨هــ/١١٠٤م)، وهو الإبن الأكبر لملكشاه، الراوندي، راحة الصدور، ص ٢١٤؛ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ص ٧٥؛ إبن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص ٢٦٨.

(٤) محمد بن ملكشاه: أبو شجاع محمد بن ملكشاه بن ألب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق، رجل من الملــوك السلجوقية، له أثار جميلة وسيرة حسنة، أقيمت له الخطبة ببغداد سنة (٤٩٢هــ/١١٠٧) وتوفي سنة (٥١هــ/١١١٧م)، الراوندي، راحة الصدور، ص٢٣٤، إبن خلكان، وفيات الاعيان،ج٥،ص٧١-٧٢

(٥) ســنجر بن ملكشاه: ولد في مدينة سنجار سنة ٤٧٩هــ/١٠٨٦م وهي مدينة معروفة، ولقبه برهان اكبر المؤمنيـــن وحضر الدنيا والدين، كان ملكاً لم يتمتع شخص من آل سلجوق بطول العمر كما تمتع به، قام بتســـعة عشر فتحاً، استولى على غزنة وسمرقند، رحل إلى العراق بعد وفاه اخيه محمد سنة (٥١١هــ/١١١٧م)، الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٥٥، ٢٦٠، ٢٧٩.

(٦) إبــن الجــوزي، المنـــتظم، ج١٧، ص ١٩٩؛ إبن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٥٩٣؛ إبن الساعي، نسار الخلفاء، ص ١٣٠.

لكن المرأة التي كان لها الحضور البارز على الساحة السياسية هي تركان خاتون، التي بذلــت جهدهــا؛ لتجعل السلطنة لإبنها السلطان محمود، وفي حياة زوجها ملكشاه كان الوزير[1] نظــام الملك يقف حائلاً دون تحقيق رغبتها؛ مما جعلها تَكِنُ له الكُره والبغضاء، وقد أثرّت في الســلطان ملكشـــاه، ليسيء الظن بالوزير نظام الملك حتى فكرّ في عزله[2]. وبعد وفاة زوجها ملكشاه سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) [3]، لم تعلن تركان خاتون خبر الوفاة، واخفت نبأ وفاته؛ لتتمكن مــن تثبيت ابنها في ولاية العهد، وكي لا تصل الاخبار إلى الابن الأكبر بركياروق ابن (زبيدة خـــاتون) بنت ياقوتي البالغ من العمر اثنا عشر عاماً[4]، والمقيم في أصفهان بصحبة اتباع نظام الملك، وتمكنت تركان خاتون من السيطرة على الجيش، وضبطت الأموال والأحوال[5] بعد موت زوجهـــا، وأعادت جعفر ابن الخليفة المقتدي من ابنة السلطان ملكشاه إلى ابيه المقتدي[6]؛ لكي تســـتطيع جذب الخليفة إلى صفها، من اجل الحصول على السلطنة لولدها البالغ من العمر أربع سنوات، وحتى تتمكن من مواجهة الطامعين في العرش[7]. ونجحت تركان خاتون في الحصول على ولاية العهد لولدها ببغداد إذ جعله الخليفة العباسي المقتدي سلطاناً على الرغم من اعتراض

---

(١) نظام الملك: الحسن بن علي بن اسحاق بن العباس أبو علي الطوسي، لقب بنظام الملك، وزير السلطانين، ألب ارسلان وولده ملكشاه، توفي سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م. وقد ظل وزيراً تسعاً وعشرين سنة. الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٠٧، إبن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٣١٦؛ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ص ٧٤، للمزيد انظر: اقبال عباس، الوزارة، ص ٦٩، ٨٣.

(٢) إبــن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ٣٠٢، ٣٠٧؛ إبن النظام، محمد بن محمد بن عبد الله، العراضة في الحكايـــة الســـلجوقية، تـــرجمة: عبد النعيم حسين، حسين أمين، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٩، ص ٦٥؛ حسين، سلاجقة ايران والعراق، ص ٧٤.

(٣) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص ١٤؛ إبن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٥٠.

(٤) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص ٢٣٠؛ الراوندي، راحة الصدور، ص ٢١٦؛ إبن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢١١؛ كحالة، أعلام النساء، ج٢، ص ٣٦٦.

(٥) الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ص ٧٤؛ إبن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٥٠.

(٦) الـــراوندي، راحة الصدور، ص ٢١٥؛ إبن الاثير، الكامل، ج١٠، ص ٢١٤؛ إبن الطقطقا، الفخري في الاداب، ص ٩٧؛ إبن النظام، العراضة، ص ٧٢، ٧٣.

(٧) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢١٦؛ العاملي، الدر المنثور، ص ١٠٧.

الخليفة في البداية، لأن ولدها محمود كان لا يزال طفلاً. وبالمقابل اشترط أن يكون اسم السلطنة لولدهــا، والخطــبة له علــى أن يكون مدير زعامة الجيوش الأمير (أُنر)[١]، ويكون تاج الملك مسؤولاً عن جباية الأموال وترتيب العمال[٢]. وبذلت تركان الأموال الطائلة، وأخذت تتودد إلى الأمــير جعفر ولد الخليفة، وتقربت لزوجته مهملك خاتون ابنة ملكشاه، وكانت تناديه بحضور ابــيه بعبارة ابا امير المؤمنين[٣]. واردات أن تقام دار الخلافة وحرماً ملحقاً بها في أصفهان في ســوق العســكر حتى توجد مدرسة ملكه خاتون وأن يقيم الأمير جعفر فيه، وكان ذلك قبل وفاة ملكشاه[٤].

قــد اتاح نفوذها الكبير فرصة التصرف بالكثير من الأموال؛ لحشد الانصار والمؤيدين مــن رجال السياسة والجيش، فقد بذلت الأموال الطائلة للأمراء سراً، وأستحلفتهم لإبنها محمود، وقد ساعدها في ذلك تاج الملك ابن نظام الملك[٥].وأرسلت كربوقاً[٦] إلى أصفهان بخاتم السلطان فتسلمها واظهر أن السلطان أمره بذلك[٧].

---

(١) أنر: خادم السلطان ملكشاه، رضخ لتحريض مؤيد الملك وزير بركياروق السابق (المعزول)، حتى خرج إلــى الري معلناً العصيان، قتل على يد الباطنية بضربة خنجر، سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٧م. الراوندي، راحة الصدور، ص ٢١٨، ٢٢٣.

(٢) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢١٥؛ إبن النظام، العراضة في الحكاية السلجوقية، ص ٧٢، ٧٣.

(٣) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢١٦.

(٤) الراوندي، المصدر السابق، ص ٢١٦.

(٥) الــراوندي، راحــة الصدور، ص ٢١٦، ٢١٨؛ إبن النظام، العراضة، ص ٧٤؛ العاملي، الدر المنثور، ص ١٠٦.

(٦) كــربوقاً الأمير قوام الدين أبو سعيد، أول أمراء السلاجقة الذين تولوا حكم الموصل، وذلك بعد استيلائه علــيها فــي ســنة ٤٨٩هـ/١٠٩٥م، وأعلن الخطبة على منابرها، واعمالها باسم السلطان بركياروق، الراوندي، راحة الصدور، ص ٢١٧؛ إبن الاثير، الباهر في الدولة الاتابكية، ص ١٦.

(٧) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢١٧؛ العاملي، الدر المنثور، ص ١٠٧.

ثم أنها ارسلت الأمير "كربوقاً" للقبض على السلطان بركياروق[١]، خوفاً من أن ينازع ولدهـــا على السلطة، وكان بركياروق موجوداً في أصفهان[٢]. لكن حرس بركياروق النظاميين خلصـــوه من السجن[٣]، وكانت والدته "زبيدة خاتون" تخاف عليه من تركان، إلاّ أن الفرج اتاها فقـــد حماه النظاميون[٤]، وفي نفس الوقت عادت تركان خاتون مع ولدها محمود من بغداد إلى أصفهان، وتحصنت بها[٥]. وظهرت عداوة بين تركان ونظام الملك وزير ملكشاه. والسبب يرجع إلى أن السلطان كان له ولد من تركان، وشاءت تركان أن تجعله ولياً للعهد[٦]، وكان نظام الملك يمـــيل إلى بركياروق، ويحث السلطان ملكشاه على توليته. وكان السلطان يرى أن بركياروق احق بولاية العهد[٧]، ثم إن خاتون سيّرت الجيوش بعد وفاة زوجها لقتال بركياروق بالقرب من بروجـــرد[٨]، فـــي سنة (٤٨٥هـــ/١٠٩٢م) إلاّ أن جيش خاتون هُزم فرجع إلى أصفهان، فتقدم بركـــياروق وحاصــــرهم هـــناك[٩]. وكان تاج الملك وزير خاتون قد شهد الوقعة؛ لأنه كان في عسكر خاتون، فهرب إلى نواحي بروجرد، إلاّ أن عسكر بركياروق، ألقوا القبض عليه وحملوه إلى بركياروق. وقد حاول التقرب من النظاميين ولكن ذلك لم يجدهِ نفعاً، وسرعان ما تلاشى ما

---

(١) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢١٧.

(٢) اصـــفهان: مدينة من أعلام المدينة، أصفهان اسم للأقليم بأسره، وهي من نواحي الجبل، الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٢٠٦.

(٣) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢١٧؛ إبن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢١٥.

(٤) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢١٧.

(٥) الـــراوندي، راحـــة الصـــدور، ص ٢٠٨. وانظـــر، الجميلي، رشيد عبدالله؛ امارة الموصل في العصر السلجوقي، مكتبة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٠، ص ٧٩.

(٦) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٠٨.

(٧) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٠٨.

(٨) بروجـــرد: بلدة بين همذان وبين الكرج وهي مدينة حصينة كثيرة الخيرات، الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٤٠٢.

(٩) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢١٧؛ الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص ٧٤.

بعض المصادر التاريخية أن تركان خاتون " اعطت بركياروق خمسمائة الف دينار من ميراث ابيه حتى يخرج من اصفهان إلى همذان، فخرج بعد أن تسلم المال"(١). وقد ساعدها في ذلك كل مـــن "مجـــد الملـــك القمـــي"(٢) "تاج الملك أبو الغنائم" وأمير الجيش "أنر" والأمير "بلكابك"(٣)، واتصـــلت تركان خاتون الجلالية بتتش تاج الدولة(٤)، وذلك في سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) ولكن المـــرض حال دون هذا الاتصال، فعادت إلى اصفهان بعدها وأوصت الأمراء أن يحفظا السلطة لابـــنها محمود بن ملكشاه أن اصابها مكروه، ومما هو جدير بالإشارة أن تركان خاتون لم يبق بـــيدها ســـوى قصبة أصفهان، وكانت تملك بعض من الفرسان عددهم عشرة آلاف فارس من الاتراك ومعها من الأموال ما يقارب ثلاثة الاف دينار قد انفقتها كهبات وعطايا من الأمراء من أجـــل حفـــظ الســـلطة لإبنها محمود، وبعد موتها سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م). لم يستطع السلطان محمـــود أن يدبر أموره (٥). ووجد بعدها بركياروق بعدها أن عليه أن يواجه عمه تتش وكان قد استســـلم لأخيه محمود بأصفهان، ولكن "أنر" و"بلكابك" أمرا بسمل عين بركياروق فجأة أصيب محمـــود بالجدري، حيث توقف الأمراء عن فعلتهم، وبعدها مات محمود وجلس بركياروق على العرش(٦).

---

(١) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢١٨.

(٢) مجـــد الملـــك: أبـــو الفضـــل القمي البلاساني، الملقب بمجد الملك، اتخذته زبيدة خاتون وزيراً لها لتدير شؤونها، البـــنداري، تـــاريخ مختصـــر دولة آل سلجوق، ص ٨١، وذكر الراوندي أنه ايضاً كان يدبر امور تركان، راحة الصـــدور، ص ٢١٨. انظـــر: Klausar, carla, The seljuk Vezirate Centeridor Middle Eastern studies, CamRiod Gel, 1973, p. 47.

(٣) سرمز بلكابك: كان شحنة لمدينة اصفهان قتله الباطنية فيها سنة (٤٩٣هـ/١٠٩٩م) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢١٨.

(٤) تتش: تاج الدولة بن ألب أرسلان، نافس بركياروق ومحمود على السلطنة، بعد موت أخيه ملكشاه، ملك ميافارقين ديـــار بكـــر، مات سنة ٤٨٨هت/١٠٩٥م؛ إبن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص ١٩؛ إبن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢١٩، ٢٤٤؛ إبن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص ٢٩٥.

(٥) إبن الساعي، نساء الخلفاء، ص ١٣٢.

(٦) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢١٩.

ومما تجدر الإشارة إليه عند تفسير العوامل التي أثّرت في تصرفات تركان خاتون الجلالية، أسباب نفوذها وسيطرتها، أنها كانت شديدة التأثر باسلوب نشأتها، فقد كانت من نسل الملوك الترك[^1]، ويبدو أن نشأتها الأولى هذه في بيت نفوذ وسيطرة خلق في نفسها حُب الزعامة والسلطة، مما انعكس على سلوكها في الحياة السياسية، اثناء حياتها مع زوجها السلطان ملكشاه السلجوقي، وربما يكون السبب الآخر هو تمتعها بصفات الدهاء والقدرة على تدبير الأمور، وقد اختار الأمراء والوزراء ولدها، ليكون ولياً للعهد؛ لأنهم من صنائعها، وقد بذلت كثيراً من الاموال من اجل هذا الأمر. ومما تجدر الإشارة إليه أن زبيدة خاتون ام السلطان بركياروق، قد لعبت دوراً مهماً في الحياة السياسية.

وكانت زبيدة خاتون[^2] ذات نفوذ وحنكة، وقد اتخذت مجد الملك القمي الوزير السلجوقي وزيراً لها؛ ليساعدها في تدبير شؤون البلاد وكذلك كان في خدمة السلطان بركياروق[^3]. وتدخلت زبيدة خاتون مع وزيرها في تحريض السلطان بركياروق على عزل الوزير مؤيد الملك[^4]، فلجأ إلى جماعة من الأمراء وبعض رجالات العراق في اصفهان وهمذان، وحرضهم على عصيان السلطان وأمه "زبيدة خاتون"[^5].

---

[^1]: (١) كانت تركان خاتون بنت طفقاج خان زوجة للسلطان ملكشاه، وابوها المظفر عاد الدولة إبراهيم طفقاج خان بن نصر وهذا احد ملوك الخانية فيما وراء النهر في السلطنة في سنة (٤٤٠هـ/٤٦٠هـ - ١٠٤٨/١٠٦٧م). الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٠٧.

[^2]: (٢) زبيدة بنت ياقوتي بن داوود، زوجة السلطان ملكشاه، وام السلطان بركياروق، وابنة عم السلطان ملكشاه، البنداري، تاريخ مختصر دولة ال سلجوق، ص ٨١؛ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ص ١٥٦. انظر Carla L. Vezirate, p. 47.

[^3]: (٣) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٢٤؛ اقبال، الوزارة، ص ١٦٧، ١٦٩.

[^4]: (٤) مؤيد الملك، عبدالله بن الحسين المعروف بالذكاء، استوزره بركياروق سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٣م) وتم عزله في سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م، وقتل في سنة٤٩٥هـ/١١٠٠م، إبن النظام، العراضة، ص٨١. اقبال عباس، الوزارة،ص ١٦٨

[^5]: (٥) الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ص ٧٦، ٧٧؛ إبن الاثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٥٢-٣٥٣؛ اقبال عباس، الوزارة، ص ٢٨٤.

وقدمت زبيدة الرشاوي لأعداء (مؤيد الملك) وذلك بمساعدة الوزير (فخر الملك)(١) لإبعاد مؤيد الملك عن الوزارة وليحل محله(٢)، فلجأ مؤيد الملك إلى السلطان محمد بن ملكشاه، ليحرضه على أخيه بركياروق وتوجه إلى كنجة(٣)، فاستجاب السلطان محمد لذلك ورحب به واتخذه وزيراً(٤).

وأستطاع مؤيد الملك من دخول الري سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، فألقى القبض على زبيدة خاتون، وحبسها في إحدى قلاع الري(٥)، وجعلها تكتب اقراراً تتعهد فيه بدفع خمسة الاف دينار، وعلى الرغم من ذلك قام بقتلها(٦). وفي رواية أخرى أنَّ السلطان محمد بن ملكشاه هو من ألقى القبض عليها وقتلها(٧).

ويمكن تفسير ما فعله مؤيد الملك، من محاولة انتقامه من الخاتون (زبيدة) ووزيرها مجد الملك واخيه فخر الملك، وأن الخاتون زبيدة شاركت في مؤامرة عزله، وأما مؤيد الملك فقد زُج به في السجن، وقد كتب أبياتاً من الشعر أثناء سجنه، يستعطف بها زبيدة خاتون ومما قاله:

(مجزوء الكامل)

---

(١) فخر الملك: حسن بن نظام الملك، أبو الفتح المظفر الدين الاكبر لنظام الملك، تولى ي عهد السلطان بركياروق وتم خلعه سنة (٤٩٠هـ/١٠٩٦م)، وعينه السلطان سنجر وزيراً له، واغتيل على يد الباطنية سنة (٥٠٠هـ/١١٠٦م). إبن النظام، العراضة، ص ٨١؛ اقبال عباس، الوزارة، ص ٢٨٤. انظر، أمين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، في العصر السلجوقي، ص ٨٠.

(٢) حسنين، سلاجقة ايران والعراق، ص ٨٩.

(٣) كنجة: مدينة عظيمة وهي قصبة بلاد آران، وأهل الأدب يسمونها جنزة، وهي من نواحي رستاق خوزستان وأصبهان؛ الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٤٨٢.

(٤) البنداري، تاريخ مختصر دولة ال سلجوق، ص ٨٥؛ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ص ٣٦، ١٩٢؛ اقبال عباس، الوزارة، ص ١٦٠-١٦١.

(٥) البنداري، تاريخ مختصر دولة ال سلجوق، ص ٨٥.

(٦) إبن الاثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٨٨؛ إبن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٦، ج٢، ص ٢١١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص ٢٤٢؛اقبال عباس، الوزارة،ص ١٩٤

(٧) البنداري، تاريخ مختصر دولة ال سلجوق، ص ٢٦٩؛ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ص ٧٧.

وقدمـــت زبـــيدة الرشاوي لأعداء (مؤيد الملك) وذلك بمساعدة الوزير (فخر الملك)[١] لإبعـــاد مؤيد الملك عن الوزارة وليحل محله[٢]، فلجأ مؤيد الملك إلى السلطان محمد بن ملكشاه، ليحرضـــه علـــى أخيه بركياروق وتوجه إلى كنجة[٣]، فاستجاب السلطان محمد لذلك ورحب به واتخذه وزيراً[٤].

وأســـتطاع مؤيـــد الملك من دخول الري سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، فألقى القبض على زبيدة خاتون، وحبسها في إحدى قلاع الري[٥]، وجعلها تكتب اقراراً تتعهد فيه بدفع خمسة الاف ديـــنار، وعلى الرغم من ذلك قام بقتلها[٦]. وفي رواية أخرى أن السلطان محمد بن ملكشاه هو من ألقى القبض عليها وقتلها[٧].

ويمكـــن تفســـير ما فعله مؤيد الملك، من محاولة انتقامه من الخاتون (زبيدة) ووزيرها مجد الملك واخيه فخر الملك، وأن الخاتون زبيدة شاركت في مؤامرة عزله، وأما مؤيد الملك فقد زُج به في السجن، وقد كتب أبياتاً من الشعر أثناء سجنه، يستعطف بها زبيدة خاتون ومما قاله:

(مجزوء الكامل)

---

(١) فخر الملك: حسن بن نظام الملك، أبو الفتح المظفر الدين الاكبر لنظام الملك، تولى ي عهد السلطان بركياروق وتم خلعه سنة (٤٩٠هـ/١٠٩٦م)، وعينه السلطان سنجر وزيراً له، واغتيل على يد الباطنية سنة (٥٠٠هـ/١١٠٦م). إبـــن الـــنظام، العراضـــة، ص ٨١؛ اقـــبال عباس، الوزارة، ص ٢٨٤. انظر، أمين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، في العصر السلجوقي، ص ٨٠.

(٢) حسنين، سلاجقة ايران والعراق، ص ٨٩.

(٣) كـــنجة: مديـــنة عظـــيمة وهي قصبة بلاد آران، وأهل الأدب يسمونها جنزة، وهي من نواحي رستاق خوزستان وأصبهان؛ الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٤٨٢.

(٤) البـــنداري، تـــاريخ مختصر دولة ال سلجوق، ص ٨٥؛ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ص ٣٦، ١٩٢؛ اقبال عباس، الوزارة، ص ١٦٠-١٦١.

(٥) البنداري، تاريخ مختصر دولة ال سلجوق، ص ٨٥.

(٦) إبـــن الاثـــير، الكـــامل، ج١٠، ص ٢٨٨؛ إبن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٦، ج٢، ص ٢١١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص ٢٤٢؛اقبال عباس، الوزارة،ص ١٩٤

(٧) البنداري، تاريخ مختصر دولة ال سلجوق، ص ٢٦٩؛ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ص ٧٧.

ماذا اقول عن إمرئ جمع المعاير والمعايب عادت مناقب والدي من شؤم منصبه مثالب[1].

٣ـ الزواج السياسي في العصر السلجوقي

نــرى من خلال ما تمّ عرضه أن العديد من زوجات الخلفاء والسلاطين مارسن دوراً مؤثراً في الحياة السياسية، واستطعنّ فرض رغباتهن بوسائل عدة: كالرشاوي، واستخدام أساليب المكــر والخــداع، والإيقاع بين الخصوم. كما أن العنصر النسوي مارس دوراً طغى على دور الرجال في بعض الأحيان، فنراهم – أي الرجال– يستعينون بالزواج السياسي من بعض النساء؛ لممارسة دور أو لتعزيز نفوذ، أو للحصول على سلطة، فنجد أن اول تلك المصاهرات ما تم بين الخلـيفة القــائم والسلطان طغرلبك، وحدث ذلك عند دخول طغرلبك إلى بغداد سنة (٤٤٧هـــ/ ١٠٥٥م)، بعدما ساءت الأمور في عهد الخليفة القائم بأمر الله العباسي، لاستبداد البساسيري[2]، لكــن طغرلــبك وجنوده تخلصوا من البساسيري بقتله، وحملوا رأسه إلى بغداد، وطافوا به في الشوارع[3]. ليعلم الناس بقتله والتخلص من شروره وإيذائه لهم.

أ. زواج الخلفاء والسلاطين:

حــاول الســلطان طغرلــبك التقرب من الخليفة القائم بأمر الله، فقام بتزويج ابنة اخيه (ارســلان خديجة) من الخليفة وذلك سنة (٤٤٨هــ/١٠٥٦م)، ليزداد قرباً منه، وليتشرف بهذا النســب علــى غيره من الملوك والأمراء[4]. وتكرّر ذلك في عهد ألب أرسلان السلجوقي الذي

---

(١) البنداري، تاريخ مختصر دولة ال سلجوق، ص ٨٤.

(٢) المقريــزي، تقي الدين ابو العباس، اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (د.ت)، ج٢، ص ٧٦.

(٣) إبن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٣٢١.

(٤) إبن العمراني، الانباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٩٠؛ إبن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ٤.

زوّج ابنـــته مـــن المقتدي بأمر الله في سنة (٤٦٤هـــ/١٠٧١م)[١]، حيث طلب الخليفة القائم أن يخطـــب ابنة (ارسلان خاتون) من زوجته (سفرى خاتون) لولي عهده المقتدي، وتم عقد النكاح بظاهر نيسابور، وكان عميد الدولة بن جهير وكيل في قبول النكاح، ونظام الملك وكيلاً من جهة السلطان[٢].

كمـــا أن الخلـــيفة المقتدي بأمر الله تزوج من ابنة السلطان ملكشاه في سنة (٤٨٠هـــ/ ١٠٨٧م)[٣]، وقد جاءت الأحداث كما يلي: فبعد أن تملّك طغرلبك بغداد، أراد أن يوطد العلاقة بينه وبين الخليفة بتزويجه من أرسلان خاتون خديجة، بنت داوود أبنة أخيه، فقبل الخليفة القائم وأجـــرى العقد بنفسه، وذهبت والدته (قطر الندى) وأحضرتها إلى دار الخلافة[٤]. وبعد استيلاء طغرل على بغداد[٥]، تم عقد النكاح سنة (٤٤٨هـــ/١٠٥٦م) على صداق مقداره مائة الف دينار، وحضر العقد عميد الملك الكندري وجمع من الأعيان[٦]، وأراد السلطان من ذلك الزواج التجمّل بـــه علـــى الملـــوك، ويرجع زواج الخليفة القائم من أرسلان خاتون لأسباب منها: الرغبة برد الجميل للسلاجقة، الذين خلصوه من البساسيري، وساعدوه على تثبيت ملكه.

ولـــم يكـــتف الســـلطان بـــزواج الخليفة من ابنة أخيه، فقد لعبت المساعدة التي قدمها السلاجقة للخليفة القائم دوراً في تشجيع السلطان طغرلبك على طلب ابنة الخليفة القائم، وذلك بعد

---

(١) إبن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص ١٩٩؛ إبن الاثير، الكامل، ج١٠، ص ٧١.
(٢) البـــنداري، تـــاريخ مختصـــر دولـــة ال ســـلجوق، ص ٢٤٣، انظر: أمين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي،، ص ٧٣-٧٤.
(٣) إبـــن الاثـــير، الكامل، ج١٠، ص ٤٨٣، النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص ٢٥٠. إبن العماد، شذرات الذهب، ج٣، ص ٢٧٦.
(٤) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص ١٩٥؛ إبن العمراني، الانباء، ص ١٩٠؛ نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢٢١، إبن الوردي، تاريخ إبن الوردي، ج١، ص ٣٤٤؛ النويري.
(٥) الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ص ٥٨.
(٦) سبط إبن الجوزي، مرآة الزمان، حوادث (٤٤٨-٤٨٠هـــ)، ص ٢؛ الصفدي، الوافي، بالوفيات، ج١٣، ص ٢٩٨.

وفـــاة زوجته سنة ٤٥٣هــ/١٠٦١م، وعدّ ذلك جرأة لم يسبق أحد إليها(١). ولكن الخليفة رفض ذلك بشدة وحاول التخلص بوضع شروط تعجيزية، منها: طلب الخليفة القائم من رسول السلطان طغرلبك أنه إذاً ما صمم طغرلبك على أن يتزوج من أبنة الخليفة القائم أن يكون مهرها ثلاثمائة الـــف دينار وان -يسلم في نفس الوقت إلى الخليفة "واسط واعمالها" وان يقيم السلطان في بغداد ولا يـــرحل عنها ابداً(٢)، اعتقد الخليفة أنها كفيلة بجعل طغرلبك يصرف النظر عن الزواج(٣). لأن الخلفاء العباسيين لا يريدون اختلاط الأنساب فكان الزواج على قاعدة الشرف لا الاجتماع.

إلاّ أن الخلـــيفة القـــائم بأمر الله رضخ اخيراً لطلب طغرلبك الذي تمثل بعضها بسلبه بعض اقطاعاته ومضايقته وإضعاف هيبته(٤)، وعقد الزواج بواسطة وكيل السلطان عميد الملك الكـــندري سنة (٤٥٤هــ/١٠٦٢م)، على صداق بلغ مائة الف دينار(٥)، وفي رواية أخرى على صداق مبلغه اربعمائة درهم من الفضة ودينار واحد من الذهب(٦)، وتم الزفاف سنة (٤٥٥هــ/ ١٠٦٣م)(٧)، وحضر طغرلبك إلى بغداد وأقام حفلاً للزفاف عبر فيه عن سروره العظيم للشرف الذي حصل عليه بزواجه من ابنة الخليفة على الرغم من أنه كان زواجاً شكلياً نتيجة ما اشترطه

---

(١) إبن العمراني، الانباء، ص ١٩٨؛ إبن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ٦٥؛ إبن الاثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٠، ٢١؛ إبن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ٨٦.

(٢) إبن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ٩٤.

(٣) إبـــن الجـــوزي، المنتظم، ج١٦، ص ٦٥؛ إبن الاثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٠؛ انظر سبط إبن الجوزي، مرآة الزمان، حوادث (٤٤٠-٤٩٠هــ)، ص ٦٥؛ إبن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ٨٦.

(٤) إبـــن الجـــوزي، المنتظم، ج١٦، ص ٧٢؛ إبن الاثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٠، ٢١، سبط إبن الجوزي، مرآة الزمان، حوادث (٤٤٠-٤٩٠هــ)، ص ١٦٧، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٥.

(٥) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٧٦، ١٧٧؛ إبن الاثير، الكامل، ج١٠، ص ٢١؛ إبن الوردي، تاريخ إبن الوردي، ج١، ص ٣٥٦، ٢٥٨.

(٦) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٧٧. الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ص ٢٢.

(٧) إبن الاثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٥؛ إبن العماد، شذرات الذهب، ج٣، ص ٢٩٤١.

الخليفة بأن يكون هذا الزواج على قاعدة الشرف لا الاجتماع[١]. وبعد سبعة شهور مكثها في بغداد توجه إلى اذربيجان قاصداً تبريز عاصمة ملكه[٢]. وهناك مرض ومات عن عمر يناهز السبعين، وعادت العروس ابنة الخليفة القائم إلى بغداد ومعها مهرها[٣]. ولم تذكر المصادر التاريخية اية معلومات عن اسم ابنة الخليفة القائم، وتذكر رواية أخرى أن طغرلبك قدم إلى بغداد سنة (٤٥٥هـ/١٠٦٣م)، ودخل بإبنه الخليفة[٤]، وهذه الرواية تناقض الرواية السابقة التي تحدثت عن زواج شكلي، وعلى شرط وضعه الخليفة، وتم الاتفاق عليه مع السلطان عنوانه (الشرف لا الاجتماع).

ولم يكن زواج السلطان طغرلبك من ابنة الخليفة القائم الزواج الوحيد في العصر السلجوقي، بل إذ أن السلطان ملكشاه اعاد الكرّة، فأرسل الفقيه محمد بن عبدالرحمن النسوي[٥] إلى بغداد؛ ليخطب له ابنة الخليفة المقتدي، لكن الخليفة بتشجيع من النسوي رفض؛ لئلا يختلط نسبه مع الأتراك السلاجقة[٦]، ولم تذكر المصادر التاريخية رد فعل السلطان على هذا الرفض.

---

(١) إبن الاثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٥؛ البنداري، تاريخ مختصر دولة ال سلجوق، ص ٢٦؛ إبن كثير، البداية والنهاية، ١٢٤، ص ٩٦.

(٢) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٧٦؛ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ص ٢١؛ إبن الوردي، تاريخه، ج١، ص ٣٥٦.

(٣) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ٢٧٥؛ الراوندي، راحة الصدور، ص ١٧٧، ١٧٨؛ البنداري، تاريخ مختصر دولة ال سلجوق، ص ٢٧.

(٤) البنداري، تاريخ مختصر دولة ال سلجوق، ص ٢٦؛ إبن الوردي، تاريخ، ج١، ص ٢٥٦؛ ابو الفداء، تاريخ ابو الفداء المسمى (المختصر في اخبار البشر)، ج١، ص ٥٤١.

(٥) الفقيه النسوي، محمد بن عبدالرحمن بن أحمد الشافعي، النسوي (ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م). فقيه، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ٤٧٧؛ السبكي، تاج الدين، أبو نصر بن علي، طبقات الشافعية الكبرى: تحقيق عبد الفتاح الحلو، محمود الضاحي، مطبعة عيسى الحلبي، ١٩٦٦، ج٤، ص ١٧٥.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ٤٧٨؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج٤، ص ١٧٦.

وفـــي سنة (٤٥٢هـ/١٠٦٠م) تزوج طغرلبك من زوجة أخيه داوود، والدة سليمان بن داوود، ووصى له بالملك سنة (٤٥٣هـ/١٠٦١م) [١].

وتـــزوج الخليفة المقتدي من ابنة السلطان ألب ارسلان "خاتون السفرية"[٢] سنة (٤٦٤ هـــ/١٠٧١م) [٣]، وكانـــت تلقـــب بتاج الدين،[٤] وفي سنة (٤٧٤هـ/١٠٨١م) ارسل الخليفة المقتدي وزيره فخر الدولة أبا نصر بن جهير إلى السلطان السلجوقي ملكشاه لخطبة ابنة (مهملك خـــاتون) [٥]، فدعـــا السلطان وزيره نظام الملك إلى أن يمضي هو ووزير الخليفة إلى زوجته تـــركان خاتون، صاحبة الكلمة المسموعة والسيطرة[٦]، فطلبت مبلغاً كبيراً يقدر بأربعمائة ألف ديـــنار، محتجة بان ملوك غزنة وملوك الخاقانية، عرضوا مثل ذلك، فإن فعل حصل القبول[٧]. وقـــد دخلـــت أرســـلان خـــاتون زوجة القائم لاقناعها لما في ذلك من حصول الشرف والفخر والاتصـــال بالخليفة، كما أن الذين ذكروا لا يعدو أن يكونوا خدماً وعبيداً عند الخليفة، والخليفة

---

(١) إبـــن الاثير، الكامل، ج١٠، ص ٦؛ النويري، نهاية الارب، ج ٢٦، ص ٢٩٨؛ إبن الوردي، تاريخ إبن الوردي، ج١، ص ٣٥٣. انظر: عقلة، رسائل أمين الدولة، ص ٩٢، ٩٧.

(٢) خـــاتون السفرية بنت ألب ارسلان، تركية ام للسلطانيين محمد وسنجر، وهي جدة السلطان محمود لأبيه، كثيرة الصدقات والبر والاحسان، لها مواقف خير كما أن سبيل للحجاج على طريق مكة وبعد تمكنها من الملـــك، بحثت من أهلها، وبذلت الاموال للاجتماع بهم واحضارهم، اتخذت شرف الدين سعد بن علي بن عيسى القمي ولقبه وجيه الملك، وقدم لسنجر ٥١٥هـــ/١١٢١م، ولقبت بتاج الدين، توفيت سنة ٥١٥هـــ/ ١١٢١م، واقـــيم لها العزاء ثلاثة ايام لم يشهد مثله الناس، إبن الجوزي، المنتظم، ج ١٧، ص ١٩٩. إبن الاثـــير، الكـــامل، ج١٠، ص ٥٩٣. سبط إبن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ٩٩؛ إبن الساعي، نساء الخلفاء، ص ١٣٠، اقبال عباس، الوزارة، ص ١٧٩، ٣٦٣.

(٣) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص ١٩٩؛ إبن الاثير، الكامل، ج١٠، ص ٧١.

(٤) حظـــية: المـــرأة التي تفضل على غيرها في المحبة، المعجم الوسيط، مادة (حظ)، شرح: إبراهيم أنيس وآخرون، مجمع اللغة واحياء التراث، ج١، ص ١٨٤.

(٥) إبن الساعي، نساء الخلفاء، ص ١٠٩.

(٦) الـــراوندي، راحـــة الصدور، ص ٢٠٧؛ البنداري، تاريخ مختصر دولة ال سلجوق، ص ٧٢؛ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ص ١٥٠.

(٧) البنداري، تاريخ مختصر دولة ال سلجوق، ص ٧٢.إبن الاثير، الكامل، ج١٠، ص ١٢٠؛ أمين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي،،ص ٧٦

لا يُطلب منه أي مال[١]، فوافقت الخاتون تركان مشترطة على الخليفة "أن لا يبقى له سرية ولا زوجـــة غيرها، ولا يكون مبيته إلاّ عندها" وان يدفع معجلاً مقداره خمسين الف دينار للخاتون بنت ملكشاه[٢]، وتمّ الزفاف في سنة (٤٨٠هـ/١٠٨٧م) [٣]، وقد جهزت بجهاز لم ير أحداً مثله؛ لكونها ابنة سلطان، وقد روت بعض المصادر أن جهازها (أي مصاغها) قد وضع في صناديق مليئة بالذهب وأنواع الجواهر[٤]. ثم نقل إلى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملاً مجللةً بالديباج الرومي وكان غالبها من من أواني الذهب والفضة، وعلى أربع وثلاثين بغلة، وبين يدي البغال ثلاث وثلاثون فرساً عليها مراكب الذهب مرصعةً بالجواهر ومهداً عظيم مجلل بالديباج الملكي عليه صفائح الذهب مرصع بالجواهر[٥].

وفـــي أواخـــر ايام الخليفة المقتدي بأمر الله كانت العلاقة بين السلطان ملكشاه والخليفة على غير ما يرام، حيث كان الخليفة المقتدي مثل القائم في اتخاذه من السلاجقة حماةً يتقي بهم، وبهـــذا الزواج جرّ على نفسه الذل والاهانة إن لم يخضع لطلب السلطان، في جعل ولاية العهد لأبـــي الفضل جعفر ابن المقتدي من ابنة ملكشاه[٦]، وإبعاد أحمد المستظهر ابن الخليفة المقتدي عـــن ولايـــة العهد الذي كان يريد ولاية العهد له[٧]. وأرسلت الخاتون زوجة الخليفة إلى أبيها

---

(١) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ٢٢٣؛ إبن الاثير، ج١٠، ص ١٢٠. أمين، تاريخ العراق، ص ٧٧.
(٢) إبـــن الاثـــير، الكامل، ج١٠، ص ١٢٥؛ إبن الساعي، نساء الخلفاء، ص ١١٠؛أمين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي،،ص ٧٧
(٣) إبن الاثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٨٣.
(٤) إبن الساعي، نساء الخلفاء، ص ١١٠؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٢٤٩، ٢٥٠؛ إبن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ١٣٢، ١٣٣.
(٥) إبن الاثير، الكامل، ج١٠، ص ١٦٠؛ إبن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص ١٣٢-١٣٣.
(٦) انظر: Muire, the Caliphate, p 585.، انظر أمين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي،، ص ٧٨.
(٧) إبن خلكان، وفيات الاعيان، ج٥، ص ٢٨٨.

الســلطان تشــكو اليه الخليفة وإهماله لها[1]، فأرسل السلطان ملكشاه إلى الخليفة لاستعادة ابنته، فســارت ومعهــا ابنها جعفر أبو الفضل بن المقتدي بأمر الله[2]، ووصلت إلى أصفهان وتوفيت هناك، وأقيم لها العزاء ثلاثة أيام وذلك سنة (٤٨٢هـ/١٠٨٩م)[3]. ولم يقف السلطان عند هذا الحدّ، بل فكر في نقل مقر الخلافة إلى أصفهان[4]، وعزل الخليفة المقتدي، بمساعدة فخر الدولة بن جهير، وبموافقة نظام الملك، وبدأ يتهم الخلافة بتأييد منافسيه في الإدارة السلجوقية[5]، ثم قام بإنذار الخليفة وطلب منه مغادرة بغداد[6]، إلاّ أن وفاة ملكشاه سنة (٤٨٥هـ/١٠٩١م)[7] حالت دون تنفيذ ذلك.

وحــدث زواج آخــر تمثل بزواج الخليفة المستظهر سنة (٥٠٢هـ/١١٠٨م) من ابنة السلطان ملكشاه الثانية عصمت خاتون، وكانت جليلة القدر ومن أعقل النساء، وكان صداقها مائة الــف ديــنار[8]، وكان الهدف من وراء هذا الزواج تعزيز شرعية وحكم ملكشاه امام منافسيه، وخاصة اخوه سنجر.

---

(١) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ٢٨١.

(٢) إبــن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ٢٨١، إبن الاثير، الكامل، ج١٠، ص ١٦١، ١٧٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢٥؛ الذهبي، دول الإسلام، ج ٢٢، ص ١١.

(٣) إبن الاثير، الكامل، ج١٠، ص ١٧٥؛ انظر: Muire, The caliphate. P. 585.

(٤) إبن العمراني، الابناء، ص ٢٠٤؛ الراوندي، راحة الصدور، ص ٢١٦.

(٥) سبط إبن الجوزي، مرآة الزمان، حوادث (٤٤٠-٤٩٠هـ)، ص ٤١٣.

(٦) إبــن دقماق، صارم الدين ابراهيم، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق: أحمد كمال الدين، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥، ج١، ص ١٩٨، أنظر: Muire, The Caliphate, p. 585.

(٧) إبن دقماق، الجوهر الثمين، ج١، ص ١٩٨: انظر Muire, The Caliphate, p. 585.

(٨) إبن الساعي، نساء الخلفاء، ص ١٠٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣، ص ٢٥٩.

وتمّ زواج الخليفة المقتفي من أخت السلطان مسعود، وهي فاطمة خاتون بنت محمد بن ملكشـــاه، وقد حضر السلطان بنفسه عقد الزواج[1]، وكان للخاتون تدبير صائب في الأمور[2]. وفي سنة (٥٣٤هـ/١١٣٩م) دخلت الخاتون إلى بغداد مع أخيها مسعود، وأقامت بدار المملكة، وزفّـت بعدهـا إلـى الخليفة[3]، توفيت سنة (٥٤٢هـ/١١٤٧م) [4]. وقد أراد مسعود بن محمد ملكشـاه من هذا الزواج أن "يطهر" نفسه مما حاكه من مؤامرات ضد المسترشد والراشد فضلاً عـن رغبـته في إقامة علاقات ودية مع الخلافة العباسية؛ وذلك لما رآه من التفاف الناس حول الخليفة، باعتباره رمز السلطة الروحية والدينية للمسلمين، ولاكتساب الشرعية أمام منافسيه من السـلاجقة. كمـا أن هذا الزواج مكنه من أحكام السيطرة على الخليفة بطريق لا تثير احتجاج الأهالـي لابتعادها عن العنف. وحدث زواج آخر في سنة (٥٣١هـ/١١٣٦م). إذ اراد السلطان مسـعود أن يتزوج بابنة المقتفي بأمر الله زبيدة[5]، فعقد عليها، إلاّ أن زفافها تأخر خمس سنوات لصـغر سنه[6]. وكان صداقها مائة الف دينار، ولم يتم هذا الزواج، بل كان زواجاً اسمياً؛ لأن

---

(١) إبـن الجـوزي، المنـتظم، ج١٧، ص ٣٢١؛ سـبط إبن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ١٦١؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢٨٣؛ إبن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ٢٨٨.

(٢) إبن الاثير، الكامل، ج١١، ص ١٢٣، النويري، نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢٨٥.

(٣) إبن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ٢٣؛ إبن الاثير، الكامل، ج١١، ص ٧٧؛ إبن خلكان، وفيات الاعيان، ج٥، ص ٧٣.

(٤) إبن الاثير، الكامل، ج١١، ص ١٢٣؛ إبن خلكان، وفيات الاعيان، ج٥، ص ٧٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢٨٥.

(٥) زبـيدة بنت الخليفة المقتفي التي تزوج بها السلطان مسعود، توفيت ٥٨٩هـ/١٢٠١م، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٤، ص ١٧٨.

(٦) إبن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٧٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٦، ص ٢٢٣.

السلطان توفي قبل الزفاف سنة (٥٤٧هـ/١١٥٢م) [1]. وتوفيت زبيدة سنة (٥٨٩هـ/١٢٠١م) [2]. وهذا يشبه مع ما حصل مع السلطان طغرلبك، عندما اراد الزواج بأبنة القائم.

ثم أن السلطان مسعود تزوج سنة (٥٣٢هـ/١١٣٧م) من ابنة (دبيس) بن صدقة، وتدعى سفرى خاتون [3]، وكانت في غاية الحسن والجمال، وقد جاءت بصحبة أمها بنت عميد الدولة ابن جهير إلى الخاتون المستظهرية أخت السلطان مسعود، تشكو ما أصابها من جراء النهب والسلب، فلما بلغه حُسنها تزوجها [4]، وكان هدف السلطان مسعود من هذا الزواج هو أن يتقوى بدبيس بن صدقة، وقيل أنه لما قتل دبيس بن صدقة، تزوج السلطان مسعود من شرف خاتون بنت عميد الدولة بن جهير [5].

نخلص إلى أن الزواج السياسي ربما قد يكون لذات الخصال في الزوجة إلاً انه يخفي الهدف وراء ذلك الزواج، فيما يتعلق بدوافع سياسية وخارجية.

٣ـ زواج بنات الوزراء

وفي خلافة المقتدي تم زواج بين ابن نظام الملك الوزير السلجوقي وبين ابنة فخر الدولة وزير الخليفة [6]. وقد استغل "عميد الدولة" هذا التقارب مع الوزير السلجوقي، فسارع إلى توثيق علاقته مع نظام الملك، ولم يجد أفضل من رباط المصاهرة لتمتين هذه العلاقة، وليشد به

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات (٥٨١-٥٩٠هـ)، ص ٣٢٤، ٣٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٤، ص ١٧٨.

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٤، ص ١٧٨.

(٣) إبن الجوزي، ج ١٦، ص ٢٢٠؛ إبن الاثير، الكامل، ج١١، ص ٦٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٧، ص ٤٦.

(٤) سبط إبن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ١٦٤؛ إبن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ٢٩

(٥) سبط إبن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ١٥٥.

(٦) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص ٢٠٧؛ إبن الطقطقا، الفخري في الاداب السلطانية، ص ٢٨٦.

أزره، فتزوج من ابنة نظام الملك "زبيدة"[1] سنة (٤٦٢هـ/١٠٦٩م) [2]، وبعد وفاتها سنة (٤٧٠هـ/١٠٧٧م) [3]، شعر عميد الدولة بأن النسب مع نظام الملك قد أوشك على الانقطاع، فبادر إلى تجديد الروابط بزواجه من حفيدة الوزير السلجوقي نظام الملك سنة (٤٧١هـ/١٠٧٨م) [4]، وكانت ابنة رئيس جرجان واسمها صفية[5]، وبذلك حافظ على علاقته الجدية مع السلاجقة.

وأكد ابن الهبارية الشاعر[6] في شعره عندما تحدث عن إعادة توزير فخر الدولة بن جهير فقال في شعره:

البحر البسيط

قل للوزير ولا تفزعك هيبتهُ ... وإن تعاظم واستوى لمنصبه

لولا ابنةُ الشيخ ما استوزرت ثانيةً ... فاشكر خيراً صرت مولانا الوزير به[7]

٤. دور الجواري في الحياة السياسية:

لقد لعبت الجواري دوراً مؤثراً في الحياة السياسية باستغلالهن الحظوة التي تمتعن بها عند الخلفاء في فرض أرائهن، وقربنّ واستبعدنّ بعض رجالات الدولة. فهذه أرجوان الأرمنية

(١) زبيدة: ابنة الحسن بن علي بن اسحاق بن العباس، وهي ابنة الوزير نظام الملك وزوجة الوزير عميد الدولة بن جهير تزوجها (٤٦٢هـ) وتوفيت سنة (٤٧٠هـ/١٠٧٧م). انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٤، ص ١٧٩.

(٢) إبن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ٢٢٩؛ انظر: الأصفهاني، عماد الدين بن محمد الكاتب، نصرة الفترة وعصرة الفطرة، مخطوط المكتبة الأهلية، باريس، نسخة في مركز الوثائق في الجامعة الأردنية، شريط ميكروفيلم ورقمه ٢١٤٦، خط ورقة ١٤٨، إبن الطقطقا، الفخري في الاداب السلطانية، ص ٢٩٦.

(٣) إبن العمراني، الانباء في تاريخ الخلفاء، ص ٢٠٢.

(٤) إبن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ١٩٧.

(٥) إبن العمراني، الانباء في تاريخ الخلفاء، ص ٢٠٢.

(٦) إبن الهبارية، نظام الدين أبو يعلى محمد بن محمد العباسي الهاشمي، ت ٥٠٤هـ/١١١٠م أو ٥٠٩هـ/١١١٥م. بدري، العامة في بغداد، ص ٣٤٢.

(٧) إبن الهبارية، شعر إبن الهبارية، تحقيق: فائز الطرابيشي، تقديم: محمد حمّوية، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٧، ص ٤٥؛ الفارقي، تاريخ الفارقي، ص ٢٠٧؛ إبن العمراني، الانباء، ص ٢٠٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٤، ج ١٤، ص ١٧٩.

أو (قـــرة العين)، قد ساهمت مساهمة واضحة في ابقاء الخلافة ضمن نسل القائم بأمر الله، فبعد أن توفـــي ابنه محمد بن القائم، كادت الخلافة أن تخرج من بيت القائم، لولا أن أرجوان أعلنت حملها من ابن الخليفة القائم، حيث ولدت بعد وفاة مولاها بستة أشهر، غلاماً ولقب بالمقتدي[1].

وكـــان للخلـــيفة القـــائم بأمر الله جارية تسمى (وصال)، وكان لها نفوذ سياسي[2]. أما جارية المقتدي (شمس النهار)، فهي من النساء اللواتي كان لهن تأثير مباشر في وصول الخليفة المســـتظهر إلـــى مركـــز الخلافة، وكانت تتمتع بنفوذ واسع من خلال ممارستها لمهام الوزير، وتدبـــيرها لشـــؤون الخليفة في قصر الخلافة[3]، ووافتنا بعض المصادر التاريخية بشواهد على الـــدور الـــذي لعبته "شمس النهار" في كتمان موت الخليفة المقتدي، ومنع الجارية "حسب" من الصراخ، مهددة اياها بالقتل، فاغلقت عليه باب الحجرة[4]. ووضعت من يحرس الباب وارسلت إلـــى عمـــيد الدولة، وتعاهدت معه على تأمين مصلحة أصحابه وأصحابها، فأخذت منه اليمين وقالت: "حسن الله عزاءك في أمير المؤمنين، فقد زممت امر الدار فزمْ انت امر البلد"[5]، من ثم وليّ الخليفة المستظهر ولاية العهد وذلك سنة (٤٨٧-٥١٢هـ/١٠٩٤-١١١٨م).

---

(١) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص ١٦٥؛ البنداري، آل سلجوق، ص ١٤؛ إبن الاثير، الكامل، ج١٠، ص ١٠٧؛ إبن الوردي، تاريخ أبو الوردي، ج١، ص ٣٦٥، ٣٦٦؛ القرماني، اخبار الدول، ص ١٧٣.

(٢) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ٥٥.

(٣) إبن الاثير، الباهر في الدولة الاتابكية، ص ١٣.

(٤) باب الحجرة: موضع بدار الخلافة ببغداد، وهي عظيمة الشأن، وفيها يخلع الوزراء ويحضرون اليها في ايام الموسم للهناء، الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٣٠٧.

(٥) إبن الساعي، الجامع المختصر في تواريخ عنوان عيون السير؛ تحقيق: مصطفى جواد، بغداد، ١٩٣٤، ج ٩، ص ٤١-٤٢؛ إبن خلدون، تاريخ، ج٣، ص ٥٧٥.

وفـــي رواية أخرى وردت في بعض المصادر التاريخية ذكر انها سمته[١]. وأما جارية المستظهر، فكانت تتمتع بالحنكة والتأثير على الخليفة والاطلاع على ما يدور داخل مجلس الحكم من أسرار[٢].

وكان للخليفة المقتفي محظية وهي أم ولده أبي علي، ولما اشتد مرض الخليفة استعانت بـــأحد رجال الدولة واسمه أبو المعالي بن الكيا الهراسي[٣]؛ لجعل ولاية العهد لإبنها[٤]، فاشترط عليها توليته الوزارة، واستعانت بالجواري لقتل المستنجد ابن المقتفي بأمر الله[٥]، وكان للمستنجد خادم صغير يرسله كل وقت للتعرف على أخبار والده، فرأى الجواري بأيديهن السكاكين، ورأى بـــيد أبى علي وامه سيفين، فعاد إلى المستنجد فاخبره وأرسلت إلى المستنجد، تقول أن والده قد حضـــره الموت ليحضر، فلما أراد الدخول لبس الدرع واخذ بيده السيف، فلما دخل ثارت عليه الجواري، فضرب واحدة فجرحها، ودخل الفراشون، واستطاع أن يقتل بعض الجواري، وقبض علـــى أخـــيه وزوجة أبيه وأمر بسجنهما[٦]، وبويع المستنجد بعدها[٧]. وهذه الرواية تذكرنا بما فعلـــته "تـــركان خـــاتون" زوجة السلطان ملكشاه من أجل أخذ ولاية العهد لإبنها، ومحاولة بذل الأمـــوال، وانتهاء الأمر بحروب بين الاخوة. والقضية ليس ما فعلته الجارية ام علي شبيه بما

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات ستة ٤٨١-٤٩٠هـــ، ص ٢١١. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٢٦. إبن العماد، شذرات الذهب، ج٣، ص ٣٨١.

(٢) انظر: البنداري، تاريخ مختصر دولة ال سلجوق، ص ٩٢.

(٣) إبن الكيا الهراسي: أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري، الملقب بعماد الدين، فقيه شافعي، من أهل طبرستان، درس في المدرسة النظامية، ولد في سنة ٤٥٠هـــ/١٠٥٨م وتوفي سنة ٥٠٤هـــ/١١١٠م. إبن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص ٢٨٦، ٢٨٩.

(٤) إبن الاثير، الكامل، ج١١، ص ٢٥٦-٢٥٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢٩٥-٢٦٩.

(٥) إبن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٢٥٧؛ إبن العبري، مختصر تاريخ الدول، ص ٢١١.

(٦) إبن الأثير، ج١١، ص ٢٥٧.

(٧) إبـــن الأثـــير، الكـــامل، ج١١، ص ٢٥٦-٢٥٧؛ إبن العبري، مختصر تاريخ الدول، ص ٢١١. النويري، نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢٩٥-٢٩٦.

فعلــته تــركان خـــاتون زوجة السلطان ملكشاه، وانما القضية منهجية لا تقف على واحدة دون أخرى لأن جميعهن يسعين وراء هذا الأمر في أخذ ولاية العهد لأولادهن وهنا تكثر الدسائل وأن دل هــذا علــى شـــيء فإنمـــا يــدل على التسيب والاعتماد التام على المرأة التي تستغل هذه الصلاحيات لما يحقق أهدافها ورغباتها. ونقف قليلاً عند دور جارية الخليفة المستضيء بأمر الله (الســت بنفشا)[١]، إذ اشارت على الخليفة المستضيء بولاية الناصر لدين الله وتنحية اخيه ابي منصور هاشم عن الولاية سنة (٥٧٠هــ/١١٢٤م) [٢]، على الرغم من أنه ابن زوجها، ولم تكن أما لولد، وفي رواية الذهبي أنها اخفت مرضه[٣]، حتى يتم للخليفة الناصر هذا الأمر.

اما "زمرد خاتون" فكان لها دور بارز في حياة الخليفة المستضيء وحياة ابنها الناصر لدين الله، ولقبت بالجهة، وهي كناية عن السيدة العظيمة من سيدات الخلفاء والسلاطين، وقد ذكر انـــه كـــان لها فضل عظيم في فعل الخيرات[٤]، وكانت شافعية المذهب ومع ذلك كانت ترعى شؤون الحنابلة، وتحسن اليهم[٥].

واشترى بعض الساسة الجواري بأغلى الأثمان لاستخدامها، أما للقتل أو تدبير مؤامرة، يثبــت ذلك ما جاء في بعض المصادر التاريخية عن محاولة قتل الخليفة المستنجد، وفي رواية الذهبـــي فـــي حوادث سنة (٥٥٠هــ-٥٦٠هــ) أن الوزير ابن هبيرة وضع خادماً اسمه (غلبك الكواهرائـــي)، ليشـــتري له جارية، ودفع له مائة ألف دينار، وباعها للسلطان ملكشاه[٦]، واتفق

---

(١) بنفشـــا: معناها بالفارسية زهرة البنفسج، حيث كانت مملوكة من الجواري التي نقلن إلى دار الخلافة العباسية عن طريق سوق النخاسة، وكانت تقية ورعة، سبط إبن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ٣٣٥، ٣٣٩.

(٢) سبط إبن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ٣٣٩.

(٣) إبن دحية، النبراس، ص ١٤٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث (٥٧١هــ/٥٨٠هــ) ص ٣٤.

(٤) إبـــن الكازروني، مختصر التاريخ، ص ٢٤٢؛ القرماني، اخبار الدول، ص ١٧٨. انظر، جواد، مصطفى، سيدات البلاد العباسي، دار الفكر، بيروت، ١٩٥٠، ص ١٦٤.

(٥) جواد، المرجع السابق، ص ١٦٤.

(٦) ملكشـــاه بـــن محمـــود: مغيث الدنيا والدين يمين أمير المؤمنين، كان مولعاً بالشراب والصيد، واستمرت مدة ملكه أربعة اشهر بعد السلطان مسعود، توفي سنة ٥٥٥هــــ، الراوندي، راحة الصدور، ص ٣٥٩.

معهـــا على سمّ السلطان، مقابل أموال أو منصب آخر، فسمّته في لحم مشوي، فأكتشف الأمر، وأقـــرت بذلك بعد أن تعرضت للضرب[١]، وهرب غلبك ووصل إلى بغداد، وقد وفى له الوزير بما وعده، أما السلطان ملكشاه فكانت حظيته خاتون السفرية ام ولديه: محمد وسنجر.

أمـــا (شـــاهان) مولاة الخليفة المستنصر، فهي جارية رومية، كانت من حظاياه، ومن ضـــمن هدايـــاه قُدمت للخليفة، وبلغت منزلة رفيعة ومكانة عالية، وكان لها باب مفرد وديوان ووكلاء ونواب وخدم وحاشية، كما كانت تتصرف في الأموال على حسب إيثارها واختيارها[٢]، وعملـــت جـــراية شهرية للصاغة والتجار والبزازين وأرباب الصنائع بمائة ألف دينار، وكانت كثـــيرة الـــبرّ والمعروف وتنفق للأيتام والأرامل، وبعد وفاة مولاها المستنصر سنة (٦٤٠هـــ/ ١٢٤٢م) بقيـــت كما كانت في خلافة المستعصم. ووفرّ لها نصيباً من التبجيل والإحترام ونقلت بجواريها وخدمها إلى الدار التي نشأت بها، أي دار بنفشا[٣].

وهكـــذا فـــإن الخلفـــاء العباســـين فـــي ظل الحكم السلجوقي اهتموا باقتناء الجواري والمحظيات، وكان لبعضهن دور مؤثر في الحياة السياسية، وبعضهن أطلق عليها اسم (أم ولد)، والتي يطلق عليها عندما تنجب ولداً فتنال العتق والحرية، كذلك كانت معظم أمهات الخلفاء من الجواري، حيث تمتعن بمنزلة رفيعة في دار الخلافة. وان الجواري لعبن دوراً هاماً في مختلف البقاع في الأزمنة المتقدمة.

---

(١) إبن الأثير، الكامل،ج١١،ص٢٦٣. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات(٥٥٠-٥٦٠هـ)، ص ١٨٦.

(٢) إبن الساعي، نساء الخلفاء، ص ١٢٠-١٢١.

(٣) إبن الساعي، نساء الخلفاء، ص ١٢٠-١٢١.

الفصل الثالث

"دور المرأة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية في العصر السلجوقي"

١. المرأة والحياة العامة

أ. المرأة في الأسرة

ب. المرأة في الحياة اليومية

ج. العادات والتقاليد الخاصة بالمراة

٢. وضع المرأة في المجتمع العراقي.

٣. دور المرأة في الحياة الاقتصادية.

١. المرأة في الحياة العامة

أ. المرأة في الأسرة

ما يهمنا هنا هو دور المرأة في الأسرة والحياة العائلية زوجة ومربية للأطفال، وأهم ما نشير إليه هو كيف يتم إختيار الزوج، فلهذا التقليد مراسم خاصة به، فإذا أراد الرجل الزواج كلف إحدى قريباته أو معارفه لتختار له فتاة صالحة يتخذها زوجة له[١]. أو كلّف دلاّلة لتقوم له بهذه المهمة، ويبدوا أن النساء كنّ يتفقن مع الدلالة من أجل أن يحصلن على أزواج لهن. وقد تغشّ الدلاّلة الخاطب؛ فتصف له بعض النساء على غير حقيقتهن كأن تتلاعب بالألفاظ أثناء وصفها، وبذلك تبرئ نفسها من الكذب[٢]. وكان الرجل في العادة لا يستطيع أن يرى الفتاة المخطوبة حتى تُزف اليه، فيوصي الدلالة عند الإختيار بملاحظة جمال المخطوبة وحسنها[٣]. ومما روته بعض المصادر التاريخية حيث ذكر ابن الجوزي "أن دلاّلة جاءت إلى رجل فقالت له: عندي لك امرأة كأنها طاقة نرجس، فتزوجها - فإذا هي عجوز قبيحة، فقال للدلاّلة غششتني فقالت: لا والله وإنما شبهتها بطاقة نرجس لأن شعرها أبيض، ووجهها أصفر، وساقها اخضر"[٤].

وكان للمرأة حرية إختيار الزوج؛ فاحياناً كان يتم الزواج عن طريق التفاهم بين الرجل والمرأة[٥]. وكان الأب هو ولي أمر الفتاة، والعادة الجارية في مثل هذه الأحوال، أن يسال والد الفتاة عن الرجل المتقدم لخطبة ابنته[٦]. وكانت بعض الأمهات تختار الرجل

---

(١) ابن الجوزي، ذم الهوى، ص ٦٣٢.
(٢) ابن الجوزي، أخبار الظراف، اعتناء: القدسي، مطبعة النوفي، دمشق، ١٩٢٨، ص٩٨.
(٣) ابن الجوزي، ذم الهوى، ص٦٣٢. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ١٧٥.
(٤) الأذكياء، ص ٢٢٥.
(٥) ابن الجوزي، ذم الهوى، ص ٣٦٧، ٣٦٨.
(٦) ابن الجوزي، تلبيس ابليس، ص١١٤.

المناســب لأبنتها. فقد طلب أحد الرجال من زوجته أن تخرج إلى الأعياد، وتدخل الأعراس، وتسـأل عـن الرجال المشهورين وأصحاب الأنساب العريقة والأخلاق الكريمة[١]، ويدل هذا علـى أن الأعـياد والأعراس كان يجتمع فيها الخاصة والعامة، مما يسهّل مهمة السؤال عن الرجال أو النساء في هذه المناسبات، ومن التقاليد المعتادة أن يتزوج الرجل من ابنة عمه[٢]، إلا إذا أراد أبوها عامداً أن يزوجّها إلى رجل غريب، وكان يتعذر على الرجل بعد زواجه من ابـنة عمه الزواج بإمرأة سواها[٣]. ومن الرجال من يتزوج من جاريته ومنهم من يعتقها ثم يتزوج منها[٤]، وهكذا فعلت الزوجات فكانت الواحدة تتزوج من أحد مماليك زوجها، ويعرف الزوج بزوج الحرة[٥].

والأهـل لهـم دور بارز في توصية بناتهم بحسن معاملة الأزواج، فقد أوصت الأم أبنتها بأن تكون لزوجها مطيعة، وأن تكون فرحة ولا تكتئب، وقال آخر لابنته "كوني لزوجك أمـةً يكن لك عبداً، وعليك باللطف فإنه أبلغ من السحر"[٦]، ومن النساء من ساعدت خطيبها على رفع قدرته الاقتصادية ومكانته الاجتماعية ليتمكن الزواج منها[٧].

وأهـم شيء في الزواج هو الصداق، واختلف مقدار الصداق بين الفتيات من الفئتين المترفة والفقيرة؛ فالصداق لدى المترفات كزوجات الخلفاء والسلاطين وبناتهم مرتفع جداً، إذ

(١) الصـابئ، غـرس النعمة محمد بن هلال، الهفوات النادرة، مطبعة المجمع العلمي، دمشق، ١٩٦٧، ص٢٨٩.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٣، ص١٧٨؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج٢، ص ٢٩٩.

(٣) ابن الجوزي، ذم الهوى، ص٤٧٩.

(٤) التنوخـي، الفـرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨، ج٤، ص ٣١٥؛ ياقوت، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣، ج٥، ص٣٠٢.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص١١٩.

(٦) البيرونـي، أبـو الريحان محمد بن أحمد، الجماهر في معرفة الجواهر، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٩٣٦، ج١، ص٢١٩.

(٧) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٢، ص ٢٨٧؛ الفرج بعد الشدة، ج٣، ص٧٤.

وصـــل أحـــياناً إلـــى مائة الف دينار، وزاد على ذلك، فعند زواج الخليفة القائم بأمر الله من أرسلان خاتون ابنة أخ طغرلبك، بلغ الصداق مائة ألف دينار، وقد ظل هذا الصداق مضرب الأمـــثال[(١)]، واختلفـــت المصادر أيضا في ذكر صداق ابنة الخليفة القائم بأمر الله، فقد ذكرت بعضـــها أنه بلغ مائة ألف دينار[(٢)]، وذكر بعضها الأخر انه بلغ أربعمائة ألف دينار[(٣)]. وأما عن صداق فاطمة خاتون ابنة السلطان محمد بن ملكشاه، وزوجة الخليفة المقتفي، فقد بلغ مائة ألـــف دينار[(٤)]. أما زوجة الخليفة المقتدي، بنت ملكشاه، فقد ذكر ان صداقها بلغ خمسين ألف دينار عن حق الرضاع، وهذه عادة من عادات الأتراك، وذكرت بعض المصادر الأخرى أنه يقـــدّر بمائة ألف دينار، واصبح هذا المقدار من الصداق عادة متبعة[(٥)]. وربما تكون الخمسين الألف الأخرى بدل حق الرعاية حيث كانت عادة متبعة في المجتمع أو كنوعٍ من المباهاة.

وأمـــا صداق نساء العامة والفقيرات فكان قليلاً، حتى أن المصادر التاريخية لم تذكر أية معلومات عن ذلك. وبعد تحديد المهر أو الصداق، تأتي الموافقة على الزواج ونقل الجهاز إلى بيت الزوج وتجهيز العروس قبل العرس، ويتولى والد العروس شأن تجهيزها، فينفق في سبيل ذلك الأموال، فقد كان يصوغ لها "شيئاً من الفضة"، وكان هذا شائعاً عند العائلات الغنية فقط، هدية من الوالد إلى ابنته في مثل هذه المناسبة[(٦)]. أما عن نساء القصور (زوجات الخلفاء السلاطين) والفئات الغنية فيتكون جهازهن من أشياء كثيرة وثمينة؛ فابنة الخليفة كان جهازها

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٤، ٧٥؛ الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص ٢١.
(٢) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٢١.
(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ٧٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢،ص ٨٨.
(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢،ص ٢١١؛ جواد، سيدات البلاط، ص٢٥٤.
(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ٢٢٢-٢٢٣؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص٦٣٢.
(٦) ابن الجوزي، تلبيس ابليس، ص ٣٨٢.

فاخــراً[١]، ويذكر ان جهاز زوجة الخليفة المقتدي ابنة ملكشاه نقل على مائة وأربعين جملاً، وأحتوت خزانتها على اثني عشر صندوقاً من الفضـة[٢]، أما زوجة الخليفة المستظهر فقد نقل جهازهــا على مائة واثنين وستين جملاً، وسبعة وعشرين بغلاً، فضلاً عن المهور والجواري المُزيّــنات ومائــة الف دينار[٣]. وإذا تزوج أحد فقراء العامة أو فقيرات العامة إستعار الأهل الملابــس من الأقارب أو المعارف من أجل الظهور بمظهر لائق في حفل الزفاف[٤]. وكانت تقام حفلات الزفاف عادة في دار الزوج، بعد أن يتهيأ العريسين لهذه المناسبة السعيدة.

ويوضــــع على باب الدار التي تقام فيها حفلة الزفاف بوّاب لمنع الغرباء من الدخول إلى حفلة الزفاف[٥]، ويقدم في هذه الحفلة الأطعمة والأشربة الشهية والمتنوعة[٦]، ويزف بعد ذلــك العــريس إلى عروسه، وكانت الحفلة تقام حسب إمكانيات الزوج المادية، وكان بعض الـــناس يدخلون حفلات الأعراس بدون دعوة، ودعي هؤلاء بالطفيليين[٧]. وقد ذكرت بعض المصـــادر التاريخـــية أن رجلاً طفيلياً نصح ابنه، فقال له:" إذا دخلت عرساً فلا تلتفت تلفتّ المريب، وتخيّر المجالس، فإذا كان العرس كثير الزحام فأمُر ولا تنظر في عيون أهل المرأة ولا فـــي عيون أهل الرجل ليظن هؤلاء أنك من هؤلاء، فان كان البواب غليظاً فأبدأ به ومره وأنهه من غير أن تعنف به وعليك بكلام بين النصيحة والإدلال"[٨].

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ٦٥، ٦٧؛ البنداري، تاريخ آل سلجوق، ص٢٣.

(٢) الصـــابئ، عـــيون التواريخ، تحقيق: سميحة ابو الفضل، مكتبة الدراسات الطلابية، جامعة دمشق، ١٩٨٦، ص ٤٢٠، ٤٢١؛ ابن الساعي، نساء الخلفاء، ص ١١٠.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٢٥؛ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ص٨١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٤٠٨؛ دول الإسلام، ج٢، ص٢٤.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١، ص٢٢١.

(٥) الخطيب البغدادي، التطفيل، ص٥٩-٦٨؛ ابن الجوزي، الأذكياء، ص١٣١.

(٦) ابن الجوزي، الأذكياء، ص١٣١.

(٧) ابن الجوزي، المصدر نفسه، ص ١٧٧.

(٨) ابن الجوي، الأذكياء، ص١٧٧.

وكانــت النساء المترفات يتزينّ بالجواهر والحلي، في حفلات الزفاف، بخلاف نساء العامــة، اللواتـــي كن يستعرن الحُلي واللباس وأدوات الزينة للغاية نفسها[١]. وكانت العادات الســائدة لــدى الفئات الغنية، أن ينثر النثار على الناس في يوم الزفاف، وتنثر النقود الذهبية والفضية أو اللؤلؤ، وهذه العادة ليست مستحدثة، بل سادت قبل هذه الفترة، فعند زواج الخليفة المأمون ببوران نُثر على الناس الجواهر والأموال[٢]، كما نثر في إثناء زواج الخليفة المقتدي بامــر الله، حيث نثر على الناس أنواع النثار[٣]، وكان النثار عبارة عن جواهر نفيسة وأموال (ذهب وفضة)[٤]، وعند زواج الخليفة المقتفي سنة (٥٣١هـ/ ١١٣٦م)، نثر اللؤلؤ والجواهر وتماثيل الكافور والعنبر على العروس، عند وصولها إلى بغداد[٥].

وفـــي يـــوم الـــزفاف كانت تقام الاحتفالات في مدن العراق خاصة في بغداد، وتقفل الأســواق، وتعلــق الزيــنات والقباب، وقد تتفاوت المدة التي تغلق فيها الأسواق، فقد أغلقت أســواق بغــداد أسبوعاً كاملاً، عند زواج السلطان مسعود من سفرى بنت دبيس الأسدي سنة (٥٣٢هـــ/١١٣٧م)[٦]، وزينــت الأســواق والمدن عند زواجه من ابنة عمه ثلاثة أيام[٧]، وعشرة أيام عند زواج الخليفة المقتفي لأمر الله[٨]. وزيّنت الأسواق عند زواج الخليفة المقتدي

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢، ص٢٢١.

(٢) الشابستي، على بن محمد، الديارات؛ تحقيق: كوركيس عواد، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٦، ص ١٥٨.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٠٥.

(٤) ابن كثير، المصدر نفسه، ج١٢، ص١٠٥.

(٥) الصابئ، عيون التواريخ، ص١٦٥، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٣٢١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ٨٨.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٤٠٣، انظر، جواد، سيدات البلاط، ص١٥١.

(٧) الصابئ، عيون التواريخ، ص ٤٢٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٢١٣.

(٨) جواد، سيدات البلاط، ص١٥٥.

سنة (٤٨٠هـ/١٠٧٨م)[١]. أما زواج الرجل المسلم من امرأة مسيحية فقد كان مقبولاً في المجتمع العراقي؛ لأنه موافق للشرع، ولكن المجتمع لا يقبل حدوث العكس[٢]. وكان بعض الشبان من المسلمين يقعون في حب فتيات من النصارى، وكان تعرفهم عليهن يجري بأشكال مختلفة، كأن يرى الشاب في اثناء مروره في إحدى الأزقة فتاة في دارها فيعشقها، وقد يكون الفتى مؤذناً في مسجد فيراها فوق السطح، أو يلتقيها في أماكن أخرى[٣].

ومما تجدر الإشارة إليه، ان نتيجة تعدد الزوجات عند البعض، قد تحدث مشكلات للرجل، كان يكتفي بزوجة واحدة، عملاً بقوله تعالى:" فإن خِفتُم ألاَّ تَعدِلُوا فوَاحِدةِ أو ما ملكتْ أيْمانكم"[٤]. أو قوله تعالى:" ولن تستطيعوا أن تَعْدِلوا ولو حَرِصتم"[٥]. ونادراً ما كانت تحدث مشاكل بين الأزواج، وإن حدث فيكون لإسباب منها سلوك أحد الزوجين[٦]، وما تعانيه الزوجة من عُسر الحال وضيقه، وقد تحدث بعض المشاكل أحيانا نتيجة تبذيرها أموال زوجها دون علمه للإنفاق على أغراضها الخاصة[٧]، ومن أسوأ الأسباب التي تؤدي إلى المشكلات العائلية، إتخاذ الرجل جارية للتسري واهمال حقوق زوجته[٨]؛ ومما ذكرته بعض المصادر عن الزواج الفاشل نتيجة لحدوث مشكلات، أن رجلاً سُئل ذات يوم "أتحب أن تموت امرأتك؟ قال: لا، وقيل، ولم؟ قال: أخاف أن أموت من الفرح"[٩].

---

(١) الصابئ، عيون التواريخ، ص ٤٢٠؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص١٦١؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج١٢،ص ٢١٣.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١، ص٢٣٠.

(٣) ابن الجوزي، ذم الهوى، ص٤٥٩.

(٤) القرآن الكريم؛ سورة النساء، آية رقم (٣).

(٥) القرآن الكريم، سورة النساء، آية رقم (١٢٩).

(٦) ابن الجوزي، تلبيس ابليس، ص٣٨٧.

(٧) ابن الجوزي، الأذكياء، ص٢٥٥.

(٨) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٢، ص٣٥٠.

(٩) ابن الجوزي، أخبار الظراف، ص ٨٢.

وأما بالنسبة لدور المرأة الأساسي، فيجب أن لا نتجاهله، فتربية وتنشئة الأطفال، يقع بالدرجـــة الأولى على عاتق المرأة، فهي المربية، حيث كانت النساء المُترفات من الفئة الغنية تســتدعي المربيات اللواتي عرفن بإسم "الداية أو المربية". ليتولين إرضاع الأطفال والاهتمام بشؤونهم الصحية(١).

وتربية الأطفال تتطلب من الأمهات وعياً كاملاً؛ لكي تقوم بالمهمة، فكانت الأم العاقلة والفطـــنة، لا ترضع وليدها إلاّ وهي هادئة الأعصاب حتى لا يتأثر الطفل سلبياً، ولا تحرك المهـد حـركة سريعة قد تسبب له الدوار، ولا تنومه ولا تضرب بيدها على جنبه، لإن ذلك يســبب له الفزع والخوف(٢)، فالنساء تعي هذا الأسلوب، حيث تمازح الطفل وتضاحكه، حتى يــنام وهــو مســرور، ولا تنــيمه وهــو يبكي(٣)؛ وقد استدعت العائلات الغنية لهذه الغاية المُرقصـــات(٤)، ولعل المقصود بها الآن المربيات من لهن خبرة في الأقوال والترنيمات التي تهــدء الأعصاب فينام الطفل نوماً هادئاً، وقد ثبت علمياً أن الغضب والتوتر يؤثر على سلوك الطفل عند الرضاعة وان الترانيم والأغاني بصوت حنون يبعث الهدوء في نفس الطفل ويخلد للنوم، وهو مسرور.

فضلاً عن ذلك فإن الأمهات إهتممن بإلعاب أطفالهن، وقد تنوعت أشكال هذه الألعاب، فمــنها الكبيرة التي تتزين بالملابس الجميلة والُحلي(٥). ومنها ما جعلت الأقراط في أذانها(٦)،

---

(١) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج٤، ص ٣٥٩؛ نشوار المحاضرة، ج١، ص١١٨.

(٢) الجــاحظ، الحــيوان، تحقــيق وشرح: عبد السلام هارون محمد هارون، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، ١٩٤٥، ج١، ص ٢٨٦، ٢٨٧

(٣) المسعودي، مروح الذهب، ج٢،ص ٤٨٨.

(٤) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص٢٨٧.

(٥) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٣، ص ٣٢٣

(٦)الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص٣٧٣.

وهــذا يدل على أن ألعاب أطفال الفئة الغنية ما هي إلاّ العاب مميزة عن غيرها من الألعاب، وحــتى طــريقة لعبهم. فأطفال العامة كانوا يلعبون في الدروب والأزقة، ويلعبون بالجوز أو يعبثون بالمارة[١]. بالاعتداء قولاً أو لمساً.

وكانــت العادة في المجتمع العراقي عندما تضع المرأة مولودها كان البعض يستدعي القابلــة إلى الدار حيث يجلس الزوج في مكان آخر ينتظر قدوم الطفل بفارغ الصبر[٢]. وكان بعض العامة، له تقاليد خاصة عند قدوم المولود الجديد، فتحضر الجدة وترش الملح في غرفة الطفــل، اعتقاداً منها أنه يطرد الأرواح الشريرة، وللألفة وتقوم القابلة فتوقد النار في الغرفة، ولا تبعدها عن سرير الطفل وتتركها ثلاثة أيام أو اربعة أيام، اعتقاداً منها ايضاً أن ذلك يطهّر الطفــل[٣]. أما الختان فهو شرط ضروري للصحة والسلامة البدنية ولون من ألون الطهارة. ويقــترح قابوس نامة، أن يحتفل بمناسبة الختان، فيدعي الناس إلى حضور حفلة يقدم خلالها الطعام والحلوى "ويلزم أن تولم". وليمة ذات رونق وبهجة في ذاك الختان"[٤].

وممــا روتــه بعض المصادر التاريخية أن زوجة الخليفة المستظهر سنة (٥١٧هــ/ ١١٢٣م)، إحتفلــت بختان أبناء المسترشد وأولاد أخوته، وعددهم إثنا عشر صبياً، وفي هذا الاحــتفال بنــت قــبة بباب النوبي[٥]، وعلقت عليها من الثياب والديباج والجواهر، ما أدهش

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٧، ص ٧٧.

(٢) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٣، ص ١٩٩.

(٣) سعد، العامة، في بغداد، ص٢٤٠.

(٤) دمج، محمد أحمد، مرايا الأمراء، تحقيق، قابوس نامة (النصيحة)، مؤسسة حسون، بيروت، ص١٣٩.

(٥) ابــن الجــوزي، المنتظم، ج١٧، ص٢١٩؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص١١١؛ ابن كثــير، الــبداية والنهاية، ج١٢، ص١٩٣؛ أنظر، شندب، محمد حسين، الحضارة في بغداد في القرن الثاني إلى القرن الخامس الهجري، دار النفائس، (دم)، (د.ت)، ص ١٧٣-١٧٤.

الناس، وبنت قبة أخرى بدرب الدواب(١)، وكان العامة يرون في الختان مناسبة للغناء(٢). فهو لا يقل اهمية عن الاحتفالات الشعبية المميزة.

ب. المرأة في الحياة اليومية

شـــاركت المرأة زوجها في الحياة اليومية خاصة المرأة الريفية التي تستقبل زوجها بطشت ماء ليغسل وجهه ورجليه، وربما تقوم هي بالعمل بنفسها، وما زالت هذه العادة جارية إلى الآن، وتعدّ الطعام والشراب وخاصة في يوم الراحة، بعض العائلات يذهبون إلى البساتين فـــي الكـــرخ، ومعهم زادهم، والبعض الآخر يقضون أوقاته في زيارة الأصدقاء. ومنهم من يجعـــل يوم الراحة للاجتماع مع العائلة ويعدون الولائم المختلفة، فالقصابون يُبكّرون في ذلك اليوم؛ ليتمكنوا من تلبية رغبات زبائنهم(٣). لأنهم في هذا اليوم يكثرون من ذبح الذبائح لكثرة الطلـــب. واهتمت المرأة بتأمين الخدمات والإشراف عليه وكانت تعد وسائل الراحة لزوجها حـــتى أنها تعد الحمام له بنفسها. لدرجة ان احدهم سخر من صديقه لإعداده الحمام بنفسه(٤). لأن هذه الأعمال معروف أنها من اختصاص المرأة.

وقـــد مارست المرأة في خارج بيتها بعض الأعمال أو العادات مثل التسوق وشراء الحاجات الخاصة بها، وعادة تكون بصحبة بعض النساء(٥). وكانت تخرج للتسوق في أماكن قريبة خارج البيت(٦).

---

(١) الذهبي، دول الإسلام، ج٢،ص ٣١؛ انظر: جواد، سيدات البلاط، ص١٤٨-١٤٩.
(٢) النويري، نهاية الأرب، ج٤، ص٢٥٠.
(٣) الجاحظ، البخلاء، تحقيق طه الجامري، دار المعارف، مصرن ١٩٧٦، ص٢٤-٢٥، ص١١١، ١٣٣.
(٤) الصابئ، الهفوات النادرة، ص٦٨.
(٥) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج٤، ص ٣٥٩؛ نشوا ر المحاضرة، ج١،ص ١١٨.
(٦) ابن الجوزي، اخبار الحمقى والمغفلين، ص ٢٧.

وقد عاشت المرأة حياتها الخاصة في داخل بيتها وخارجه، فقد أعطت المرأة بعض وقتها للاعتناء بمظهرها وابراز جمالها، ولم يكن هذا مقصوراً على فئة معينة من النساء، بل كان شائعاً بينهن جميعاً، ابتداءً بنساء الخلفاء والسلاطين (نساء الخاصة)، وانتهاءً بنساء العامة، اللواتي يعشن في القرى والأرياف والبوادي. وقد ساعد على ذلك عدة أمور منها التقليد، إذ أن زوجات الخلفاء والأمراء وكبار التجار وجواريهم كن يتفننّ في ابتكار الأزياء، فتنتقل منهن إلى نساء العامة[١]. وما أن تشيع وتنتشر حتى تظهر مبتكرات أخرى جديدة تغاير ما شاع من قبل، وذلك حسب مكانة المرأة الاجتماعية. وعادة يتم استحداث الأزياء من قبل النساء المترفات، ومن ثم تنتشر بين بقية النساء في المجتمع العراقي[٢].

واهتمت النساء المترفات بالحلي مثل الخلاخل والأقراط[٣]، والخواتم[٤]، والقلائد[٥]، والأساور[٦]. ولبست الخواتم الذهبية وخواتم الياقوت[٧]، وكانت الخواتم تلبس لمجرد التحلي والزينة، كما أنها استخدمت رمزاً للخطبة أو علامة للنفوذ والسلطان عند نساء الخاصة[٨]. وقد يكون هذا الأمر قد ظهر حديثاً.

---

(١) اليعقوبي، محمد بن أبي يعقوب، مشاكلة الناس لزمانهم، تحقيق: وليم ملورد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٦٢؛ ص ٢٧،٦٢

(٢) اليعقوبي، المصدر السابق، ص٢٧.

(٣) الأقراط: ما عُلق في اسفل الأذن، وغالباً ما يعلق به جوهرة أو لؤلؤة، ويتخذ عدة اشكال، أما على شكل حلقة صغيرة أو دلاية صغيرة، وتحلى بقطعة من الأحجار الكريمة الصغيرة. بلال، الملابس، ص ٧٣.

(٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٥، ص٧؛ التنوخي، نشوار المحاضرة،ج١، ص٣٣٨؛التوحيدي، الرسالة البغدادية، تحقيق: عبود الشالجي، منشورات المجد، ١٩٩٧، ص ١٩٨، ٢٠٣.

(٥) التوحيدي، الرسالة البغدادية، ص١٩٨، ٢٠٣.

(٦) الوشاء، الموشى (الظرف والظرفاء)؛ ص ١١٦، ١٦٢.

(٧) الوشاء، المصدر السابق، ص١٦٢.؛ وقد اشتهر أن نساء العراق كن معجبات بالدّر المدحرج المائل لونه إلى الصفرة؛ البيروني، الجماهر في معرفة الجواهر، ص١٢٠.

(٨) بلال، الملابس، ص ٧٣، ٧٢.

وشـــارك الــرجال النســـاء في لبس الخواتم[١]. وقد اهتم المؤرخ المسعودي بهذه الظاهرة فسجل اسماء الخلفاء الأمويين والعباسيين الذين تختموا، وما نقشوا على خواتمهم من آيات أو كلمات حكيمة[٢].

وقـــد لبست كذلك المرأة العراقية في فترة الدراسة والعصور المتتالية، الألبسة منها اللـــباس الخارجي والداخلي، حيث لبست النساء المقنعة التي تغطي الرأس[٣]، وهي ذات لون اســـود[٤]، ووضـــعن الـــنقاب على وجوههن وكان له ألوان مختلفة[٥]، وقد لبسته النساء عند حضـــورهن مجـــالس الوعظ، وكان هذا النقاب خفيفاً شفافاً أو مخّرماً يُرى الوجه من خلاله، وهـــذا ما يفسر لنا وقع بعض الشُبان، بحب بعض النسوة اللاتي حضرن مجالس الوعظ، إذ يرونهن فيعجبون بهن[٦]. ولبست نساء الخلفاء، وغيرهن من النساء المترفات عصائب مكلّلة بالجواهـــر، وقـــد وصـف ابن جبير في رحلته، سلجوقي خاتون وقد لبست العصائب المكلّلة والمذهـــبة[٧]، وقد لبستها جواري هذه السيدة[٨]، أما الملابس الخارجية، فكانت الرداء والإزار

---

(١) الوشاء، الموشى، ص١٦٢.

(٢) ابو الحسين، التنبيه والاشراف، تحقيق: عبد الله الهادي، دار الهادي، القاهرة، ١٩٣٧، ص ٢٦١،٣٤٥.

(٣) ابن سيدة ، المخصص، ج٤، ص٣٨.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٧، ص٣١٩.

(٥) ابن جبير، ابو الحسن محمد بن أحمد، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤، ص٣٣٣.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٨، ص٦٤. وقد صور الواسطي من خلال مصوراته ملابس المرأة حيث عني بإظهار التفاصيل الدقيقة منها، حيث لبست النساء الفقيرات الخمار وكان يطلق عليه المقنعة أو فوطـــة، وقـــد اشـــتهرت مديـــنة الكوفة بصناعة هذا النوع من الخمر ولبسه، وكان الخمار خاصاً بالحرائـــر، انظـــر، احمد، رمضان احمد، حضارة الدولة العباسية، الجهاز المركزي للكتب الجامعية/ ١٩٧٨، ص ١٨٠.

(٧) ابن جبير، الرحلة، ص٢٠٦، ٢٠٧.

(٨) ابن جبير، المصدر السابق، ص ٢٠٧.

والسروال[١]، والسراويل من الملابس الداخلية للمرأة منذ فجر الإسلام، وقد لبستها المرأة في هذا العصر[٢].

أمـــا الجـــواري فقد لبسن القميص الموّرد، والسراويل الموّردة، والقناع الموّرد[٣]. وأول مظاهر الزينة تمثلت في الملابس الملونة، والمختلفة الاشكال والنسيج، ثم في احذيتهن، وفـــي شـــعورهن، التي كنّ يصففنها على أشكال مختلفة كالضفائر[٤]. وكانت النسوة يُصففن شـــعرهن بمـــا يُدعى بالطُرة السكينية، أو الجُمة السكينية (نسبة إلى السيدة سكينة بنت الإمام الحســـين، وكانت أجمل الناس شعراً، وكانت تصفف شعرها تصفيفاً لم ير الناس أحسن منه، حتى عرف ذلك وشاع وقلدنّه النساء) [٥]. وأستخدمت النساء الأمشاط الطاهرية[٦]، والأصباغ وكانـــت مخـــتلفة الأنواع منها الحناء التي تخضب بها الأطراف؛ (الأيدي والأرجل): ولجأت بعض النساء إلى الكتابة على الكف بواسطة الحناء[٧]، وأستخدمن الخضاب للشيب، وهو صبغ

---

(١) السروال- جمعه سراويل وسراويلات وهو لباس يغطي السرة والركبتين وهو لفظ أعجمي معرب، وهو لـــباس دخـــيل ربما اصل السروال فارسي، لأنها كلمة مشتقة من الفارسية القديمة (زرواد). وفي في الفارســـية الحديـــثة تعنـــي "الشلوار". وهو لباس الرجال والنساء، وقد حث الإسلام النساء على ارتداء الســـراويل، ويوجـــد ما يسمى بالتكه، وهو شريط يربط به السراويل. ابن لجوزي، أحكام النساء، ص ٢٨٩. أنظر، الوشاة، ص١٦٤؛ ابن سيدة، الخمصص، ج٤، ص ٨٣؛ الأزدي، محمد بن احمد، حكاية أبـــي القاســـم البغدادي، مكتبة المثنى، بغداد، (أعيد طبعه)، الطبعة الأصلية، كرل ونتر، هيد لبورج، ١٩٠٢، ص٦٢. ابـــن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٣٣٤، (مادة سروال)، دوزي، تكملة المعاجم، ج٥، ص١٦٩.

(٢) بلال الملابس، ص ٦٩.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج٧، ص١٩٦.

(٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج١، ص١٣٦.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ج٧، ص ٧.

(٦) التوحيدي، الرسالة البغدادية، ص ١٤٩.

(٧) ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد الأندلسي؛ العقد الفريد، شرحه وضبطه، أحمد أمين وآخرون، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٣؛ ج٥، ص٣٤٣.

اســود يصبغن به الشيب إذا ظهر[١]، واستخدم الرجال الحناء لصبغ اللحية[٢]. ومن الأصباغ التــي كانــت مستخدمة الشناذر[٣]، وأصباغ الخدود التي تُحمرها أو تبيضها حسب مقتضيات الأحوال[٤]، ومن أدوات الزينة، الملاقط وتستخدم للنتف[٥]، والمقابض، حيث إستخدمته النساء لتنظــيف باطن القدم[٦]. وكانت المرايا معروفة في المجتمع العراقي، وقد شاع إستعمالها بين الــناس جميعاً، وإستعملتها النساء، وكذلك الرجال وخاصة رجال الصوفية، ورأى بعضهم ان اســتعمالها غير جائز[٧]، وإستخدمت النساء الكحل لتجميل العيون، وإستعمله الرجال والنساء للزيــنة حيــناً وللــتداوي حيــناً آخر[٨]. وإستخدمت العطور، ومن أشهرها منثور بغداد[٩]، والبنفسج[١٠]، وإستخدام الكافور[١١] والمسك والعنبر[١٢].

وإختلفــت ملابس المترفات، عن ملابس العامة من النساء، سواء في القرية أو في البادية. فالمعلومات عن ملابس عامة النساء قليلة، فلم تذكر المصادر التاريخية إلاَّ بما يسمى

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٢٥٨.

(٢) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٣، ص ٣٨؛ الأصفهاني، الأغاني، ج٤، ص٢٩٥.

(٣) الشــناذر: صــبغ يستخرج من نبات احمر يصبغ اليد إذا مسته، الفيروز آبادي، قاموس المحيط، ج٢، ص٦٤.

(٤) التوخي، نشوار المحاضرة، ج٣، ص ٣٨.

(٥) التنوخي، المصدر السابق، ج٣، ص٣٩.

(٦) ابــن الأخــوة، محمــد بن محمد القرشي، معالم القربة في احكام الحسبة، مطبعة كمبرج، دار الفنون، ١٩٣٧، ص ٢٢٦.

(٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٧، ص ٢٤٧، ٤١٦.

(٨) سعد، العامة في بغداد، ص ٢٤٠.

(٩) نبات ذكية الرائحة. الزبيدي، تاريخ العروس، ج٣، ص ٨٥.

(١٠) البنفسج- زهر لونه مثل اسمه؛ الوشاء، الموشى، ص١٧٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج١١، ص ٢٢٧؛

(١١) التوحيدي، الرسالة البغدادية، ص١٤٧؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٢، ص١٢٨.

(١٢) التوحيدي، المصدر السابق، ص١٩٧.

النطاق[1] والمدرعة[2]، والنطاق هو ما كانت تلبسه المرأة إثناء مساعدة زوجها في فلاحة الأرض أو الأعمال المهنية الأخرى[3]، كما لبست السراويل البيض الشائعة بينهن[4]، ولبسن الأسمال والخلقان[5] وهي نوع من القمصان لونها أزرق من نسيج الكتان أو القنب يلبسه الفلاحون عادة عند فلاحة الأرض[6]. أما ملابس المرأة الداخلية فقد إختلفت من عصر إلى آخر، لكن الإختلاف، ظهر في اللفظة أحياناً، وفي بعض تطورات جزئية في الملابس، تشمل ذلك الاختلاف في الملابس الخارجية والداخلية للمرأة وحتى ملابس الرأس. وقد لبست النساء الملابس التي تلبس على الجسم مباشرة، فمنها: القرقر، والقرقل والمجول، والشوذر، وكلها عبارة عن قمصان متقاربة في الشكل من حيث الطول والعرض، وعدم وجود أكمام فيها، ولكنها مختلفة في مادة القماش المنسوجة منه ومنها الغلالة، وهي ثوب رقيق يلبس تحت ثوب سميك[7]، وما زالت هذه الكلمة مستخدمة في بعض الدول الإسلامية، ولبست النساء النعال وإمتازت بأنها صرّارة[8]، أي أنها تصرّ عند المشي؛ ولبست اللالكة، وهي نوع من الأحذية[9]، المختلفة ألوانها فمنها الحمراء ومنها لسوداء، والأخيرة إستعملها الموظفون في

---

(١) وهو ثوب تشده المرأة بزنار أو حبل من وسطها ثم ترسل أعلاه على اسفله، ابن سيدة، المخصص، ج٤، ص ٣٦.

(٢) وهي نوع من أنواع الجيب تكون من الصوف، ابن سيدة، المصدر السابق، ج٤، ص٣٦.

(٣) دوزي، تكملة المعاجم، ج٨، ص٣٤٠.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص ٣٣٤؛ انظر، صبيحة رشيد، الملابس العربية، ص٢٧.

(٥) بدري، العامة في بغداد، ص ١٤٩.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص ٤١٣، (مادة سمل). دوزي، تكملة المعاجم، ج٤، ص ١٨٧.

(٧) بدري، المرجع السابق، ص ١٦٢، ١٦٣.

(٨) ابن الجوزي، تلبيس ابليس، ص ٢٦٥؛ الشيزري، عبد الرحمن بن نصر، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: السيد الباز العريني، لجنة التأليف والترجمة، ١٩٤٦، ص٧٣.

(٩) ابن الجوزي، ذم الهوى، ص ٨٩.

المناسبات الرسمية[١]. وقد لبستها النساء لتلفت الأنظار اليها، وقد انتشرت صناعة الأحذية في بغداد، حيث كان للحذائين سوق في الكرخ[٢]، ويبدو أن الأحذية توزعت حسب طبقات الناس، للمترفات أحذيتهن وللعامة أحذيتهن. وإستطاعت المرأة أن تظهر بمظهر لائق سوءا أكان ذلك في داخل بيتها أو خارجه.

وقد برز مصورات لدور المرأة في المجتمع الإسلامي، فصورت مرة تغزل الصوف وتنسج الثياب والخيام[٣]. ومرة وهي تحضر الخُطب والمناقشات وتجلس للدرس والإفتاء في المسجد، ومرةً وهي ترقص وتغني في سوق الرقيق. كما صُورت المرأة الريفية وهي ترعى الإبل، وتملأ الجرار، وتقوم بواجب الضيف، وتعمل في الحقل[٤].

أما النساء النصرانيات، فقد إختلف لباسهن وعاداتهن عن النساء المسلمات سواء في الإحتفالات أو في الجنائز، وهذا ما أكده الجاحظ. فذكر أن من النساء النصرانيات كن يلبسن الحرير[٥]، وقد فُرض على النساء من أهل الذمة لباس خاص، إذ فرض الخليفة المقتدي بأمر الله لبس الغيار والزنار وذلك سنة (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)[٦]، وقد شمل أهل الذمة رجالاً ونساءً. وقد حدث ذلك في ظروف خاصة، أما في الأحوال العادية فتختار الذميات من اللباس ما يشأن. وقد مارست النساء الذميات عامة ونساء النصارى خاصة حياتهن فلجأن إلى القضاة المسلمين للنظر في دعواهن[٧]، ومنهن من دخلن حمامات النساء المسلمات، وفرض عليهن

(١) الصابئ، رسوم دار الخلافة، تحقيق: ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤، ص ٧٥، ٩٢.
(٢) الخطيب البغدادي، ج١٢، ص ١٦؛ الوشاء، الموشى، ص ١٨٠.
(٣) عكاشة، ثروت، فن الواسطي من خلال مقامات الحريري، دار المعارف بمصر، ١٩٧٤، ص٩٠.
(٤) عكاشه، المرجع نفسه. ص ٩٠، ٩١.
(٥) الجاحظ، الحيوان، ج٤، ص ٢٧، ٢٨.
(٦) ابن العماد، الأصفهاني، خريدة القصر، ج٢، ص ١٣٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٣٥.
(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١٩٢.

لـــبس الدراهم ومنقوش عليها (ذمية) وقد لبسنها في رقابهن [١]، ولبس الخفاف احدهما أسود والآخر أحمر والجلاجل في أرجلهن[٢]. فضلاً عن مشاركتهن في الأعياد الخاصة بالنصارى فقــد ذكــر الشابســتي ان اعياد النصارى على ديارات معروفة منها أعياد الصوم في الأحد الأول، يــتم فـــي ديــر العاصية قرب سمالو[٣] في بغداد، والأحد الثاني في دير الزريقية[٤]، والأحــد الثالث في دير الزندورد[٥] وهي مدينة قرب واسط، والأحد الرابع في دير درمالس والأحـــد الخـــامس في باب الشماسية في بغداد[٦]. وإستمر النصارى رجالاً ونساءً يمارسون أعـــيادهم بمشاركة البغداديين من المسلمين حيث يقصدونهم على سبيل التنزه واللهو، فكانت أعــياد النصـــارى للبغداديـــن كافـــة[٧]. ولم يكن هذا الأمر في بغداد بل في كثير من الديار الإسلامية الأخرى، وكانت نساء النصارى وخاصة في ليلة الماشوس، يجتمعن مع الرجال في وســـط البســـاتين، ويحتفلون بعيدهم، فيلهون ويلعبون[٨]، وخاصة في عيد الشعانين. أما عن تقاليد حفلات زفاف النصرانيات فقد وصف ابن جبير في رحلته زفاف عروس من النصارى فـــي احـــدى مدن بلاد الشام فقال: "لقد احتفل بذلك جميع النصارى رجالاً ونساء، واصطفّ هـــؤلاء صفين عند باب العروس، والبوقات تضرب والمزامير وجميع الآلات اللهوية، حيث

---

(١) ابن الجوزي، المصدر السابق، ج١٦، ص١٩٢.

(٢) ابن الجوزي، المصدر نفسه، ص ١٩٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٢٩.

(٣) الشابستي، الديارّات، ص١٤.

(٤) الشابستي، المصدر السابق، ص ٢، ٤.

(٥) الزندورد: في الجانب الشرقي من بغداد وارضه كلها فواكه وأعناب، وهي من اجود الأعناب التي تقتصر ببغداد، وفيا يقول أبو نواس

فسقني من كروم الزندورد ضحى ماء العناقيد في ظل العناقيد

الحميري، الروض المعطار، ص ٢٥٤.

(٦) الشابستي، المصدر نفسه، ص ٣، ٤؛ الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٥٤.

(٧) سعد، العامة في بغداد، ص ٢٥٢.

(٨) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج٤، ص٣٢٥؛ الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٠٨.

خرجــت العــروس تــتهادى بين الرجلين ما نسبه القربى لها لعله أخويها أو ابوها أو عمها، يمســكانها مــن يمين وشمال، والعروس في أبهى زينتها وأفخر لباسها من الحرير والذهب، وعلى رأسها عصابة ذهب قد صفت بشبكة ذهب منسوجة. وأمام العروس جُلة من رجالها في أفخــر ملابســهم البهــية، وكان وراءها أكفاؤها ونظراؤها من النصرانيات، وهن في أنفس الملابــس والحلــي والآلات اللهويــة قد تعدتهم، أي سارت قبلهم وساروا بها وأدخلوها دار زوجها وأقاموا في يومهم هذا وليمة للجميع"(١). وقد كانت النساء النصرانيات كالمسلمات فيما يتعلق باستعدادهن للعرس، إذ استعن بالماشطات واستخدمن أدوات الزينة والتجميل(٢)".

وكمــا شــاركت النساء النصرانيات في الاحتفالات السعيدة والأعياد وشاركن في مناســبات الحــزن والجــنائز، حيــث خرجــن معهن النوائح والطبول والزمور والصلبان والشموع(٣). وهكذا فقد استمرت النساء الذميات ومنهن النصرانيات، بممارسة حياتهن اليومية بحــرية تامة. ومما يجدر ذكره أن هناك بعض الاختلافات بين النصرانيات والمسلمات، في بعض العادات والتقاليد الخاصة بكل منهن بما تفرضه الأحكام الدينية للطرفين.

أ. العادات والتقاليد الخاصة بالمرأة

كــان للمرأة دورها في المشاركة بالمناسبات الإجتماعية، "كالأعياد والزواج، والعودة مــن الحج، والمواليد الجدّد". وقد شاركت المرأة أيضاً في حفلات الختان وشاركت كذلك في الاحــتفالات السياسية، وقدمت هداياها في كل هذه المناسبات. واعتبرت مشاركة المرأة هذه من عاداتها الخاصة، وجزءاً من حياتها.

---

(١) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٥١.

(٢) أنظر، Goatin, vol.1. p. 77

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٢٦١.

أما عن مشاركة المرأة في إحتفالات الدولة، فقد ذكرت بعض المصادر التاريخية أنه عـندما عاد الخليفة القائم سنة (٤٥١هـ/١٠٥٩م) إلى مقر حكمه، بعد أن أبعده البساسيري، شـاركت المرأة إلى جانب الرجال في هذا الاحتفال، بالرقص وضرب الدفوف[١]. فضلاً عن مشـاركتها في احتفالات ختم القرآن الكريم[٢]، ومشاركتها أيضا في الاحتفالات الخاصة، فقد احتفلـت الخاتون زوجة المستظهر العباسي سنة (٥١٧هـ/١١٢٣م) بختان أبناء المسترشد، وأولاد اخوتـه، وعددهـم اثنا عشر صبياً، وفي هذا الإحتفال بنت قبة بباب النوبى، وعلقت عليها الثياب والديباج والجواهر، وبنت قبة أخرى بدرب الدواب[٣]. وفي هذه الإحتفالات كانت تعـد الولائم، ففي سنة (٥٥٣هـ/١١٥٨م)، عند ختن ولد الخليفة المقتفي ومعه أولاد جماعة مـن الأمـراء[٤]، وصـنعت أنواع عديدة من الحلوى، وذبحت الذبائح من المواشي، وزينت البلاد، واقيمت القباب[٥]. وقد ذبح الخليفة المستضيء عند ختان أولاده سنة (٥٦٨هـ/١١٧٢م) ألـف رأس من الغنم، وخمسمائة بقرة والى جانب ذلك خمسمائة ألف دجاجة، وإن يكون هذا فيه نوع من المبالغة.

وصـنعت الحلـوى وقدمـت للـناس، وخلع على أرباب الدولة والقضاة والعلماء والفقهاء[٦]. وقد كانت هذه من العادات المستحبة عند عِلية القوم والعامة.

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٣٩.

(٢) ابن الجوزي، تلبيس ابليس، ص٣٨٢.

(٣) ابـن الجـوزي، المنـتظم، ج١٧، ص٢٤٥؛ الذهبـي، دول الإسلام، ج٢، ص٣١. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٩٣؛ جواد، سيدات البلاط، ص١٤٨، ١٤٩.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٩٢.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٢١.

(٦) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص٢٩٣.

وشـــاركت المـــرأة في الاحتفالات التي أقيمت بولادة ابن المقتدي، من ابنة السلطان ملكشاه سنة (٤٨٠هـــ/١٠٧٨م)، حيث أقيمت الولائم وزينت الأسواق بالذهب[١].

وكانت المرأة تشارك في الأعياد والمناسبات السعيدة، كذلك كانت تشارك في الأحزان والمـــآتم، وقد ظهرت في العراق خلال فترة الدراسة، تقاليد جنائزية، شاركت فيها النساء، لم تكـــن ولـــيدة الفـــترة الســـلجوقية، بل ظهرت في فترات سابقة، ففي يوم عاشوراء وفي سنة (٤٥٨هــ/١٠٦٥م)، أغلق أهل الكرخ دكاكينهم، وأحضروا النساء ينحن على الحسين بن علي [٢]. وعند سماع نبأ الوفاة كانت النسوة يجززن شعورهن، ويلطمن الخدود ويشقّقن الجيوب[٣]. ومما أكدته بعض المصادر التاريخية أنه عند وفاة محمد بين الخليفة القائم بأمر الله أن النسوة مزقت الثياب[٤]، وكذلك عند وفاة الخليفة ابن القائم بأمر الله سنة (٤٦٧هــ/١٠٧٤م)، لطمت الهاشـــميات خدودهنّ[٥]. ومن التقاليد الجنائزية عند النساء كذلك أنهن أعتدن قول الشعر أثناء اللطـــم[٦]، كان يطلق على من يقمن بذلك باسم "النائحات"، وكن هؤلاء يحطن بالميت ويندبنه ويلطمنه، ويعددهن مناقبه ويُنحن بأناشيدهن الخاصة[٧].

وذكـــرت رواية أخرى أنه بعد وفاة الخليفة المسترشد، رددت النائحات أناشيد خاصة على طريقة الغناء:

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص ١٩٢.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٠١.

(٣) الصابئ، عيون التواريخ، ص ٢٩٢، ٣١٩؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص٦٤.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ١٦٨؛ ابن تقري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٥٨.

(٥) الصابئ، عيون التواريخ، ص٣١٩.

(٦) ابـــن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، ص١٢٩؛ ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج٢، ص ٢٥٠؛ الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص ٣٦؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٩٩؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص ٨٨.

(٧) ابـــن الجـــوزي، المنتظم، ج١٧، ص ٢٩٩؛ الكتبي، فوات الوفيات، ج٢، ص ٢٥٠؛ سعد، العامة في بغداد، ص٢٤٥.

يــا صاحب القضيب ونور الخاتم صـــار الحــريم بعــد قــتلك مـــأتم

إهـــتزت الدنـــيا ومـــن علـــيه بعــد النبـــي ومـــن ولـــيّ عليها[1].

وعـــند وفاة السلطان ألب أرسلان سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٢م) [2] أقامت الخاتون زوجة الخلـــيفة القـــائم من ذلك العزاء في دار الخليفة، وجزت شعور جواريها، وأرادت جز شعرها فمـــنعها الخليفة من ذلك[3]. أما عن طريقة الدفن عند الأغنياء، فقد اختلفت عن طريقة الدفن عند العامة، فقد كان بعضهم يدفن موتاه في الأربطة والمدارس[4]، والبقية في المقابر العامة. أمـــا الخلفاء والسلاطين والأمراء، وخاصة خلفاء بني العباس فكانوا يدفنون بالرصافة، وفي مقـــبرتهم الخاصة بآل العباس وحدهم[5]. وقد لاحظ المقدسي أن قبور نساء الخاصة في بغداد كانـــت تقـــام علـــيها القـــباب العالية، أما نساء الفقراء والعامة، فكانت قبورهن بسيطة مبنية باللبن[6]، وهذا يدلّ على أنه حتى في مناسبات الحزن، تميز الأغنياء عن العامة.

أمـــا عـــن مراسم الحداد من حيث اللباس فلم يكن لون اللباس موحداً، فبعض النساء ارتديـــن اللـــون الأزرق وأخـــريات الأسود، وبعضهن ارتدين الملابس البيضاء[7]. فقد ذكر الوشاء، أن اللون الأزرق كان يُلبس للحداد، حيث تلبسه الأرامل ونساء العامة[8]. وأثناء تقديم

---

(١) ابـــن الجـــوزي، المنتظم، ج١٧، ص ٢٩٩؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٩٩؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص ٨٨.

(٢) حسنين، سلاجقة إيران والعراق، ص ٥٩.

(٣) الصابئ، عيون التواريخ، ص ٢٩٢؛ ابن تغري بري، النجوم الزاهرة، مج٥، ص ١١٢.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ٣٢٩؛ الكتبي، فوات الوفيات، ج٢، ص ٢٥٠.

(٥) الصابئ، عيون التواريخ، ص ٥١، ٢٠١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٦٧. انظر: جواد، سيدات البلاط، ص١٣٥، ١٥٦.

(٦) أحسن التقاسيم، ص١٢٩؛ التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٥، ص١٢٢.

(٧) الوشاء، الموشى، ص ١٦٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٢٩٠.

(٨) المصدر السابق، ص١٨٥.

التعزية كان يؤتى في مجالس النساء والمآتم بقرّاء عميان، أو بقارئات من النساء لختم القرآن الكريم[١].

أما عن أيام تقديم العزاء وأماكن إقامتها، فهي ايضاً تختلف عند الإغنياء والعامة، فقد ذكـــرت بعـــض المصادر التاريخية انه عند وفاة الخاتون زوجة الخليفة المقتدي ابنة السلطان ملكشاه مكث الناس في العزاء سبعة أيام، والنساء تنوح عليها في الأسواق[٢]. وعند وفاة ابنة الوزيـــر نظام الملك زوجة عميد الدولة بني جهير اقيم لها العزاء ثلاثة أيام[٣]. فبعض الناس كـــان يقيم العزاء في صحن السلام، أو في النظامية، أما بقية الناس فكانوا يقيمون العزاء في بـــيوتهم البسيطة العتيقة، وحسب مقدرتهم المادية[٤]. ومما تجدر الإشارة إليه أنه كان للمرأة بعـــض العـادات الخاصة الأخرى، ومنها: ان النساء كنّ يلجأن إلى مكان منعزل في إحدى الغـــرف عـــند وجود بعض الغرباء في الدار[٥]، أو يصعدن فوق السطح؛ ليتفرجن على سير الولـــيمة، أو أي احـــتفال يقام في الدولة[٦]، وقد تقف المرأة بمفردها أو بصحبة بعض النسوة علـــى بـــاب الدار، لمراقبة المواكب التي يسير فيها السلطان [٧] أو الخليفة. وكانت النساء إذا دخـــل رجـــل غريب إلى إحدى الدور، يسرعن إلى وضع خمرهن[٨]، وكذلك إذا خرجن من

---

(١) ملـــيحة رحمة، صور من الحياة الاجتماعية، المجلة التاريخية المصرية، مج ١٧، الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة ١٩٧٠، ص٢٨.

(٢) الصابئ، عيون التواريخ، ص ٢٩٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٣٥.

(٣) الصابئ، المصدر السابق، ص٤٢٢.

(٤) الوشاء، الموشى، ص ١٦٤.

(٥) الخطيـــب البغدادي، التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم، تحقيق: عبد الله عبد الرحيم، عسيلان، دار المدني، جدة، ١٩٨٦، ص٢٣.

(٦) الغزالي، احياء علوم الدين، ج٢، ص ٣٣٤.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١١، ص ٦٥.

(٨) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج٢، ص ٢٣٠.

بيوتهن وصرن في الطريق[1]. وهناك حالات خاصة لجأت فيها النساء للكشف عن وجوههن، كحدوث اضطراب سياسي، يجعل الحرس المحيطين بقصر الخلافة يطلبون من النساء الكشف عن وجوههن عند الدخول للقصر؛ للتأكد من هويتهن؛ خوفاً من اشتراكهن في المؤامرات، أو خوفـاً مـن هروب- بعض المطلوبين- بزي امرأة[2]. وكانت المرأة تكشف عن وجهها عند حـدوث مصـاب في عائلتها، كوفاة عزيز عليها، فتنسى من شدة الذهول والحزن أن تضع الـنقاب على وجهها[3]. فقد حدث سنة (٥٢٩هـ/١١٢٤م)، اثر هزيمة جيش المسترشد أمام جـيش السلطان مسعود السلجوقي، أن خرجت النسوة حاسرات الرأس، يندبن في الأسواق[4]. ومـن العـادات المتعلقة بالمرأة أنه في سنة (٦٢٢هـ/١٢٣٥م)، قامت امرأة بتجهيز أخيها وغسله ودفنه[5]. وهذا منافياً للشرع بحيث لا يجوز امرأة بغسل ميت من الرجال.

ومـن العـادات الخاصة بالمآتم زيارة القبور كل ليلة، حيث يختمون الختمات، بعد الدفـن، وكـان بعض الناس ينامون عند القبور، وتصنع النساء بعض المأكولات، ويكون في ذلـك فرصة للفقراء والمحتاجين من العامة لبيع المأكولات والفواكه[6]، وكانت بعض النساء يخرجن للمقابر ويزرن الموتى، وينحنَ على القبر على طريقة الغناء[7].

---

(١) ابـن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص١٥٩؛ مليحة، صور من الحياة الاجتماعية، المجلة التاريخية، مج ١٧، ص٣٠.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ٢٦٥؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص١٥٩.

(٣) ابن الجوزي، ذم الهوى، ص١٢٨.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٢٩٦.

(٥) ابن الطقطقا، الفخري في الآداب السلطانية، ص ٣٢٣.

(٦) ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي، ذيل طبقات الحنابلة، دار المعرفة، بيروت،(د.ت)، د.ط،ج١

(٧) الأصـفهاني، الأغانـي، ج١٠، ص ٢٠٢، ٢٠٣؛ الجاحظ، المحاسن والمساوئ، دار المعارف مصر، ١٩٦٣، ص٣، ص٩٠.

وضع المرأة في المجتمع العراقي (٤٤٧ـ٦٥٦هـ/١٠٥٥ـ١٢٥٨م):

كانت النظرة الاجتماعية إلى المرأة قاسية في الغالب، يشوبها بعض الشك في إخلاصها، وقد قيلت أقوال كثيرة تحذر الرجل من المرأة، وقد ورد ذلك على لسان بعض العلماء كقول المكي"الخلق محجوبون بثلاثة حجب، الدرهم، وطلب الرياسة، وطاعة النساء"[١]، وقول مسكويه "بأن الضجر والغضب عند النساء أكثر من الرجال"[٢]. وقد قدم الغزالي جملة نصائح في آداب المرأة نذكر منها، أن تكون المرأة في مقر بيتها، وملازمة لمغزلها، ولا تكثر من الصعود إلى سطح الدار والتطلع منه، وأن تكون قليلة الكلام لجيرانها، ولا تدخل عليهم إلاّ في حالات الضرورة الماسة... وان تكن نظيفة ومستعدة في جميع الأحوال لاستقبال زوجها ليتمتع بها متى شاء[٣]. وقال ابن الجوزي أيضا "أجّل طباع النساء الغدر"[٤]. وقال " أن لا وفاء للنساء"[٥]. وهذا لا ينطبق بالطبع على جميع النساء؛ لأنهن مختلفات عن بعضهن في كل شيء، سواء في طبيعتهن أو أخلاقهن.

أما بالنسبة لاختلاط الرجال بالنساء فكان الرجال يغارون على النساء الحرائر فشددّوا الحجاب على المرأة الحرة، وفرضت بعض القيود الاجتماعية وخاصة في الطرقات، حيث كان من مهام المحتسب مراقبة النساء في الأسواق والمحال والشوارع[٦] لأنهن فتنة. وعند خروجها من البيت فقد تعرضت المرأة لمضايقات، وخاصة في الشوارع والممرات، وتعرضن لبعض الاعتداءات من الجند، ومنهن من تعرضن للاغتصاب، والقتل على يد الشذاذ،

---

(١) ابو طالب محمد بن علي، قوت القلوب، المطبعة المصرية، القاهرة، ١٩٣٢، ج١، ص١٤١.
(٢) تهذيب الأخلاق، مطبعة والد عباس، (د. م)، ١٩٠٨، ص ٦٥.
(٣) احياء علوم الدين، ج٣، ص ٦١.
(٤) ذم الهوى، ص ٦٤٦.
(٥) ابن الجوزي، ذم الهوى، ص٦٤٧.
(٦) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٢٤٩.

واللصـــوص[١]. فكان لا بد للمحتسب أن يمنع الاختلاط بين النساء والرجال، حتى انه كان لا يسـمح للزوجيـن أن يجتمعا في الطرقات الخالية من الناس[٢]. وحتى يكونا بعيدين عن أي شـبهة، وكـان يفصل بين النساء والرجال في إثناء ركوبهم الزوارق عند عبور دجلة[٣]. فقد صـدر مرسوم بأمر من الخليفة المستظهر العباسي في سنة (٥٠٢هـ/١١٠٨م)، يمنع النساء من أن يعبرن مع الرجال في الزوارق[٤]، أو السميريات[٥]. وتكرّر ذلك في سنة (٥٤٠هـ/١١٤٥م)[٦]، أمـا فـي سـنة (٤٦٧هـ/١٠٧٤م) فمُنع الملاحون من حمل الرجال والنساء مجتمعيـن[٧]، ولكنهم خرجوا ولم ينفذوا ما جاء في المرسوم، حيث اختلط الرجال والنساء في لـيلة الماشـوس[٨]. وهذه الأعياد مدعاة للاختلاط ربما ادى الأمر إلى التسيب وعدم الضبط. وهـذه القيود التي فرضت لم تحل دون إختلاط الجنسين، فالنساء حضرن مجالس الوعظ في المسـاجد[٩]، والتكايا الصوفية[١٠]، والتقين بالرجال أثناء مراجعة دواوين الحكومة[١١]، للنظر فـي قضية ما. وذكر ابن الجوزي أن عدد النسوة اللواتي حضرن مجالس الوعظ قدر بثلاثين

---

(١) التنوخـي، نشوار المحاضرة، ج٢، ص ٢٢٥، ٢٢٦؛ ٢٧٩؛ ج٣، ص ٣٣، ٢١٩، الفرج بعد الشدة، ج١، ص ٣٥٥؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص٤٨.

(٢) الماوردي، الأحكام لسلطانية،ص ٢٤٩.

(٣) الماوردي، المصدر السابق، ص ٢٥٧؛ ابن الأخوة، معالم القربة في احكام الحسن. ص٧٥.

(٤) أبن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص ١٩٢.

(٥) السميريات: ضرب من السفن، أنظر ابن منظور، لسان العرب، مج ٤، ص ٤٣٧. مادة سمر.

(٦) ابن الجوزي، المصدر السابق، ج١٨، ص٢٦٦.

(٧) ابن الجوزي، المصدر السابق، ج١٦، ص ١٦٦.

(٨) الماشوس: ليلة اختلط بها الرجال والنساء، وهذه الليلة تكون في عيد النصارى، ويطلق على هذه الليلة وعـيدها الخاص "بدير الخوات"، وأكثر أهل هذه الليلة من النساء ويطلق عليه دير العذارى ويكون في وسط البساتين، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢،ص٥٠٨، الشابستي، الديارات، ص٣٦٣.

(٩) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٢، ص ٣٦١.

(١٠) ابن الجوزي، تبليس ابليس، ص ٣٦١.

(١١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ١٧٣.

ألف امرأة، والواعظ اسمه أردشير بن منصور من أهل مرو، وكان يجلس للوعظ في المدرسة النظامية[١] في بغداد آنذاك. وان كان في هذا العدد شيء من المبالغة، إلاّ أنه يدلّ على أن المرأة كانت تخرج، وتشارك أحيانا في المناسبات العامة، كالمناسبات الدينية.

وفي سنة (٤٦٤هـ/١٠٧١م) أمر الخليفة المقتدي المحتسب بمنع خروج النساء ليلاً، للمشاركة في صلاة التراويح[٢]، حتى لا يكون هناك مجالٌ لالتقاء الرجال بالنساء في الطرقات. وقد يلتقي الرجال بالنساء دون سابق وعد في الأسواق، وشطوط الأنهار، وأبواب الحمامات الخاصة بالنساء، وعند زيارة القبور[٣]. وكان الشبان يقفون على الجسور؛ ليراقبوا النساء العابرات، ويسمعونهن كلمات الغزل والإطراء، وقد يتبادلون وإياهن الكلمات، خاصة إذا كن ممن يستجبن لدواعي الغزل[٤]. وهذا اللقاء ليس عفوياً وانما مقصوداً ومن قبل فئة خاصة، من الرجال هم المتسكعون كما يسمون عند أهل الحسبة، وكانت النساء قبل خروجهن من البيت يتجملن ويعتنين بمظهرهن[٥]، وهذا ما جعلهن يتعرضن للغزل، والنظرات المختلفة في الطرقات والأزقة.

وكان الاختلاط يسبب الكثير من المتاعب والمشاكل الاجتماعية والخُلقية والنفسية، فقد ورد في بعض الأخبار، في سنة (٤٦٨هـ/١٠٧٥م)، أن غُلاماً يعرف بابن الروّاس من اهل الكرخ أحب امرأة فماتت، فحزن عليها، فظل لا يأكل، حتى انتهى به الأمر إلى أن شنق نفسه[٦]. وفي رواية أخرى حدثت سنة (٤٨٧هـ/١٠٨٥م) فقد ورد ان شاباً اعتدى على فتاةٍ

---

(١) المنتظم، المصدر السابق، ج١٦، ص٧٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٠، ص ٨٤.
(٢) ابن الجوزي، المصدر السابق، ج١٦، ص ١٢٣٣.
(٣) ابن الجوزي، تلبيس ابليس، ص٣٨٧.
(٤) ابن الجوزي، أخبار الظراف، ص ٤٧.
(٥) ابن الجوزي، تبليس ابليس، ص ٣٨٧.
(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ١٧١٤.

هاشـــمية، فـــثار أهل الفتاة، وتقدموا بالشكوى للديوان المختص، وعند سؤال الشاب، أنكر ما نُسب إليه ولم تثبت عليه البّينة، فما كان من والد الفتاة إلاّ أن قتل ابنته غسلاً للعار[1]. أما إذا ارتكبت المرأة عملاً منافياً للأخلاق، فكانت تفضل الهرب حتى لا يلحق بأهلها العار[2]. ومما تجـدر الإشـــارة اليه أن التقاء الرجال بالنساء وخاصة في الليل خفية عن أعين الناظرين[3]، وهـــذا اللقاء يعرض الإثنان للخطر وربما إلى الانتقام، كما حدث في سنة (٥٠٠هـ/١١٠٦م) عندما دخل رجل إلى داره فوجد فيه رجلاً غريباً عند أخته، فما كان منه إلى أن عمد إلى قتل ذلـــك الـــرجل[4]. ولهـــذا فقد كان المحتسب يعاقب الشبان الذين يعملون على كشف عورات النساء، من خلال الوقوف على أبواب الحمامات الخاصة بالنساء للنظر إليهن[5]؛ وكان له -أي المحتســـب- الحق في محاسبة الرجل والمرأة إذا وقفا في خلوة ولم تكن بينهما قرابة، عندئذ يحقّق معها ومعه[6].

وعلى الرغم، من نظرة المجتمع البغدادي إلى بعض النساء، التي كان يشوبها نوع من الشـــك والريـــبة، إلاّ أنه كان لبعض النساء مكانة كبيرة في المجتمع، لم تغفل بعض المصادر التاريخية الإشارة إليها. فبعض النساء ممن لهن نفوذاً اجتماعياً ودراية في التعامل مع الرجال كن يترأسن العساكر والقوافل، فقد تزعمت خاتون المسعودية بنت السلطان السلجوقي مسعود والمعروفة بسلجوقة خاتون القوافل، التي ركبها الرّحالة ابن جبير من بغداد إلى الموصل، وقد وصـــف ابن جبير موكب الخاتون المسعودية فقال: "... وهي قد استقلت في هودج موضوع

(١) ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج١٦، ص ١٧١-١٧٢.

(٢) ابن الجوزي، نفسه، ص٢٩٧؛ ابن الجوزي، ذم الهوى، ص٣٤٧.

(٣) ابن الجوزي، الاذكياء، ص ٦٠.

(٤) ابن الجوزي، المصدر نفسه، ص ١٤٨.

(٥) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٢، ص٣٢٠.

(٦) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٢١٦؛ ٢٤٩، ٢٥٧؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص٧٥.

بين خشبتين مقرضتين بين مطبقين الواحدة أمام الأخرى وعليها الجلال المذهبة وهما يسيران سير النسيم بسرعة ولين، وقد فتح أمام الهودج وخلفه بابان، وهي في وسطه متنقبة، وعصابة ذهب على رأسها، ومن أمامها الفتيان والجند، ومن يمنيها جنائب المطايا والهماليج[١] والعتاق، ووراءها ركب من جواريها وقد ركبنّ المطايا على السروج المذهبة، وعصّبن رؤوسهن بالعصائب الذهبيات، والنسيم يتلاعب بعذباتهن، وهن يسرن خلف سيدتهن سير السحاب، ولها الرايات والطبول والبوقات تضرب عند ركوبها وعند نزولها، وأبصرنا من الأبهة التي كانت تتميز بها هذه السيدة الجليلة والاحتفال بها رتبة تهز الأرض هزاً وتسحب أذيال الدنيا عزاً..." [٢]. وان دلّ هذا الوصف فإنما يدلّ على مدى العزّ والجاه اللذين تميزت بهما هذه السيدة، والمكانة الرفيعة التي وصفت بها.

فضلاً عن ذلك فقد كانت من النساء المحدثّات، والعالمات، والفقيهات، والكاتبات اللواتي اشتهرن بحسن الخط وجودته، كفاطمة بنت الأقرع[٣]. أما المحدثات فنذكر منهن: جبرة السوداء[٤]، وقد كتب عنها كثير من المحدثين. ومنهن من حضرن مجالس الوعظ، وأعتبرت من الواعظات نذكر منهن خديجة الشاهجانية[٥]، وفاطمة الفرضي[٦]، وتميزت هذه الفترة التي نحن بصدد دراستها بسعة الحركة العلمية بين النساء وبالصفات التي تميزها عن

---

(١) مأخوذة من كلمة هملج، وهملاج، وهو البرذون أو الدابة التي تمشي وتسير بحسن وسرعة وبخترة؛ ابن منظور، لسان العرب، مج٢، ص ٤٦٠.

(٢) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٢٠٦، ٢٠٧؛ للمزيد أنظر، المصدر نفسه، ص ١٧٧، ١٤٤، ١٤٥.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ٢٧٣؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٣، ص ٣٦٥؛ أنظر؛ التونجي، معجم اعلام النساء، ص١٣٤.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٤٤٦؛ انظر، كحالة، أعلام النساء، ج١، ص١٨٨.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٤٤٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ١٠٧؛ كحالة، أعلام النساء، ج١، ص٣٤٣.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص ٧، كحالة، أعلام النساء، ج٣، ص ٢١٢.

غـــيرها بين مجتمع الرجال. ولم تكتف المرأة البغدادية بهذا فحسب، بل شاركت في الأعمال الخيرية والعمرانية، كتأسيس المدارس وبنائها، وبناء البيمارستانات والوقف عليها. فقد أنشات تـــركان خاتون الجلالية مدرسة للحنفية[١]، كما أسست السيدة بنفشا زوجة الخليفة المستضيء مدرسة للحنابلة سنة (٥٧٠هـــ/١٠٦٢م)[٢]. ولم تتخلّ المرأة عن أسرتها، وهدفها الأسمى في رعايـــة بيـــتها وأســـرتها، بالإضافة إلى مشاركتها الفعّالة في الحياة العلمية وسيشار إلى ذلك لاحقاً.

٣. دور المرأة في الحياة الاقتصادية

يعتـــبر المجتمع في العراق في معظمه زراعياً، لذا عملت المرأة في الزراعة، وتربية الماشية إلى جانب الرجل، واعتبر ذلك مشاركة للمرأة في الحياة الاقتصادية والزراعية[٣]. إلى جانـــب عمل المرأة في القرية والبادية في مهنة الزراعة، عملت في مهنة الغزل لإرتباط هذه المهـــنة بتربـــية الماشية، وهي من المهن المستحبة في الإسلام؛ لأنها مهنة معظم النساء[٤]. وبســـبب صـــعوبة الحياة في العراق، وغلاء المعيشة، وارتفاع الأسعار[٥]، اضطرت بعض النســـوة للعمـــل فـــي المهن المختلفة، ونذكر منها: العمل في التجارة، فقد كانت بعض النساء يتخذن من بيوتهن ما يشبه الدكاكين[٦]، يبعن فيها بعض السلع، لمن حولهن من الجيران، كما

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص ٢٠٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص١٤٨.
(٢) ابن الساعي، الجامع المختصر، ج٩، ص ٨٩
(٣) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١١٨.
(٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٤، ص٧٢٧.
(٥) شاكر، دولة بني العباس، ج٢، ص٧٥.
(٦) بدري، العامة في بغداد، ص ٥٤، ٥٥.

أن البعض سمح لهن بالبيع في الدكاكين(١)، كما أنهن شاركن الرجال في بعض أعمالهم في الأسواق كعمل البزازين(٢)، والعطارين(٣). وذكر ابن حوقل أن بعض النسوة اشتركن في أعمال صعبة نذكر منها، ردم خور الأبلة(٤)، بالحجارة كي لا تسقط فيه السفن(٥)، وعملت المرأة في المهن المختلفة كمهنة الكتابة(٦)، والوعظ، وكان منهن المحدثات والفقيهات(٧)، من أشهرهن شُهدة الأبري(٨)، وشاركت المرأة في صناعة الطيب والعطارة والتجميل(٩). وعملت بعض النسوة خبازات في بيت الموسرين لقاء أجر معلوم(١٠)، وبعضهن عملن طباخات في البيمارستانات(١١)، ومشرفات وخادمات في قسم النساء في تلك البيمارستانات(١٢). ومن الوظائف التي كانت مقصورة على النساء مهنة القبالة والقابلة هي امرأة متمرسة ذات خبرة

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، اعتناء أم. جي، ديغويه، ديل لندن، ١٩٠٦، ص٣٥٦.

(٢) البزازون: التجار الذين يبيعون الأقمشة على اختلاف أنواعها، ووجد سوق للبزازين في بغداد. الكبيسي- حمدان عبدالمجيد، أسواق بغداد؛ وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، ١٩٧٩، ص ١٦٨.

(٣) العطارون: ومفردها العطار وهو الشخص الذي يبيع غرائب العقاقير، ويوجد سوق العطارين في بغداد، البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٢٤٦؛ انظر الكبيسي، اسواق بغداد، ص١٧٠.

(٤) الأبلة: بلدة على شاطئ دجلة في زاوية الخليج العربي يدخل منها إلى مدينة لبصرة، ياقوت- معجم البلدان، ج١،ص ٧٧.

(٥) ابو القاسم النصيبي، صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ص٩٥.

(٦) الوشاء، الموشى، ص ٢١٩، ٢٢٢؛ ٢٤٣.

(٧) الخطيب البغدادي، تاريخ، بغداد، ج١٢، ص٧٦.

(٨) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص٥٤٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، اعتناء وداد القاضي، ج١٦، ص ١٩٠-١٩١. كحالة، أعلام النساء، ج٢، ص ٣٠٩.

(٩) الوشاء، الموشى، ص٢٤٣.

(١٠) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٦٩.

(١١) الصابئ، عيون التواريخ، ص٦٦؛ انظر، التيطلي، بنيامين بن يونه النباري الأندلسي، رحلة بنيامين، تحقيق: عزراء حداد، المدرسة الوطنية، ١٩٤٥، ص ١٣٤-١٣٥.

(١٢) عيسى، احمد، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، (د.ن)، بيروت، ١٩٨١، ص٤٠٣.

الكاغد(١)، ومما روي أن والدة احمد بن أبي غالب المعروف بابن الطلاية، كانت تطلي الكاغد عند صنعه بالدقيق والمعجون قبل صقله(٢). وذكر ابن خلدون أن هذه الصناعة قد اندثرت في المغـرب، بيـنما بقيـت في المشرق لبقاء أنواع العلوم والصنائع(٣). كما شاركت المرأة في صناعة الأحذية، وانتشرت هذه الصناعة في العراق على اختلاف أنواعها، فكان هناك احذية خاصـة بالرجال والنساء والأطفال. وقد وجد سوق خاص لهذه الصناعة في الكرخ(٤). وبهذه الأعمال المختلفة شاركت المرأة الرجل؛ لكي تثبت وجودها في المجتمع الذي تعيش فيه، بعد أن نظـر إلـيها المجـتمع نظرة قاسية، يشوبها الشك والريبة. وكان لبعض النساء أملاكهن الخاصـة التي كانت تصل اليهن إما عن طريق الإرث(٥)، أو عن طريق ما يملكهن أزواجهن من صداق(٦)، أو أولياؤهن(٧) من عطايا وهبات في مختلف المناسبات، أو عن طريق قيامهن بـبعض الأعمـال المختلفة(٨) التي يزاولنها. وكان لهن حق التصرف بأموالهن في حاجاتهن

---

(١) الكـاغد: نـوع مـن الورق يصنع من الكتان والقنب، وتعتبر بغداد مركزاً مهماً لصناعة الكاغد، الذي تركزت صناعته في دار القز وقد ذاعت شهرته في جمع أنحاء العالم، وأكد الحموي، عندما قال: " دار القز، حملة كبيرة فـي بغـداد في طرف الصحراء، بين البلد وبينها اليوم نحو فرسخ، وكل ما حولها قد ضرب ولم يبق إلاّ أربع محـال متصلة بـ دار القز القبابية والنصرية...". الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٢٢. والكاغد كلمة فارسية اطلـق هذا الأسم على الأسر التي مارست هذه الصناعة وما زالت هذه التسمية موجودة بين العائلات الجزائرية مثل مسعود الكاغدي.

(٢) ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ص ٧٩، ١١٨.

(٣) ابـن خلـدون، ابـو زيـد عبد الرحمن محمد الحضرمي، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: درويش الخليلي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥، ، ص٣٣٥.

(٤) سـعد، العامة في بغداد، ص١١٧. وشاركت المرأة في الحروب، ومما روته بعض المصادر أنها خرجت بالماء لسقي الجرحى في البرية وفي سنة ٥٥٦هـ/١١٦١م، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٤٨.

(٥) الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص ١٩٢؛ ابن الجوزي، الأذكياء، ص ١٢٢.

(٦) ابن الجوزي، المصدر السابق، ص ٧٨، ١٢٢.

(٧) الأصفهاني، الأغاني، ج٢٣، ص٣١.

(٨) ابن الجوزي، المصدر السابق، ص٦٣؛ السيوطي، المستظرف من أخبار الجواري، ص٢١.

ومطالبهـــن الخاصــــة، مـــن الأمور الدنيوية كشراء الأثاث[١] والحلي[٢] والملابس، أو شراء الجواري[٣]، لمساعدتهن على الأعمال البيتية. أما نساء الخلفاء العباسيين، وأمهاتهم، وزوجات السلاطين السلاجقة، فقد كان لهن أموالهن الخاصة، فقد ورد في بعض المصادر التاريخية أن تـــركان خــــاتون الجلالـــية زوجة ملكشاه السلجوقي، قد وضعت يدها على أموال زوجها بعد وفاتـــه[٤]، وعندما كانت في اصفهان كانت تمتلك عشرة الاف فارس من الأتراك، وأنفقت ما يقـــارب ثلاثة الآلاف دينار[٥]؛ من اجل استقطاب الأمراء لمبايعة ابنها السلطان محمود. وأما زمرد خاتون والدة الخليفة الناصر العباسي فقد كانت تمتلك أموالاً طائلة، ودليل ذلك ما أنفقته فـــي الحج إذ بلغ نحو ثلاثمائة ألف دينار، وما أوقفته على المدارس والربط والجوامع[٦]. أما والدة الخليفة المستعصم، فقد امتلكت أموالا كثيرة، وروت بعض المصادر أنها في سنة (٦٤١ هـــــ/١٢٤٣م)، أنفقت أموالا على الحجاج[٧].وكان لبعض النساء سطوة وقوة عظيمتين إذ ان بعضــــهن استولت على ميراث زوجها دون سائر الورثة، وتحكمت بعض الغنيات بأزواجهن، لدرجة قد تحرر مملوكاً وتتزوجه ويسمى زوج الحرة، وهو ما يشبه القول الدارج الآن "زوج الست"ـــ فقد ذكر التنوخي أن غلبة النساء يتذاكرها الرجال في مجالسهم[٨].

---

(١) الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص ١٩٢.
(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج٥، ص١٢٧.
(٣) ابن الجوزي، اخبار الحمقى والمغفلين، ص٥٦، ابن الجوزي، الأذكياء، ص ٧١.
(٤) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص ٧٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٥٠.
(٥) ابن الساعي، نساء الخلفاء، ص ١٣٢.
(٦) ســــبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص٣٣٥؛ القرماني، أخبار الدول، ص ١٧٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٤، ص٢١٣.
(٧) ابـــن الكازرونـــي، مختصــــر التاريخ، ص٢٦٦؛ الذهبي. تاريخ الإسلام؛ حوادث (٦٤٢-٦٥٠هـــ)، ص ٢٩٨.
(٨) نشوار المحاضرة، ج٢، ص١٦٨؛ ج٣، ص٣٠؛ الفرج بعد الشدة، ج٤، ص٣٥٠، ٤٢٦.

الفصل الرابع

"المرأة في الحياة العلمية والثقافية"

١. تعليم المرأة

٢. المشاركة في العلوم المختلفة

أ. العلوم الدينية

القرآن الكريم

علوم الحديث

الفقه

ب. العلوم الأدبية

٣. الممارسات الدينية

أ. الوعظ والإرشاد

ب. التصوف

ج. اعمال البر والإحسان والوقف

٤. اثر الجواري في الحياة الثقافية والفنية.

٥. ترجمة لبعض الشهيرات من النساء في العراق

أ. شهدة لأبري

ب. خديجة الشاهجانية

ج. فاطمة بنت الأقرع

د. الماوردية البصرية

١. تعليم المرأة

تعـددت مظاهـر الحياة الفكرية والثقافية في العصر العباسي في الفترة التي نحن بصـدد دراستها، فكثرت النساء المتعلمات وحُبست الأوقاف على المؤسسات العلمية فكان لتشجيع الخلفاء والسلاطين أثره الكبير في انتشار التعليم مما أدى إلى زيادة عدد المُقبلين على التعليم من الذكور والإناث[١]. ومن الجدير بالذكر ان التعليم في هذه الفترة، وإن كان خاصاً بالذكور فإنه قد شمل الإناث أحياناً. فقد كان الكثير من الفقهاء والعلماء يحرصون علـى تعلـيم الفتاة حتى نبغ عدد كبير من العالمات العراقيات، ويرى الثعالبي أن "تعليم الأنـثى القـرآن، والعلم حَسَن و من مصالحها[٢]" فقد كان بوسع البنات التعلم في كتاتيب خاصـة منفصـلة عـن كتاتيـب الصبيان خشية الفتنة[٣]، وكن يتعلمن أحياناً على أيدي معلمـات، كما ذكرت بعض المصادر التاريخية؛ ومن مهامهن أيضاً كما يقول إبن بسام: "ومعلمـات البنات يمنعن بالغات البنات من الفواحش والقصائد والأشعار والكلام الذي لا خير فيه"[٤].

تميزت الفترة السلجوقية في العراق بالحركة العلمية بين النساء وخاصة في مدينة بغـداد عاصمة الخلافة العباسية، فقد كانت هناك نساء درسنّ مختلف العلوم، ولعل شهدة

---

(١) القابسي، أبو الحسن محمد؛ الرسالة المفصّلة لأحوال المتعلمين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٢٩٢.

(٢) القابسي، المرجع السابق، ص ٢٩٢. نقلاً عن الثعالبي.

(٣) سـحنون، محمد، آداب المتعلمين، تعليق: أحمد العروسي، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٧٢، ص ٣٨.

(٤) نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص ١٦٣؛ بيهم، المرأة في حضارة العرب، ص ١٥٠.

الإبـــري[١]، خير مثال على ذلك، وقد نشرت علومها بين الناس فأصبح يؤم مجلسها طلبة العلـــم مـــن كـــل حدب وصوب[٢]، وبرزت منهن المحدثات والكاتبات والواعظات، وقد اسـتطاعت نسـاء البلاط العباسي بما أوتين مكانة اجتماعية وثراء، أن ينهلن من معين المعرفة والثقافة على يد مدرسات، وأن لم تتح لها فرصة التعليم كانت تشجع أطفالها على طلب العلم، وخير مثال الإمام الشافعي الذي يعد ثمرة أم عظيمة تولته برعايتها فكانت له المشـــجع والمساعد حتى استطاع التقدم في العلم[٣]. إلى جانب ذلك كانت النسوة يحضرن مجالس الوعظ ويعظنّ ببيوتهن، وتذكر بعض المصادر التاريخية شواهد كثيرة على ذلك، منها الواعظة الشاهجانية[٤].

وبالإضـــافة إلى ذلك فقد كان بإمكان المرأة التعلم والسماع على الشيوخ في بيوت خاصة، وأغلب المتعلمات كنَّ من بنات العلماء اللائي كنَّ يستفدنّ من الدروس التي كانت تعقـد فـــي بيوتهنّ لتعليم الطلاب كما هو الحال لإبنة القاضي المحاملي العلاّمة الشافعي الذي كان يُلقي دروسه في بيته[٥].

---

(١) إبن الأثير، الكامل، ج١١، ص٢٠٠٠؛ إبن الساعي، الجامع المختصر، ج٩، ص ٦٤، إبن الدبيثي، المختصر المحتاج اليه، ج٣، ص ٢٦٣-٢٦٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص ٥٤٢؛ دول الإسلام، ج٢، ص ٨٧.

(٢) إبـــن الأثـــير، الكـــامل، ج١١، ص ٢٠٠؛ معـــروف، عـــالم بغداديات في العصر العباسي، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٧٦، ص ٨.

(٣) قبيسي، بشرى، المرأة في التاريخ والمجتمع، دار امواج للنشر، بيروت، ١٩٩٥، ص ٦٧.

(٤) الخطيـــب الـــبغدادي، تـــاريخ بغداد، ج١٤، ص ٤٤٧؛ إبن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ١٠٧؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٣، ص ٢٩٦، انظر: كحالة، أعلام النساء، ص ٣٤٣.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص ٤٤٢-٤٤٣؛ إبن الدبيثي، المختصر المحتاج اليه، ج١٥، ص ٣٩١-٣٩٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٥، ص ١٦، ص ١٩٠-٢٩٠.

وشاركت المرأة في النهضة العلمية التي شهدتها مدن العراق، وخاصة في بغداد، فلم تكن المرأة بمعزل عن الرجل في طلب العلم والاختلاف إلى الشيوخ وحلقات الدروس والسماع[١]. فقد ترجم الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ/١٠٢٠م) في تاريخ بغداد لاثنتين وثلاثين من نساء اهل بغداد مبتدأ بالخيزران (ت١٧٣هـ/٧٨٩م). وقد أشرت فقط إلى اهتمام بعض المؤرخين امثل الخطيب البغدادي بالمرأة، ومنتهياً بخديجة الشاهجانية المتوفاة سنة (٤٦٠هـ/١٠٦٧م) [٢]. هذا بالإضافة إلى ما كتبه المؤرخون في مصنفاتهم التاريخية (كتب التراجم أذ وجدنا طائفة كبيرة من عالمات بغداد ومحدثات الشهيرات ممن تبوأن مكانة علمية رفيعة[٣]. ومما يدلّ على مكانة المرأة العلمية أنه كان من بين شيوخ إبن عساكر ثمانون إمرأة[٤] قد سمع وروى منهن.

وذكر إبن الساعي مؤرخ العراق، الذي رحل رحلة استغرقت سبعة وعشرين سنة في البلاد الإسلامية، أنه تلقى العلم على ثلاثة آلاف شيخ وأربعمائة عالمة[٥].

---

(١) غوانمة، يوسف حسن، القدس الشريف، دار الفكر للطباعة والنشر، الأردن، ٢٠٠٢م، ص ٢١٧.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص ٤٣١-٤٤٨.

(٣) عباس، صالح مهدي، أثر المرأة البغدادية في الحركة العلمية، مركز أحياء التراث العلمي، بغداد، ١٩٨٨، ص ٨٣-٨٤.

(٤) معروف ناجي، تاريخ علماء المستنصرية، مطبوعات الشعب، بغداد (د.ت)، ط٣، ص ٣٧٦.
إبن عساكر: علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن أبو القاسم الدمشقي، الشافعي، ولد سنة ٤٩٩هـ/ في مدينة دمشق، كان ابوه شيخاً صالحاً محباً للعلم، مهتماً بأمور الدين الفقه، كان قد سمع من شيوخ كثير، توفي سنة ٥٧١هـ، إبن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق محب الدين أبي سعيد العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥، ج١، ص ١١-١٢.

(٥) معروف، تاريخ علماء المستنصرية، ص ٣٧٦.

وبعـــض النساء العالمات كنَّ يدرّسنْ في الزوايا(١)، ويعقدّن الحلقات والدروس في بيوتهـــن، كمـــا كانت المرأة تدخل المساجد للصلاة والعبادة وللتعلم ولوعظ النساء، حيث إتخذت بعض النساء من التعليم مهنة وتقاضت النسوة- وخاصة الفقيرات منهن أجراً عن الطلبة(٢). ومما هو جدير بالإشارة أن المرأة المتعلمة في هذه الفترة انصبّ اهتمامها على العلوم الدينية بالدرجة الأولى وعلوم اللغة العربية، فوجدت المرأة المحدثة والفقيهة وقارئة القرآن، والشاعرة والنحوية، وهي بهذا أصبحت تجيد العلوم الأساسية وتعلمها لكل طالب علم في ذلك الوقت.

العلوم الدينية

وكانـــت العلوم الدينية تحظى بإهتمام المرأة لنفعها للإنسان وحتى تتقرب إلى الله عز وجل وهذه العلوم هي:

أ. القران الكريم:

قـــرأت المـــرأة القـــرآن علـــى الشيوخ وحفظته وأجادت ترتيله، وأتقنت قراءاته المختلفة، فلقنت الرجال والنساء. وحتمت بعض النساء القرآن على الحافظين له من نساء

(١) الـــزوايا، جمـــع زاوية تطلق على كل مسجد صغيرة فيه أحد الرجال المشهورين بالتقوى والصلاح والعبادة، يقوم بوظيفة الوعظ والإرشاد لمن يتردد عليه، ولا يوجد فيه منبر أو مئذنة، وتوجد زوايا خاصـــة للنســـاء وأخرى للرجال، وقرب مبنى الزاوية توجد مقبرة يدفن فيها شيخ الزاوية وبعض اتـــباعه، ويكون مبنى الزاوية اقل ضخامة من مباني الاربطة. أنظر: دائرة المعارف الإسلامية، ج ١٠، (مقالة زاوية)، مراجعة: محمد مهدي علاّمة، ص ٣٣١-٣٣٢.

(٢) القبيســـي، المرأة في التاريخ، ص ٦٧. ويرى الدكتور يوسف غوانمة ان الدولة الإسلامية لم تقرر راتـــباً للمعلميـــن والمعلمـــات والشيوخ والشيخات العالمات إلاّ ابتداء من منتصف القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) انظر، غوانمة، القدس الشريف، ص ٢١٧.

ورجال، وقد اشتهرت منهنّ بعض العالمات، نذكر جليلة بنت علي بن الحسن بن الحسين الشجري، القارئة للقرآن الكريم، وأصلها من سجستان، وكانت تعلمّ الصبيان قراءة القرآن في مكتب تعليم الصبيان(١). وخديجة بنت القيّم البغدادية، كانت قارئة للقرآن، وقرأ عليها كثير من الناس، تجويد قراءة القرآن(٢).

وضــوء الصــباح بنــت المبارك بن أحمد بن عبد العزيز بن المعمر الأنصاري المدعوة "خاصة العلماء البغدادية"، وهي حافظة للقرآن الكريم وكثيرة التلاوة والعبادة(٣). واشتهرت كذلك أم الخير فاطمة بنت دعبل، وهي ابنة الشيخ علي البغدادي (ت ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م) المقرئة وقد عاشت سبعاً وتسعين سنة(٤)، وهاجر بنت أبي عبد الرحمن إسماعيل بنت محمد بن يحيى مسلم البغدادية، وقد ختمن عليها القرآن جماعة من النساء(٥). وهناك الكثير من العالمات اللواتي كنّ يتلون القرآن الكريم، وقد كانت لهن أيضاً عناية بالغة في علــوم الحديــث الشريف، والغاية من ذلك التحقق من مصدر التشريع الثاني في الشريعة الإســلامية، وهو السنة النبوية الشريفة لما لها من صلةٍ وثيقة في حياة المجتمع الإسلامي وتنظيم أحكامه ومعاملاته.

---

(١) الســمعاني، أبو سعد عبدالكريم، التحبير في المعجم الكبير، تحقيق: منير ناجي سالم، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٥، ج٢، ص ٤٠١، أنظر: كحالة، أعلام النساء، ج١، ص ٢٠١.

(٢) كحالة، أعلام النساء، ج١، ص ٣٣٩.

(٣) إبن الدبيثي، المختصر المحتاج اليه، ج١٥، ص ١٣٩٣، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص ٣٧٠-٣٧١.

(٤) اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص ١٩٩؛ كحالة، أعلام النساء، ج١، ص ٣٢٠.

(٥) المــنذري، زكــي الديــن عبد العظيم، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بــيروت، ١٩٨١، ج٣، ص ١٥٤-١٥٥، إبــن الدبيثي، المختصر المحتاج اليه، ج١٥، ص ٣٩٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ١٢٢هـــ، ص ١٣٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص ٣٧٠-٣٧١.

ب. علوم الحديث:

كان علم الحديث من أكثر العلوم التي اقبلت المرأة على تعلمه، فالحديث يرقق القلوب، ويبعد عن الخلافات، فهو صادر عن المنبع الصافي والشامل لسلوك المرأة في معاملتها للخالق والخلق مع نفسها وزوجها وبيتها ... الخ، فبعض النساء تعلمن الحديث ورحلنّ في طلبه، والمراة المحدثة والقارئة غالباً ما تكون من اسرة علمية. وهناك قلائل من النساء جمعنّ إلى جانبه علوماً أخرى. نذكر من هؤلاء النسوة: آمنة ابنة عبد الحافظ أبي محمد عبد العزيز بن محمود بن المبارك الأخضر البغدادي، وكانت تكنى بأمه الرحيم[1]، سمعت من أبيها، ومن أبي الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد بن يوسف. وفخر النساء شهدة الكاتبة، وحدّثت وتوفيت سنة (٦٣٣هـ/١٢٣٥م) ببغداد[2]، ودفنت عند أبيها بباب حرب[3]. وأمنة ابنة الإمام أبي الحسن أحمد بن عبد الله علي بن عبد الله الأنبوسي الإنصاري الشافعي، الشيخة الصالحة شرف النساء ولدت سنة (٥٣٧هـ/١١٤٢م).

سمعت من والدها، وردت عنه كثيراً، فسمع منها إبن الدبيثي، وعمر بن الحاجب، وحمد بن المجد، وقد ردت عنها بالإجازة فاطمة بنت سليمان سنة (٦٧٥هـ/١٢٧٦م). قال المنذري: لنا منها إجازة، وقد انفردت بالرواية عند والدها، وكانت صالحة مسنة،

---

(١) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، ج٣، ص ٤٠٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات ٦٣٣هـ، ص١٤٣.

(٢) المنذري، المصدر السابق، ج٣، ص ٤٠٥؛ الذهبي، المصدر السابق، ص ١٤٣. إبن الدبيثي، المختصر المحتاج اليه، ج١٥، ص ٣٩١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات ٦٢١هـ، ص ٥٧.

(٣) باب حرب: يقع خارج مدينة بغداد، وراء الخندق، مما يلي طريق قطربل معروفةً بأهل الصلاح والخير، فيها قبر أحمد بن حنبل، وبشر بن الحارث، ليسز، يعقوب، خطط بغداد في القرون العباسية الأولى، ترجمة صالح العلي، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٤، ص ١٣٠.

وعـــابدة كثـــيرة الذكـــر، توفيـــت ســـنة (٦٢٦هـــ/١٢٨٨م)، ببغداد[١]، ودفنت بمقبرة الشونيزية[٢]. العالمة تجنّي الوهابية، أم عتب وهي اخر من روى بالسماع عن طراد بن محمـــد الزينبـــي والنعالـــي[٣]. وقد أختلفت طرق تعلم المرأة للحديث ما بين الحضور[٤] والسماع[٥] والقراءة[٦] والرواية[٧]، ومن النسوة اللواتي اخذ عنها الحديث بطريق السماع أم الخـــير البغدادية، وهي محدثة من بغداد[٨]. وجمال النساء بنت أبي بكر أحمد بن أبي ســـعد بـــن أحمد بن الغراف البغدادية، الشيخة الصالحة أم الخير، سمعت على أكثر من شـــيخ، وســـمعت بإفـــادة والدها في صغرها من أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد وغـــيره، وقـــد روت الأحاديـــث الشريفة، وحدّثت، وأجازت للفخر إسماعيل بن عساكر،

---

(١) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، ج٣، ص ٢٣٩؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٥، ص ١٠٦؛ إبن الدبيثي، المختصر المحتاج اليه، ج١٥، ص ٣٩٠؛ اليافعي، مرأة الجنان، ج٤، ص ٥٩؛ كحالة، أعلام النساء، ج١، ص ٨٠.

(٢) مقبرة الشونيزية: وفيها قبر سرى بن السقطي، وهو من الزهاد، تقع وراء المحلة المعروفة بالتوثة، قرب من نهر عيسى بن علي الهاشمي، ليسز، خطط بغداد، ص ١٣١.

(٣) إبن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج١٩، ص ٢٠٤؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج٤، ص ٨١؛ كحالة، أعلام النساء، ج١، ص ٢٠٣،.

(٤) الحضور: هو سماع صغار السن الحديث الشريف قبل بلوغهم التميّز أو قبل اتمامهم سن الخامسة، إبن كثير، الباعث الحثيث في شرح اختصار علوم الحديث، دار التراث، القاهرة،١٩٧٩،ط٣،ص٩٠

(٥) السماع: سماع الحديث الشريف بعد بلوغ سن النقل والتميز، إبن كثير، المصدر السابق، ص ٩١.

(٦) القـــراءة: قراءة الطالب على الشيخ حفظاً "ومن كتاب" وهو "العرض: سواء أكان الراوي يقرأ ممن حفظه من كتاب أو سمع غيره يقرأ كذلك على الشيخ، والشرط ان يكون الشيخ حافظاً لما يُقرأ عليه أو قابل على أصله الصحيح. أو يكون الأصل بيد القارئ؛ إبن كثير، المصدر السابق، ص ٩٢.

(٧) الرواية: هو ان يروي التلميذ الأحاديث التي سمعها من شيخه، إبن كثير، المصدر نفسه، ص ٩٩.

(٨) الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٣، ص٦٧، سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص ٥٥٠؛ كحالة، أعلام النساء، ج١، ص ٢٨٩.

وفاطمـــة بنــت سليمان وحجت عدة مرات إلى بيت الله الحرام وتوفيت سنة (٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م)[١].

وجمعـــة بنت أحمد بن محمد بن عبيد الحميّة وهي محدثة من نيسابور[٢]، قدمت إلـــى بغـــداد وحدثت بها، ومن أهم الشيوخ التي حدثت عنهم أبي عمرو بن حمدان وأبي أحمـــد الحافظ وعبدالله بن محمد بن عبد الوهاب الرازي، وحدث عنها أبو محمد الخلال وعـــبد العزيز الأزجي وأبو الحسين محمد بن محمد الشروحي، الذي سمع منها في بغداد سنة (٣٩٦هـ/١٠٠٥م)[٣].

كانـــت المرآة تجلس للسماع والحضور والتلقين في سن مبكرة وإن كانت في مثل هذا السن لا تستوعب ما يُقرأ عليها أو ما تسمعه، وقد يكون سبب حضورها هذه المجالس بهـــذا السن اهتمام الأسرة لتعليمها حسن الإنتباه والإنتظام ومن ثم تنمية ميلها إلى دراسة العلوم الدينية. ولم تكن بعض النساء المحدثات تتلقى العلم عن شيخ واحد وبراوية واحدة فقـــد إعـــتاد البعض منهن سماع الحديث عن أكثر من شيخ، فقد ذكرت بعض المصادر التاريخـــية ان شُهدة الإبري قد سمعت من أبي الفوارس طراد وابن طلحة النعالي، وأبي

---

(١) المـــنذري، الـــتكملة لوفيات النقلة، ج٣، ص ٦٠٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات، ٦٤٠هـــ، ص ٤٣٢. العـــبر في خبر من غبر، ج٥، ص ١٦٥؛ إبن الدبيثي، المختصر المحتاج اليه، ج١٥، ص ٣٩٢؛ إبن العماد، شذرات، ص ٢٠٧، اليافعي، مرآة الجنان، ج٤، ص ١٠٤، كحالة، أعلام النساء، ج١، ص ٢٠٣، ١٦٩.

(٢) نيسابور: مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، ومدن الفضلاء ومنبع العلماء، وقد اختلف في تسميتها، فقال البعض سميت لان سابور مرّ بها وفيها قصب كثير، للمزيد انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٥ ، ص ٣٣١-٣٣٢.

(٣) الخطيـــب الـــبغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص ٤٤٤-٤٤٥، انظر: كحالة: أعلام النساء، ج١، ص ٢١٥.

الحســن بن أيوب وغيرهم[١]. أما فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن فضلوية، فقد سمعت مــن أكــثر من شيخ، وسمعت من الخطيب إبن المسلمة[٢]. وفرحة بنت سلطان بن مسلم الــبغدادية الحربية، الشيخة الصالحة، وتُكنى أم يونس، سمعت هذه العالمة من أبي محمد عــبد الرحمــن بن زيد الورّاق، وحدثت، وتوفيت سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ببغداد ودفنت بباب حرب[٣].

وكانــت بعض العالمات والمحدثات يتلقين علم الحديث على أيدي ذويهن أو ممن يخــتار لهن من شيوخهم، ومن أشهر هؤلاء النسوة نذكر: حُلَلَ بنت محمد إبن أحمد بن أبــان الكوفي المشهدي، الشيخة الصالحة ست العرب، سمعت بإفادة إبن أختها أبي الرضا أحمد بن طارق بن أبي القاسم سعيد بن أحمد ابن البناء[٤]. حدثت وسمع منها إبن الدبيثي وذكر لها حديثاً، توفيت سنة (٦١٣هـ/١٢١٦م) ودفنت بالشونيزية[٥]. أما الشيخة خاصة بنت الشيخ المسند عبد الخالق إبن الشيخ عبد الوهاب بن محمد بن الحسين إبن الصابوني،

(١) سبط إبن الجوزي، مرأة الزمن، ج٨، ق١، ص ٣٥٢؛ أبو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج٢، ص ١٤٢؛ الإربلــي، تاريخ اربل، ق٢، ص١٢١، الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٣، ص ٦٦، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص ٢١٩.

(٢) إبــن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص ٢٤٧؛ سبط إبن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ١٢٦، إبن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ٢١٣.

(٣) المــنذري، الــتكملة لوفــيات الــنقلة، ج٣، ص ٤٩؛ الذهبــي، تأريخ الإسلام، وفيات ٦٢٦هــ، ص ٢٥٩.

(٤) المنذري، التكملة المصدر السابق، ج٣، ص ٢١٩؛ إبن الدبيثي، المختصر المحتاج اليه، ج١٢، ص ٣٩٢؛ الذهبــي، العــبرة فــي خبر م غبر، ج٥، ص ١٠٦؛ تاريخ الإسلام، وفيات ٦١٣، ص ، اليافعي، مرآة الجنان، ج٤، ص ٣٩؛ إبن تغري بردي النجوم الزاهرة، ج٦، ص ٢٧٣؛ إبن العماد، شذرات الذهب، ج١٥، ص ١١٩؛ انظر: كحالة، اعلام النساء، ج١، ص ٨٠.

(٥) إبن الدبيثي، المختصر المحتاج اليه، ج١٥، ص ٣٩٢.

البغدادي، المالكي، الشيخة الأصيلة، فقد سمعت من أبيها أبي محمد عبد الخالق، وهي من بيت حديث، حدثت، هي وأبوها وجدها، توفيت هذه الشيخة سنة (٦٤١هـ/١٢٤٣م)(١).

واتفاقاً مع منهجية التعليم وأصوله في ذلك الوقت، لم يسمح للمراة العالمة بأن تدرس وتحدث إلاّ إذ حصلت على إجازة(٢). مثال ذلك، حُلَلَ بنت الشيخ الأجل أبي المكارم محمود بن محمد بن الحسين بن السكن، البغدادية، وتدعى ست الملوك، أجاز لها أبو الوقت عبد الأول بن عيسى، توفيت سنة (٦٢١هـ/١٢٢٤م)، ببغداد ودفنت بباب حرب(٣). ودرّة بنت صالح بن كامل بن أبي غالب الخفاف، الذي أجاز لها أبو عبد الله محمد بن الطرائفي، وأبو غالب محمد بن علي بن الداية، والقاضي أبو الفضل محمد بن عمر الأرموي، وأبو القاسم هبة الله بن الحسين إبن الحاسب، وجماعة غيرهم(٤). وزهرة بنت الشيخ عبد العزيز إبن الشيخ الفقيه عبدالقادر بن أبي صالح الجيلي، الشيخة أم

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٤١هـ، ص ٨٨، انظر، عباس، اثر المرأة في الحركة العلمية، ص٨٧.

(٢) الإجازة: الشهادة التي يمنحها الشيخ أو المدرس لتلميذه، لتخوله حق التدريس ورواية ما قدر عليه واتقنه على يديه، وقد تكون الإجازة مستقلة أو على الكتاب الذي اتمّ الطالب دراسته عليه، وتكون الإجازة العامة، بالسماع المباشر أما الخاصة من غير سماع وليس من شرط الإجازة ان يتصل العالم عن اذن له اتصالاً مباشراً، وكان العلماء يجمعون الإجازات لهم ولابنائهم من الشيوخ حتى صاروا يميزون قبل وفاتهم علماء عصرهم ورواية الاحاديث التي كانوا يعرفونها وكانت الإجازة نظماً ونثراً. إبن كثير، الباعث الحثيث، ص ٩١، انظر: معروف، تاريخ علماء المستنصرية، ص ٤٧٧.

(٣) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، ج٣، ص ١٢١؛ الذهبي، تأريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٢١هـ، ص ٥٨.

(٤) المنذري، المصدر السابق، ج٣، ص ١٢١؛ الذهبي، المصدر السابق، وفيات سنة ٦٢١هـ، ص ٥٨.

أحمـــد ، أجاز لها أبو الحسين عبد الحق، وأبو نصر عبد الرحيم ابناء عبد الحق بن أحمد بن يوسف، وغيرهم، وقد حدث أكثر من واحد من أهل بيتها توفيت(٦٣٢هـ/١٢٣٤م)[١].

وزينـــب بنت سالم بن عبد السلام البغدادية، وقد حدثت بالإجازة عن فخر النساء شهدة الكاتبة البغدادية، وكانت زوج الشيخ أبي بكر عبد الحميد بن عبد الرشيد الهمذاني، توفيت سنة (٦٤٥هـ/١٢٤٧) ببغداد[٢]. ومن النساء من أجزن لبعض الشيوخ والعلماء، فتعتبر صفية بنت الشيخ أبي طاهر عبد الجبار بن هبة الله بن القاسم بن منصور بن عبد الســـلام البغدادية، من أهل الحريم الطاهري[٣]، وقد أجازت لزكي الدين المنذري، وسمع منها الحفاظ وكانت امرأة صالحة، توفيت سنة (٦٢٤هـ/١٢٢٦م)[٤]. أما صفية بنت أبي القاســـم عـــبد العزيز بن هبة الله المعروف بابن حديد الدقاق وهي بغدادية الأصل، أجاز لهـــا: أبـــو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي، وأبو الفتح محمد بن عبد الباقي، وأبو القاســـم يحـــيى بن ثابت بن بندار، وأبو بكر عبدالله بن محمد بن إبن النقور، وأحمد بن

---

(١) المـــنذري، الـــتكملة لوفيـــت النقلة، ج٣، ص ٣٩٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٣٢هـــ، ص ١٠٠.

(٢) المـــنذري، المصـــدر الســـابق، ج٣، ص ٣٩١؛ الذهبـــي، المصدر السابق، وفيات سنة ٦٢٤هـــ، ص ١٨٩.

(٣) المنذري، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٠٠-٢٠١؛ الذهبي، المصدر السابق، وفيات سنة ٦٢٤هـــ، ص ١٨٩. إبن الديثي، المختصر المحتاج اليه، ج١٥، ص ٣٩٥؛ انظر: كحالة، اعلام النساء، ج٢، ص ٣٤٠.

(٤) إبن الديثي، المختصر المحتاج اليه، ج١٥، ص ٣٩٥؛ الذهبي، تأريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٢٤هـــ، ص ٨٩.

المقــرّب الكرخي، وغيرهم، وقد أجازت لزكي الدين المنذري، وتوفيت سنة (٦٣٧هـ/١٢٣٩م) ببغداد[١]، وسمع المنذري من بعض النساء وكتب عنهن[٢].

وقد أجاز الوزير أبو القاسم علي بن طراد بن محمد الزينبي، وأبو منصور محمد بــن عبد الملك بن خيرون، للشيخة الصالحة أم محمد صفية بنت الشيخ أبي منصور عبد الكريم إبن شيخ الشيوخ إسماعيل إبن شيخ الشيوخ أبي سعد أحمد البغدادية.وحدثت وهي من بيت الحديث والتصوف حدث أبوها وجدها، وجد أبيها، وعمها شيخ الشيوخ أبو القاسم عــبد الرحمن بن إسماعيل ،توفيت سنة (٣٠٦هـ/٩١٩م)، ببغداد ودفنت عند جدها بباب ربــاط الزوزني[٣]. أما الشيخة الصالحة أم عبد الله عائشة بنت الشيخ صالح بن كامل بن أبي غالب البغدادي الخفاف، فقد أجاز لها أبو الحسن أحمد بن عبد الله إبن الأبنوسي، وأبو الفضــل محمد بن عمر بن يوسف الأرموي، وأبو بكر محمد بن عبيد الله إبن الراغوني وأبو عبد الله محمد بن أحمد ابن الطرائقي، وأبو غالب محمد بن علي إبن الداية وغيرهم. وتوفيت هذه الشيخة سنة (٦١٥هـ/١٢١٨م)[٤] وهي أخت درّة المتقدم ذكرها.

---

(١) المــنذري، الــتكملة لوفيات النقلة، ج٣، ص ٤٥٠؛ الذهبي، تأريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٢٤هـ، ص ٣٢٩.

(٢) النعالــي، صــائب الدين، محمد بن الأنجب، مشيخة النعالي البغدادي، تحقيق: ناجي معروف، بشار عواد معروف، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٥، ص ٤٥.

(٣) المــنذري، الــتكملة لوفيات النقلة، ج٣، ص ١١٢؛ الذهبي، تأريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٠٣هـ، ص ١٢٩

(٤) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، ج٣، ص ٤٤٦؛ الذهبي، تأريخ الإسلام، وفيات سنة ٦١٥هـ، ص ٢٤٠. ابن الدبيثي، المختصر المحتاج اليه، ج١٥، ص ٣٩٦.

ومــن اللواتي أجزن لبعض العلماء فهذه ست الكتبة بنت أبي البقاء يحيى بن أبي الحســن علــي بــن الحسن البغدادي، أم عبد الرحمن، حدثت وروي عنها إبن الدبيثي، وشــيرين بنت عبد الله الهندية، الشيخة الصالحة، سمع منها الأبرقوهي[1] ووالده في سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م. وقد أجازت للأبرقوهي جميع الروايات[2].

وكانت الاجازة التي تجيزها بعض النساء في العراق على نوعين: إجازة عامة[3]، واجــازة اســتدعاء[4]. أمــا عن مظاهر اهتمام الخلفاء والسلاطين بأهل العلم فقد حرص الــبعض مــنهم على دعوة الأئمة في العلوم للأخذ منهم، والاستزادة من علمهم، أو حتى للتقرب اليهم أو التبرك بهم. حتى ان بعضهم حرص على دعوة العالمات ايضاً للإستزادة من علمهن[5].

ومن النساء من كان لها مشيخة، نذكر منهن: عاتكة بنت الحافظ أبي العلاء الحسن بــن أحمــد بن الحسن بن أحمد بن سهل العطار، الشيخة الصالحة أم العلاء، تنقلت بين البلدان، وحدثت الكثير بهمذان وبغداد، وروي عنها إبن الدبيثي.

---

(١) أبرقوهي: نسبة إلى ابرقوه: وهي بليدة اصبهان على بعد عشرين فرسخاً. وينتسب اليها هبة الله بن الحسن بن محمد الأبرقوهي صاحب معجم الشيوخ، السمعاني، الأنساب، ج١، ص ١١٥.

(٢) المــنذري، التكملة لوفيات النقلة، ج٣، ص ٦١٣-٦١٤؛ الذهبي، تأريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٤٠ هــ، ص ٣٦، ٢٢٤. كحالة، أعلام النساء، ح٢، ص ٣١٦.

(٣) الإجازة العامة: هي الإجازة لغير معين مثل ان يقول: أجزت للمسلمين أو "للموجودين" أو لمن قال لا اله إلاّ الله؛ إبن كثير، الباعث الحثيث، ص ٣٤٩.

(٤) اجازة الاستدعاء: هي الاستدعاء لجماعة مسلمين لا يعرفهم المميز ولا يتصفح انسابهم ولا عدتهم، إبن كثير، المصدر السابق، ص ٣٥٠.

(٥) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص ٢٠٣.

واجـــازت للشيخ شمس الدين عبد الرحمن المقدسي وللكمال عبد الرحيم المقدسي وأحمـــد بـــن شـــيبان ولفرخ الدين علي إبن البخاري وغيرهم[١]. قال المنذري "ولنا منها اجـــازة كتـــب بها الينا من بغداد سنة ٦٠٨هـــ/١٢١١م. وهي والدة الشيخ علي بن عبد الرشيد قاضي الجانب الغربي ببغداد[٢]. وعجيبة بنت الحافظ أبي بكر محمد بن أبي غالب بن أحمد بن مرزوق، -الباقداري- البغدادية، التي تدعى ضوء الصباح، وكان لها مشيخة فـــي عشـــرة أجزاء[٣]. وتوفيت ضوء الصباح سنة ٦٤٧هـــ/١٢٤٩م[٤]. ومن العالمات اللواتي ذكرن في مشيخة إبن الجوزي، شهدة الأبري، وخديجة الشاهجمانية، وفاطمة بنت أبي حكيم عبد الله الخيري[٥]. وهكذا فان بعضاً من عالمات العراق كتبن الإجازة إلى عدد مـــن العلمـــاء اتصـــفوا بالعلم والأمانة والحفظ والمنزلة الرفيعة، وهذا دليل على المكانة العلمية التي وصلت اليها المرأة العراقية وما كانت تتمتع به من سمعة طيبة.

---

(١) الذهبي، سير أعلام، ج٢٣، ص ٢٣٢، ٢٣٣؛ تأريخ الإسلام وفيات سنة ٦٤٣هـــ، ص ٣٦٤، ٣٦٥ ، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٩، ص ٥٢٤؛ إبن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص ٢٣٨.

(٢) المـــنذري، التكملة لوفيات النقلة، ج٣، ص٢٥٤؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٥، ص ١٩٤؛ إبن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص ٢٣٨.

(٣) الذهبي، سير أعلام، ج٢٣، ص ٢٣٢-٢٣٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٩، ص ٥٢٤؛ انظر كحالة، اعلام النساء، ج٤، ٢١٧.

(٤) الذهبـــي، تأريخ الإسلام وفيات سنة ٦٤٧هـــ، ص ٣٨٤، ٣٨٥؛ إبن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص ٢٣٨.

(٥) إبن الجوزي، مشيخة إبن الجوزي، تحقيق محمد محفوظ، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٧، ص ٢٠٥-٢٠٩.

ج. الفقه:

تعـــريف الفقـــه لغةً: العلم بالشيء والفهم له، كما يعني إدراك غرض المتكلم من كلامه[١]. ومنه قوله تعالى: {فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً}[٢].

امـــا الفقـــه في الإصطلاح الشرعي: هو معرفة الأحكام الشرعية المتعلقة بأعمال المكلفين وأقوالهم، والمكتسبة من أدلتها التفصيلية، وهي نصوص من القرآن والسنة، وما يتفرع عنهما من اجماع واجتهاد[٣].

الفقه من العلوم الدينية التي اعتنت بها بعض نساء هذا العصر، إلاّ ان عدد النساء الفقهـــيات، قلـــيل إذاً ما قورنّ بالنساء الواعظات والمحدّثات، وذلك لإن الفقه فيه مسائل الخلاف بكثرة فهو راجع إلى استنباط الفقهاء وفيه يبحثون ويجتهدون في الأمور الخلافية. ولـــيس معـــنى ذلك ان المرأة لا تُعنى بالفقه، فهي تأخذ منه ما تحتاج اليه، وقلّ ان تعنى المـــرأة في أمور المعاملات والبيع والشراء، وهو ما يُعنى به الفقه جيداً، وغالباً ما يهتم بهذه المسائل الرجل. وبالرغم من ذلك فقد وجدت بعض النساء الفقيهات، قد ترجع إليهن النســـوة فـــي معـــرفة الأحكـــام الشرعية، وخير مثال على ذلك نذكر: خديجة بنت القيم الـــبغدادية[٤]. كانـــت فقـــيهة وتعرف في الأحكام الشرعية، وفي بعض المسائل التي تهم

---

(١) زيـــدان، عـــبد الكـــريم، مدخل إلى لدراسة الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٩، ص ٥٤.

(٢) القرآن الكريم، سورة النساء، آية ٧٨.

(٣) الخن، مصطفى، الفقه المنهجي، دار القلم، دمشق، (د.ت)، مج١، ص ٧.

(٤) انظر: كحالة، أعلام النساء، ج١، ص ٣٣٩.

المرأة. وهناك بعض النساء من كانت لها القدرة على إستنباط الأحكام الشرعية والافتاء في بعض الأمور، بالإضافة إلى قراءة كتب الفقه.

واشـــتهرت مـــن النساء الفقيهات والمحدثات خديجة بنت العبيري، وهي ذات دين وصـــلاح، وقـــد ســـمعت العلم، وعمّرت حتى جاوزت التسعين، توفيت سنة (٥٧٠هـــ/ ١١٧٤م)[١]. وزينب بنت أبي البركات البغدادية، وهي عالمة درست الفقه والأدب والأدب إلـــى إنها واعظة من واعظات القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، كانت تعظ النســـاء فـــي ربـــاط البغدادية[٢]. ولم يقتصر نشاط هؤلاء العالمات على الفقه والحديث والتفسير وإنما شاركن في بعض العلوم الأدبية التي تشمل الشعر والخط والنثر وغيره.

العلوم الأدبية:

اما عن مشاركة المرأة في العلوم الأدبية، فقد ظهرت من النساء العراقيات، أديبات وشاعرات، وكاتبات، فقد ذكر عدد من المؤرخين أمثال الخطيب البغدادي، ترجمة لبعض النســـاء فهن محدثات وواعظات وراويات حديث وغيرها. ولم يقتصر ترجمة الشهيرات العالمـــات علـــى الخطيب البغدادي، فقد ترجم إبن الجوزي، للعابدات والزاهدات في هذه الفـــترة والفـــترات السابقة. واشتهرت ست الرضا[٣] الكاتبة المعروفة التي أجازت الخط

---

(١) الصـــفدي، الوافي بالوفيات، ج١٣، ص ٢٩٧؛ كحالة، أعلام النساء، ج١، (نقلاً عن مشاهير النساء لمحمد ابن الذهني)، ج١، ص ٣٣٦.

(٢) كحالة، المرجع السابق، ج٢، ص ٥٧.

(٣) إبن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج٢١، ص ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٥، ص ١١٨.

وكانت تكتب على طريقة إبن البّواب[1]، وقد ذكرت في بعض المصادر التاريخية، ذكرها إبن النجار: حيث قال: "رأيت بخطها إجازة كتبها لجماعة بجميع مروياتها سنة (٥٦٧هـ/ ١١٧٢م)[2]. وقــال ايضــاً: كانت تعرف ببنت يقطين، وكانت من الكاتبات المشهورات بــبغداد، وكتبت الكثير، ووجد بخطها نسخة بديوان إبن حجّاج، حيث تميز خطها بالجودة والحُسْن[3].

ومــن أشهر الخطاطات والكاتبات تذكر، الكاتبة البغدادية صفية بنت عبد الرحمن ابــن محمد بن علي بن يعيش التي تعتبر من الأديبات الفاضلات، توفيت سنة (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)[4]. أمــا ســت نسيم البغدادية فقد استحضرها الخليفة الناصر لدين الله في آخر ايامــه بعدمــا ضَــعُفَ بصــره، وقد أدركه سهوٌ في أكثر أوقاته وعجز عن النظر في القصص، وكانت تكتب خطاً قريباً من خط الخليفة، وكانت تكتب الأجوبة والرقاع[5]، وقد شاركها ذلك الخادم تاج الدين رشيق، امتازت بُحسن خطها[6]. والكاتبة عائشة بنت الشيخ أبــي المظفــر محمد بن علي بن نصر البغدادي الدوري[7]. ولم يقتصر دور النساء في

---

(١) إبن البوّاب: أحد علماء الخط الذي تعلمت على يديه فاطمة بنت الأقرع، توفي سنة ٤٢٣هـ/١٠٣١م، وعاصــرته فاطمــة اثناء طفولتها، انظر، التونجي، معجم أعلام النساء، دار الملايين، ١٩٧٢، ص ١٣٤.

(٢) ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج٢١، ص ٣٢٠؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٥، ص ١٢٠.

(٣) ابن النجار، المصدر السابق، ج٢١، ص ٣٢٠؛ كحالة، أعلام النساء، ج١، ص ٢٣٢.

(٤) السيوطي، نزهة الجلساء في اشعار النساء، ص ٥٠؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص ٣٢٨.

(٥) الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ٦٧؛ كحالة، أعلام النساء، ج٢، ص ١٧١-١٧٢.

(٦) الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ٦٧؛ كحالة، أعلام النساء، ج٢، ص ١٧١-١٧٢.

(٧) الذهبي، تأريخ الإسلام، وفيات ٦٤١هـ، العبر في خبر من غبر، ج٥/١٦٨؛ اليافعي، مرأة الجنان، ج٤، ص ١٠٤؛ بن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص ٢١١.

العـــراق علـــى الخط والكتابة فقط، بل هناك نساء شاعرات نذكر: سلمى بنت القراطيس، شاعرة من شاعرات العصر العباسي في بغداد، حيث عاشت في عصر المقتفي بأمر الله، وقد إمتاز شعرها بالحُسن، وكانت مشهورة بجمالها وعفتها[١]، ذكرها النيسابوري[٢]، في كتابه "سر السرور" وقد نظمت ابياتاً من الشعر تصف فيها شيئاً من جمالها تقول:

(البحر الوافر)

عـــيونُ مهـــا الصَـــريمِ نـــداءُ عينـــي   وأجـــيادُ الظِّـــباءِ فـــداءُ جـــيدي

أزيِّـــــن بـــــالعقودِ وإن نحـــــري   لأزمَـــنُ للقـــيودِ مـــنَ العقـــودِ[٣]

وبـــدر التمام بنت البارع الحسين بن محمد بن عبد الوهاب الدباس[٤]، وقد كانت شاعرة ذات غزل رقيق وعاطفة اصطبغت بآثار الحرمان واللوعة، ومعانٍ طريفة بعيدة عن التصنّع والغلّو، ومن شعرها: (بحر المتقارب)

جمـــالك بيـــن الـــورى عـــاذري   وذكـــرُك فـــي ليلتـــي ســـامري

فـــلا صـــحّ ودك لـــي إن ســـلوت   ولا جـــال حـــبك فـــي خاطـــري[٥]

---

(١) الصـــفدي، الوافي بالوفيات، ج١٥، ص ٣٠٧؛ كحالة، أعلام النساء، ج٢، ص ٢٥١؛ خازن عبود، نســاء شــاعرات فـــي الجاهلية حتى نهاية القرن العشرين، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ٢٠٠٠، ص١٣٤-١٣٥

(٢) محمـــد النيســـابوري: أبـــو العلاء محمد بن محمود النيسابوري، قاضي غزنة، صاحب كتاب "سر السرور" الذي جمعه في اخبار شعراء عصره، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص ٣٠٨.

(٣) إبـــن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ص ٢٠١؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٥، ص ٣٠٧؛ السيوطي، نزهة الجلساء، ص ٤٤، انظر، كحالة، أعلام النساء، ج٢، ص ٢٥١؛.

(٤) السيوطي، المصدر السابق، ص ٢٤؛ كحالة، أعلام النساء، ج١، ص ٤٢٤.

(٥) السيوطي، المصدر السابق، ص ٢٤؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٥، ص٣٠٧.

وأشـــتهرت صـــعبة البغدادية الشاعرة التي كانت تتغزل بجمالها[1]. حيث نظمت الشعر، ولها قصيدة تقول فيها:

(بحر الكامل)

أنـــا فتـــنةُ الدنـــيا فتنـــتُ بحجتـــي كـــلّ القلـــوب فكلُّهـــا بـــي مُغْـــرَمٌ
أتـــرى مُحَـــيَّايَ الـــبديع جمالـــهُ وتظَـــنُ يـــا هـــذا بـــأنَّكَ تَسْـــلَمْ[2]

واشتهرت الشاعرة طيف وهي بغدادية الأصل، وقد نظمت الشعر ومنه:

(بحر الكامل)

وظبـــيةٌ مـــن بـــناتِ الـــروم قلـــتُ لهـــا لمـــا التقيـــنا وقلبـــي عـــندها عَلِـــق
هـــل فـــي زيـــارة صـــبٌ عاشـــق دنـــفِ أجـــرٌ فقالـــت ودمـــعٌ العيـــن يســـتبق[3]

---

(١) السيوطي، نزهة الجلساء، ص ٤٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص ٣٠٨.

(٢) السيوطي، المصدر السابق، ص ٥١؛ انظر، التنير، شاعرات من النساء، ص ٢٨٨.

(٣) إبن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج٢١، ص ٢٠٢. السيوطي، نزهة الجلساء، ص ٥٢؛ انظر، كحالة، اعلام النساء، ج٢، ص ٣٧٢؛ عبود، نساء شاعرات، ص٣ ١٤٧.

المارسات الدينية:

أ. الوعظ والإرشاد:

امـــا عـــن دور المـــرأة فـــي الوعظ والإرشاد، فكانت المرأة تدخل إلى المساجد، والزوايا لوعظ النساء، حيث كانت لديها القدرة العالية في الاقناع والإرشاد، فيهتدي بسببها النســـاء. وقد ذكرت بعض المصادر التاريخية كثيراً من النساء الواعظات وأخصّ بالذكر نساء الفترة التي نحن بصدد دراستها.

نذكـــر مـــن هؤلاء النسوة: خديجة الشاهجانية الواعظة المعروفة[1]، وزينب بنت الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد المجيد المصري البغدادي، وكنيتها أم الـــبهاء، وعظت ببغداد سنين، ووالدها شيخ الصوفية برباط الزوزني، توفيت سنة (٦١٠ هـــ/١٢١٣م) ببغداد، ودفنت بالمقبرة المقابلة بجامع المنصور[2]. وصفية بنت أبي القاسم عـــبد العزيـــز بن هبة الله، البغدادية، الواعظة أم عثمان توفيت سنة (٦٣٧هـــ/١٢٣٩م) ببغداد، ودفنت بالعطافية[3].

وصـــلف بنت أبي البركات بن أبي حرب الواسطي، الشيخة الصالحة الواعظة، أم الخـــير، وقد صحبت الشيخ الزاهد أبا النجيب عبد القاهر بن عبد الله السهروردي وحدثت

(١) إبـــن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ١٠٧؛ الذهبي، تأريخ الإسلام، وفيات ٤٥١هـــ-٤٦٠هـــ، ص ٤٨٣-٤٨٤، كحالة، أعلام النساء، ج١، ص ٣٤٣.

(٢) المـــنذري، التكملة لوفيات النقلة، ج٢، ص ٢٨١؛ إبن الدبيثي، المختصر المحتاج اليه، ج١٥، ص ٣٩٣-٣٩٤.

(٣) المـــنذري، المصـــدر الســـابق، ج٣، ص ٤٥٠؛ الذهبـــي، تـــأريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٣٧هـــ، ص ٣٢٩.

الواعظة تقوم بتفسير آيات القرآن الكريم، وتحكي قصص الأنبياء، فتفسّر، وتزيد وتنقص، وربمـــا تقـــع في الخطأ احياناً، في حكم من الأحكام أو في تفسير موضوع[1] من حيث لا تشعر وما من أحد يرشدها. وكانت المرأة تحضر كذلك مجالس الوعظ في المساجد، وقد حـــذر إبن الأخوة من المفاسد التي تحدث في مجالس الوعظ، حيث يختلط الرجال بالنساء خاصة إذا كان الواعظ شاباً متزيناً للنساء في هيئته وثيابه، كثير الاشارات والحركات فهذا منكر يجب منعه، ويجب وضع حاجز بين النساء والرجال في مجالس الوعظ[2].

وأنتشـــرت مجالس الوعظ، حيث عقدت في المسجد الجامع، أو في الربط وكانت المجـــالس الخاصة بوعظ النساء، عبارة عن وسيلة من وسائل التثقيف والتوعية في هذه الفترة، وكانت بعض الواعظات بمقام المجتهدات والمثقفات ثقافة عالية، بحيث إذاً وجهت إلـــى إحداهن أسئلة تستطيع ان تجيب. وفي المقابل فهناك من يدعين العلم بالأمور الدينية والوعـــظ بهـــا على الرغم من جهلهن. وقد كان للواعظات دور تربوي أخلاقي اجتماعي وكان البعض منهن يعقدن المجالس للوعظ في المساجد والربط واحياناً في الأماكن العامة.

ب. التصوف:

التصـــوف والصـــوفية، مذهـــب روحـــي كان معروفاً كنزعة إنسانية عند بعض الشـــعوب ذات الحضارات القديمة، يهدف إلى تطهير النفس من المآثم والذنوب، ولم يكن معروفاً عند العرب قبل القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، ولفظ الصوفية والتصوف،

---

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٢، ص ٣٣١.

(٢) ابن الأخوة، معالم القربة، ص ١٧٩-١٨٠؛ الغزالي، احياء علوم الدين، ج٢، ص ٣٣١.

انبــثق من حيث معناه الذي يرمز إلى الزهد والنسك، اللذين يأتيان بمعنى العبادة، خاصة إذاً كــان تطوعــاً بعــد ما رأى البعض إنصراف الناس إلى الترف[1]، وفي اشتقاق لفظ التصوف آراء مختلفة[2].

وفي فترة الدراسة تصوفت الكثير من النساء، كما فعل الرجال، وأقمن في الزوايا، وزهــدن فــي الدنــيا، وأبــتعدن عن ملذاتها، وكان لكل زاوية شيخة تقوم بوعظ النساء وتذكيرهن، فمن تهتدي وتتوب على يد أحدى الشيخات تتبع طريقها وتلبس الصوف. ومن الناس من إتخذن التصوف بمعنى عبادة الله وطاعته، والزهد في الدنيا وعدم التعلق بها[3].

فقــد ذكــرت بعض المصادر التاريخية كثيراً من المتصوفات العابدات في بغداد مــثل: زهــرة بنت محمد الأنباري، شيخة متصوفة، ذات دين وصلاح، وهي من النساء اللواتــي تفرغــن للعــبادة والزهد في الدنيا من أجل العمل للآخرة[4]. وكانت تكنى (بأم الحــياء)، الــبغدادية، الشيخة الصالحة[5]. وزينب بنت نصر، إبن الشيخ عبد الرزاق إبن

---

(١) الخطيــب، مصــطفى عبدالكريم، معجم المصطلحات والالقاب التاريخية، مؤسسة الرسلة، بيروت، ١٩٩٦، ص ١٧.

(٢) منيم من قال: أنه منحوت من الصفاء -صفاء النفس- أو الصف: باعتبارهم من الصف الأول، الذي يتصــل أهلــه بــالله، أو اهل الصفة "مكان بمسجد المدينة على عهد النبي عليه السلام كان يسكنه أســلافهم مــن فقــراء الصحابة، أو الصوف الذي هو رمز للخشونة في الحياة، ومنهم من قال انه تحويــر كلمــة ســونيا اليونانية التي تأتي بمعنى الحكمة، انظر، دائرة المعارف الإسلامية، مج٥، ص ٢٦٥-٢٩٧.

(٣) إبن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ٧٤.

(٤) المندري، التكملة لوفيات النقلة، ج٣، ص ٤١٤؛ الذهبي، تأريخ الإسلام، وفيات ٦٣٣هــ، ص ١٤٦ -١٤٧؛ العــبر في خبر من غبر، ج٥، ص ١٣٣-١٣٤. اليافعي، مرآ الجنان، ج٤، ص ٦٧، إبن العماد شذرات الذهب، ج٥، ص ١٩٥؛ انظر: أعلام النساء، ج٢، ص ٤٢.

(٥) تذكرة الحفاظ، ج٤، ص ٤٢٢.

الفقيه الحنبلي، وهي شيخة صالحة زاهدة من بيت تصوّف ومشيخة، توفيت سنة (٦٧٣ هـ/١٢٧٣م). ودفنت بمقبرة الإمام أحمد بن حنبل[١]. وسيدة بنت الشيخ عبدالرحيم إبن الإمام أبي النجيب عبد القاهر بن عبدالله السهروردي الصوفي، توفيت هذه الشيخة المتصوفة سنة (٦٤٠هـ/١٢٤٢م)[٢]. والمتصوفة الصالحة شمائل بنت كثير بن أبي نصر البغدادي البقّال، وقد سمعت من شيختها خاصة بنت المبارك الأنصاري، توفيت سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ودفنت بالشونيزية[٣]، وهو رباط كان بالجانب الغربي من بغداد وذكره ياقوت انه للصوفية[٤]. وصفية بنت الشيخ أبي منصور البغدادية، وهي من بيت تصوف وزهد وعبادة توفيت سنة (٦٠٣هـ/١٢٠٦م)[٥].

ومن أشهر العابدات الزاهدات، علم بنت عبدالله بن المبارك، كانت تضاهي رابعة العدوية في زمانها، توفيت ببغداد سنة (٥٧٥هـ/١١٢٩م)، وعمرها مائة سنة وست سنين، ولم تتغير لها شيء من حواسها[٦]. ولم يقتصر دور النساء العابدات في مدينة بغداد، بل ظهرت نساء عابدات في البصرة والموصل وغيرها من المدن العراقية، منهن رابعة البغدادية التي توفيت سنة (٥١٨هـ/١١٢٤م)[٧]. وراهبة العابدة الموصلية وهي من

---

(١) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، ج٣، ص ٤١٧؛ إبن الدبيثي، المختصر المحتاج اليه، ج١٥، ص٢٩٣.

(٢) المنذري، المصدر السابق، ج٣، ص ٤١٧؛ الذهبي، تأريخ الإسلام، وفيات ٦٤٠هـ، ص ٤٣٦.

(٣) المنذري، المصدر السابق، ج٣، ص٣٩٣-٣٩٤.

(٤) الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٣٨.

(٥) المنذري، المصدر السابق، ج٣، ص١١٢؛ الذهبي، تأريخ الإسلام، وفيات ٦٤٠هـ، ص١١٦.

(٦) إبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص ٧٨.

(٧) إبن الجوزي، صفة الصفوة، ج٤، ص ٢٧؛ سبط إبن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ٤٣٨، انظر، كحالة، أعلام النساء، ج١، ص ٤٣٨.

أشـــهر العابدات في الموصل، وقد سئلت يوماً عن القلب السليم؛ فقالت: القلب السليم الذي يلقى الله وليس في قلبه شيء غير الله(١).

ومـــن العـــابدات في البصرة اللواتي هجرن نعيم الدنيا وأقبلنّ على العبادة حسنة العـــابدة التي كانت تصوم النهار وتُحيي الليل وليس في بيتها شيء تقتات منه(٢). وشمس الضحى بنت محمد بن عبد الجليل بن محمد الساوي، زاهدة متعبدة، فضلا عن انها كانت واعظة بغدادية، وقد صحبت الشيخ أبا النجيب السهروردي، توفيت سنة (٥٨٨هـ/١١٩٢م)(٣). ومـــن أشـــهر نســـاء البصرة المتعبدات الزاهدات الماوردية البصرية(٤). ومطيعة العابدة، التي بكت أربعين عاماً، وعوتبت على كثرة البكاء فقالت: لا أزال أبكي حتى أعلم أي الحالتين أنا عند الله(٥)، وهذا يدللّ على ان هذه العابدة بلغت درجة عالية في زمانها.

وذكر إبن الجوزي كثيراً من العابدات الكوفيات، وقد كان البعض منهن مجهولات الإســـم. فذكر يوماً ان امرأة من أهل الكوفة كانت تتعبد وتقول: "لو نادى منادٍ من السماء ليميت أعظم الناس جُرماً لرأيت أن نفسي أول ذائقة للموت"(٦). وذكر إبن الجوزي الكثير مـــن العابدات من بغداد والكوفة والبصرة وباقي مدن العراق(٧). وقد اشتهرت عدد كبير

---

(١) إبن الجوزي، صفة الصفوة، ج٤، ص ١٩٢، انظر، كحالة، المصدر السابق، ج١، ص ٤٣٨.

(٢) إبـــن الجـــوزي، المصـــدر الســـابق، ج٤، ص ٣٩، ٤٠، ٤٢، كحالـــة، المصـــدر السابق، ج١، ص ٢٦٣، ٤٣٨.

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص ١٨٤.

(٤) إبـــن الجـــوزي، المصـــدر الســـابق، ج٤، ص٢٤٧؛ المنتظم، ج١٦، ص ١٥٩، إبن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٠٩، ١١٨؛ انظر: كحالة، أعلام النساء، ج٥، ص ١٣.

(٥) إبن الجوزي، صفة الصفوة، ج٤، ص ٤١، ٢٧٤، أنظر: كحالة، أعلام النساء، ج٥، ص ٥٩.

(٦) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج٣، ص ١٩٣-١٩٤.

(٧) ابن الجوزي، المصدر السابق، ج٤، ص ٤٧ وما بعدها.

مـــن المتصوفات والزاهدات، مثل فاطمة بنت الشيخ أبي القاسم عبدالرحمن بن الحسن بن عـــبدالله وهـــي مـــن بيت الرواية والصلاح والتصوف، توفيت سنة (٦٠١هـ/١٢٠٤م) ببغداد(١).

ج. أعمال البر والإحسان والوقف

ساهمت بعض النساء القديرات والميسورات، وبالتحديد نساء علية القوم في أعمال الـــبرّ والإحســـان، وهـــذه الأعمال الخيرية تمثلت ببناء المدارس والمساجد أماكن تعليم الصبيان، فقد ذكرت بعض المصادر التاريخية إهتمام زوجات الخلفاء العباسيين وزوجات ســـلاطين الســـلاجقة، في تشييد المدارس ومن اهم هذه المدارس، المدرسة الحنفية، التي أنشـــأتها السيدة تركان خاتون الجلالية زوجة ملكشاه توفيت سنة (٤٨٧هـ-١٠٩٤م)(٢)، فـــي الجانـــب الشـــرقي مـــن العاصمة بغداد، عند باب الأزج (الرصافة) (٣). وأشار إبن الجـــوزي في سنة (٤٦٩هـ/١٠٧٦م)، إلى انها ما زالت قائمة في هذه السنة فهو يقول: "وتقدم بنقض السوق التي إستجدها جلال الدين ملكشاه بالمدينة المعروفة بطغرلبك، وكانت مرســـومة بالصـــباغين، بعـــد خـــروجه من السوق والتي كان بها البزازون أيام دخوله، والمدرسة التي بنتها تركان خاتون"(٤).

---

(١) ســـبط إبـــن الجـــوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص ٥٤٠؛ المنذري، التكملة لوفيات النقلة، ج٢، ص ١٥٠، إبن الدبيثي، المختصر المحتاج اليه، ج١٥، ص ٣٩٨.

(٢) إبـــن الجـــوزي، المنـــتظم، ج١٧، ص ١٤؛؛ إبن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ١٨٩؛ إبن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٨٤؛ انظر مقدسي، جورج، خطط بغداد، ص ٥٩.

(٣) الرصافة: بالجانب الشرقي من بغداد، انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٤٦.

(٤) إبـــن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص ٨٠، ص ٨١؛ انظر: المقدسي، خطط بغداد، ص ٥٩، شندب، الحضارة في بغداد، ص ٥٨.

وبقيــت هــذه المدرســة عامرة آهلة بالطلبة ذكور وإناث، وفي سنة (٤٩٤هـ/ ١١٠٠م) أمــر بنقضــها الخليفة المستظهر بالله العباسي فنقضت[١]. ومن المدارس التي أشــتهرت مدرســة بناها خادم السيدة خاتون زوجة الخليفة المستظهر بالله واوقفت عليها جمــيع أموالها[٢]، وفي رواية أخرى أن السيدة الخاتون المستظهرية بنت مدرسة ببغداد، واوقفــت علــيها أوقافــا[٣]. وأنشــأت السيدة بنفشا بنت عبد الله الرومية زوجة الخليفة المستضــيء بأمــر الله، وذلك في النصف الثاني من القرن السادس للهجرة/الثاني عشر المــيلادي، إحدى أكبر مدارس بغداد وأشهرها المدرسة الشاطئية، على شاطئ نهر دجلة في محلة من محال بغداد الشرقية يقال لها باب المراتب[٤]، وهي التي اشترت دار الوزير إبــن جهــير بــباب الأزج ووقفتها على الحنابلة وتم افتتاح هذه المدرسة سنة (٥٧٠هـ/ ١١٧٤م)[٥]، وفوضّ إلى العلامة إبن الجوزي لإلقاء الدروس والوعظ فيها[٦]، وقد صف الرّحالة إبن جبير هذه المدرسة بقوله: "على الشط بالجانب الشرقي وفي أخره على اتصال

---

(١) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص ٨٠-٨١.

(٢) إبــن الساعي، الجامع المختصر، ج ٩ ص ١٧٨؛ الدروبي، ابراهيم عبد الغني، البغداديون اخبارهم ومجالسهم، (دت)، بغداد، ٢٠٠١، ط٢، ص ٢٥٩.

(٣) الدروبي، المرجع السابق، ص ٢٦٣.

(٤) باب المراتب: هو أحد ابواب دار الخلافة، الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٣١٢، انظر الدروبي، المرجع السابق، ص ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٤.

(٥) إبــن الســاعي، الجامع المختصر، ج٩، ص ٨٩؛ سبط إبن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ٥١٠، انظر: إبن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص ٢١٤؛ كحالة، أعلام النساء، ج١، ص١٤٩-١٥٠.

(٦) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص ٢٧٥؛ الدروبي، البغداديون، ص ٢٥٦.

مــن قصـــور الخلــيفة وبمقــربة مـــن باب البصلية (الباب الشرقي) اخر ابواب الجانب الشرقي"[1].

وحضر إفتتاح هذه المدرسة قاضي القضاءة وفقهاء بغداد وعدد كبير من الناس[2].

وأشـــار سبط إبن الجوزي بقوله: "كانت كريمة كثيرة الصدقات، عمرت المساجد والربط والجسر ببغداد، وتصدقت بأموال كثيرة على العلماء والفقراء والمساكين[3]".

وأوقفت على هذه المدرسة وقوفاً كثيرة[4]، واستمرت هذه المدرسة في أداء مهمتها حـــتى آخر العصر العباسي، ولم تقتصر فقط على بناء المدارس فقد أمرت بإنشاء مسجد كبير بسوق الخبازين من سوق الثلاثاء عند عقد الحديد ببغداد، وعُمرّ وتم إفتتاحه في سنة (٥٧٣هـــــ/١١٧٧م). وأول من أم فيه الشيخ عبدالوهاب بن العيبي (زوج ابنة العلامة أبي الفرج إبن الجوزي) وكان يُقرِئ فيه القرآن الكريم[5].

وانشـــأت الســـيدة بنفشا رباطاً للنساء في سوق المدرسة، وهو قريباً من المدرسة النظامية شرقي بغداد، وقد جعلته للنساء الصوفيات، وتم إفتتاحه سنة (٥٧٣هـــ/١١٧٧م)،

---

(١) إبن جبير، الرحلة، ص ١٩٦، ويرى الدكتور غوانمة ان إبن جبير خلال زيارته للعراق والشام سنة ٥٨٠هـــ/١١٨٤م احصى عدد المدارس وعددها ثلاثون مدرسة أشهرها المدرسة النظامية التي بناها الوزير نظام الملك، انظر، غوانمة، القدس الشريف، ص ٢٢١.

(٢) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص ٢١٥.

(٣) مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ٥١٠؛ الدروبي، البغداديون، ص ٢٥٦.

(٤) إبن الساعي، نساء الخلفاء، ص ١٣١؛ الدروبي، المرجع السابق، ص ٢٥٦.

(٥) إبن الساعي، نساء الخلفاء، ص١١٣، ١١٤؛ إبن الدبيثي، المختصر المحتاج اليه، ج١٥، ص ٢٩٣.

وأوكلت إدارته إلى أخت أبي بكر الصوفي شيخ رباط الزوزني أحد مشاهير الصوفية(1) في فترة الدراسة.

وأنشأت زوجة الخليفة المستضئ بأمر الله وأم الخليفة الناصر لدين الله السيدة زمرد خاتون توفيت سنة (٥٩٩هـ/١٢٠٢م)(2) مدرسة زمرد، وأشارت بعض المصادر التاريخية ان هذه السيدة قد عمّرت المدارس والمساجد والربط وأوقفت وقوفاً كثيرة عليها، وتم افتتاح هذه المدرسة سنة (٥٨٩هـ/١١٩٣م) وتقع إلى جانب تربة زمرد خاتون(3)، وهي التربة المنسوبة اليوم للست زبيدة، قرب قبر معروف الكرخي بغربي بغداد، وألحقت بها دوراً للمدرسين والفقهاء، ورتبت فيها أفاضل العلماء وأجرت الرواتب الحسنة، فصارت المدرسة من أشهر المعاهد العلمية ببغداد، يؤمها الطلاب من كل حدبٍ وصوب، وأصبحت تعد في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي بعد النظامية والمستنصرية منزلة وقيمة(4)، وقد توالى التدريس فيها جملة من المدرسين المشهود لهم بالعلم والفضل نذكر منهم: فخر الدين النوقاني(5) (ت٥٩٢هـ/١١٩٥م)، وهو من كبار

---

(١) إبن الساعي، الجامع المختصر، ج٩، ص ٦٥؛ إبن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، ج٤، ص ٨١٧.

(٢) المندري، التكملة لوفيات النقلة، ج١، ص ٤٥١، انظر: الدروبي، البغداديون، ص ٢٥٩.

(٣) سبط إبن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق٨، ص ٤٢٢؛ إبن الدبيثي، المختصر المحتاج اليه، ج٥ان ص ٣٩٤؛ الدروبي، المرجع السابق، ص ٢٥٨-٢٥٩.

(٤) رؤوف، إسهامات نسائية في حركة انشاء المدارس في العراق، جامعة بغداد، ١٩٨٨، ص ١٥١.

(٥) محمد بن أبي نصر أبي سعيد، الشيخ فخر الدين النوقاني، من اهل نوقان قوس، ودرس الفقه، نيسابور علي محمد بن يحيى ثم قدم بغداد واستوطنها درس بالمدرسة القيمرية مدة إلى إن تم إنشاء مدرسة زمرد خاتون، فجعلته مدرساً بها. السبكي، طبقات الشافعية، ج٤، ص ١٩٨. سبط إبن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ٤٢٢.

الأئمة، وعين من أعيان فقها ءالأمة، ومن أشهر الفقهاء والمدرسين في بغداد[1]. علي بن علي الفارقي (ت٦٠٢هـ/١٢٠٥م) وصفه معاصروه بأنه "سديد الفتاوى غزير الفضل"[2]. واستمرت هذه المدرسة قائمة – طيلة فترة العصر العباسي، وحتى بداية العصر العثماني ثم نقضت ليستخدم آجرها في بناء سور الجانب الغربي[3]. ومن الأعمال التي قامت بها هذه السيدة الجليلة هو أنها أمرت بانشاء مسجد الحظائر أو جامع الخفافين، ويعرف بالأصل بمسجد الحظائر، الذي انشأته السيدة زمرد خاتون، وهو يقع في موضع شرقي بغداد على شاطئ دجلة، عندا مشرعة عرفت بمشرعة المزملات، ولم يبق منه إلاَّ المنارة ومن أقدم المنائر في بغداد[4]. واعتادت هذه السيدة ان تشرف على شؤون هذا المسجد

٦٠٦٨٨٤

الذي أنشأته، فاختارت الشيخ عمر بن يوسف بن محمد بن نيروز البغدادي (٥٤١هـ-٦١١هـ/١١٤٥م-١٢١٤م)[5]، ليكون إماماً في مسجدها، وهو شيخ صالح كثير العبادة، خيّر وثقة[6].وأمرت زمرد خاتون كذلك ببناء رباط أطلق عليه "رباط المأمونية" وتم افتتاحه سنة (٥٧٩هـ/١١٨٣م)، ويقع في محلة المأمونية، شرقي بغداد فنسب اليها[7]. ولم تكن مهمة هذا الرباط مقتصرة على العبادة والإعتكاف كما هي مهمة الكثير من

(١) السبكي، طبقات الشافعية، ج٤، ص ١٩٨.

(٢) إبن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج١٨، ص ٤٥؛ انظر: الدروبي، البغداديون، ص ٢٥٨.

(٣) رؤوف عبد السلام، إسهامات نسائية، ص ١٥٠.

(٤) معروف، تاريخ علماء المستنصرية، ج٢، ص ١٤.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦١١هـ/ص١٢٠.

(٦) إبن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، ج٤، ص ٨١٧.

(٧) سبط إبن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق ١، ص ٣٦٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص ٩١؛ الأربلي، خلاصة الذهب، ص ٢٠٧.

الأربطـــة– وإنما أرادته داراً للثقافة والعلم، فألحقت به خزانة كتب حوت كتباً قيمة واهم هـــذه الكتب "الفنون" لأبي الوفاء إبن عقيل البغدادي، وقدر عدد مجلداته بمائتي مجلد(١).

كمـــا أنشـــأت زمـــرد خاتون رباطاً بجوار مشهد عبد الله العلوي (عند قبر أم رابعة في الأعظمـــية) وقد تعرض للغرق والهدم سنة (٦٤٦هـــ/١٢٤٨م)(٢). فتولت السيدة زمرد خـــاتون تجديده واعادته إلى ما كان عليه، وتم إفتتاحه سنة ٦٥٠هـــ/١٢٥٢م وأشار إبن الفوطي اليه فقال: " وفتح الرباط الذي أمرت بتجديده أم الخليفة الناصر مجاور مشهد عبد الله علـــيه السلام، وعمل فيه دعوة وكان قد تشعث منذ الغرق واجرى على ما كان عليه أولاً(٣)".

وأنشـــأت "باب بشير"(٤) مدرسة لتدريس الفقه على نظام المدرسة المستنصرية في بغـــداد، وقد استغرق العمل بها ما يقرب من أربع سنوات (٦٤٩هـــ-٦٥٣هـــ/١٢٥١م-١٢٥٥م)، وأفتتحت هذه المدرسة سنة (٦٥٣هـــ/١٢٥٥م)(٥). وتقع هذه المدرسة بالجانب الغربـــي مـــن بغداد تجاه قطفتا(٦)،ووقفت عليها وقوفاً كثيرة. حضر إفتتاح هذه المدرسة الخليفة المستعصم بأمر الله وأولاده، وجلسوا وسطها، وحضر ارباب المناصب والوزراء،

---

(١) سبط إبن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق ١، ص٨٤؛ الحموي، معجم البلدان، ج٦، ص ٢٣٥.

(٢) سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج٨، ق١، ص ٥٢٥.

(٣) الحوادث الجامعة، ص ١٤٩.

(٤) باب بشير: احد نساء الخليفة المستعصم، الملقبة بهذا اللقب، وهي أم والد المستعصم، إبن الفوطي، ، معروف ناجي، بغداد، ص ١٤٣.

(٥) إبن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ١٤٩.

(٦) قطفـــتا: كلمة لأعجمية لا اصل لها في العربية، وهي محلة كبيرة ذات أسواق بالجانب الغربي من بغـــداد وكانت مجاورة لمقبرة الدير التي فيها قبر الشيخ معروف الكرخي، بينها وبين دجلة اقل من ميل، الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٣٧٤.

ومشايخ الربط والمدرسون[1]. ومن اهم المدرسين الذي درسوا في المدرسة: سراج الدين النهرقلي اقضى القضاة وشرف الدين عبد الله بن استاذ الدار وقد عمل بها وليمة عظيمة، وخُلـع علـى المدرسـين والخدم والفراشين ونواب العمارة وأنشدت الأناشيد وكان يوماً مشـهوداً[2]. وفي سنة (٦٥٢هـ/١٢٥٤م)، أمرت السيدة "باب بشير: بعمارة دار للقرآن، وتقع على شاط نهر دجلة غربي بغداد[3]، وتوفيت سنة (٦٥٢هـ-١٢٥٤م)، ودفنت تحت القبة التي اعدتها بجانب المدرسة البشيرية[4]. واستمر دور المرأة العراقية اثناء الاحتلال المغولي للعراق ولم تتخلف عن اداء دورها في الأعمال الخيرية وانشاء المدارس ووقف الوقـف عليها، ودليلنا على ذلك ما قامت به السيدة شمس الضحى لبنى الأيوبية بنت عبد الخـالق بـن ملكشـاه صلاح الدين وزوجة الأمير أبي العباس احمد بن المستعصم بالله العباسـي[5]. حيـث انشأت مدرسة سميت بالمدرسة "العصمتية" نسبة إلى لقبها "عصمة الدين" أو ذات العصمة، وذلك في سنة (٦٧١هـ/١٢٧١م).

وعمرت النساء وخاصة الموسرات الربط والزوايا للنساء والأرامل والمطلقات[6]، حيـث يقمن في الرباط ويقدم لهن الوجبات وتقوم على خدمتهن خادمة الرباط حتى ينتهي ما يعانين منه إما بالزواج أو الرجوع إلى أزواجهن. فقد ذكرت بعض المصادر التاريخية أهـم هذه الأربطة التي أنشئت في هذه الفترة وهو رباط الفيروزوجية الذي أنشأته السيدة

(١) ابن الساعي، الجامع المختصر، ج٩، ص ١٩٠؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ١٤٩.

(٢) إبن الفوطي، المصدر السابق، ص ١٤٩.

(٣) إبن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ١٣٥-١٤٩، جواد، سيدات البلاط، ص ١٩٧-١٩٨.

(٤) ناجي، بغداد في التاريخ، ص ١٤٢، جواد، سيدات البلاط، ١٩٦.

(٥) ابن الفوطي، المصدر السابق، ص ١٤٩.

(٦) غوانمة، تاريخ بيت المقدس، ص ١٧٧.

عائشـــة ابـــنة الخلـــيفة المستنجد بالله، وكانت صالحة مسنة، وبنت هذه الرباط في بغداد وتوفيـــت سنة (٦٤٠هـــ/١٢٤٢م)[١]. وأنشأت السيدة سلجوقة خاتون، رباطاً سمي "رباط الأخلاطـــية" أو الخلاطـــية فـــي الجانب الغربي من بغداد[٢]، تم افتتاحه سنة (٥٨٥هـــ/ ١١٨٩م)، وبنـــت تـــرب بالجانـــب الغربي، توفيت سنة (٥٨٤هـــ/١١٨٨م)، وذلك قبل الانـــتهاء مـــن بنائه[٣] وقد أشارت بعض المصادر التاريخية انه وجد برباط الأخلاطية، خزانة كتب قيمة أنشأها الخليفة الناصر لدين الله[٤]. وقد نقل الخليفة الناصر الكتب السُنية بـــالخطوط المنسوبة والمصاحف الشريفة إلى المدرسة النظامية ورباط الأخلاطية ورباط الحريم الطاهري[٥]، ولهذه الخاتون (سلجوقة) أعمال كثيرة في الخير خاصة ايام الحج[٦]. أمـــا أرجـــوان الرومية والدة الخليفة المقتدي قد أنشأت رباطاً سمي برباط الأرجوانية[٧]. وكـــان شيخ هذا الربط أبو منصور الحسين بن أبي الحسين محمد إبن ابراهيم الكاتب[٨].

---

(١) إبن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٩٣؛ الذهبي، تأريخ الإسلام، وفيات، ٦٤٠هـــ/ص٤٣٧-٤٣٨، العبر في خبر من غبر، ج٥، ص ١٦٥، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص ٦٠٨، إبن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص ٢٠٨.

(٢) ســبط إبن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨/ ق١، ص ٤٢٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات، ٥٨١هـــ، ص ١٨٠-١٨١. الأربلـــي، خلاصـــة الذهـــب، ص ١٢٨٢، الصـــفدي، الوافي بالوفيات، ج١٥، ص ٢٩٦.

(٣) إبن الساعي، نساء الخلفاء، ص ١١٥، المنذري، تكملة الوفيات، النقلة، ج١، ص ٨٨.

(٤) سبط إبن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ٦٣٧؛ الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٩٠.

(٥) إبن الساعي، نساء الخلفاء، ص ١١٦، الحموي، معجم الأدباء، ج٥، ص ٢٩٠.

(٦) إبن جبير، رحلة إبن جبير، ص ٢٠٦، جواد، سيدات البلاط، ص ١٨٣-١٨٤.

(٧) إبـــن العمراني، الأنباء، ص ٢٠١؛ إبن الساعي، الجامع المختصر، ج٩، ص ١٤٩؛ إبن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ١٩٧، إبن الدبيثي، المختصر المحتاج اليه، ج١٥، ص ٣٩١، انظر، جواد، سيدات البلاط، ص ١٣٦.

(٨) إبن الساعي، الجامع المختصر، ج٩، ص ٣٧.

توفيــت ســـنة (٥١٢هـــ/١١١٨م). وأمرت كذلك السيدة هاجر زوجة الخليفة المستنصر بـــالله، وام المستعصم بالله، ببناء رباط إلى جانب تربة انشأتها لنفسها في الجانب الغربي مـــن بغـــداد[١]. وقـــد أستغرق بناؤه عدة سنين بعد وفاتها، إذ تم افتتاحه سنة (٦٥٠هـــ/ ١٢٥٢م)، وأكـــد على ذلك إبن الفوطي "وفيها فتح الرباط المستجد الذي أمرت أم الخليفة المستعصـــم بعمارته إلى جانب تربتها بشارع إبن رزق الله، وحضر الوزير وكافة أرباب الدولة افتتاحه، وعملت فيه وليمة عظيمة وخُلع علي كل من تولى عمارته" [٢]. ووصفت أم الخليفة المستعصم بأنها كانت ترغب في فعل الخيرات ومساعدة الفقراء وكانت تتصدق بـــأموال كثـــيرة[٣]. أمـــا عن العالمات الفاضلات الشهيرات اللائي لهن الأعمال الخيرية الجليلة نذكر: العالمة شهدة الأبري التي بنت رباطاً خاصاً تجتمع فيه النساء المتعبدات[٤]، وبنـــت فاطمـــة بـــن الحســـين بن فضلوية رباطاً سمته بإسمها، كانت تجتمع فيه النساء الـــزاهدات المتعبدات[٥]. ووجدت الكتب القيمة والنفيسة في هذه الربط وهذا يدلل على أن دور الربط في العراق ومدنه، كان دوراً له أهمية في حياة الناس الثقافية، ففي هذه الربط كان يلتقي العلماء والمفكرون للدراسة والبحث والمناظرة، حيث وجدت فيه نفائس المكتب والمخطوطات وروائع المصنفات. وكان من شيوخ الربط من يقوم بإقراء القرآن وتدريس الحديـــث ومن هؤلاء نذكر: أبو الأزهر محمد بن محمد الصوفي الواسطي المقرئ، نزل

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٣، ص ٢٩٧.

(٢) الحوادث، الجامعة، ص ١٣٥-١٤٩؛ناجي، تاريخ علماء المستنصرية، ص ٤٣٩.

(٣) إبن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ١٤٩.

(٤) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ٢٠٩؛ إبن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ١٤٧.

(٥) إبن الجوزي، المصدر السابق، ج ١٧، ص ٢٤٧.

بـــبغداد، وأقام برباط أرجوان الرومية حتى توفي سنة (٥٧١هـ/١١٧٥م)[١]. ولم يقتصر بـــناء الأربطـــة علـــى النساء الموسرات فقط، بل شاركت نساء العامة وخاصة العالمات منهـــن، ذكرت بعض المصادر التاريخية أن العالمة خاصة بنت المبارك، كان لها رباط بـــباب الأزج، توعظ فيه النساء الصوفيات[٢]. وللواعظة ضوء الصباح رباط كانت تعقد فـــيه مجـــالس الوعـــظ للنساء[٣]، بالإضافة إلى رباط الواعظة شمس الضحى بنت مهر الساوي البغدادية، التي كانت تعقد فيه مجالس للوعظ[٤].

---

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص ١٢٦؛ ابن الدبيثي، المختصر المحتاج اليه، ج١٥، ص ٣٩٥، ج٢، ص٢٥٧.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٧، ص٢٤٧؛ الذهبي، تأريخ الإسلام، وفيات ٦٣٨هـــ، ص ١٤٠.

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص ٣٧٠-٣٧١.

(٤) الصفدي، المصدر السابق، ج١٦، ص ١٨٤. انظر، كحالة، أعلام النساء، ج١، ص ٣٠٩.

٤. اثر الجواري في الحياة الثقافية والفنية

أ. اوضاع الجواري في العصر السلجوقي

هـــناك اختلاف في أوضاع الجواري بالعراق في العصر السلجوقي، فبعضهن لم تســاعدهن الظروف للعيش في قصور الخلفاء والأمراء وكبار القوم وأثريائهم، وبعضهن عِشن في أعلى درجات السلم الاجتماعي واصبحن أمهات لأولاد الخلفاء وتحررن بعتقهن، والــبعض الآخــر كــن يعشن عيشة ذلٍ وفقر. ومن الجدير بالملاحظة أن أغلب أمهات الخلفـــاء نذكر منهن: أم القائم بأمر الله قطر الندى، كانت جارية وقد أختلفت المصادر في أصـــلها فقيل رومية وقيل ارمينية[١]. وام الخليفة المقتدي ارجوان، وقيل قرة العين وهي ارمينـــية الأصـــل[٢]، ولبابة أم الخليفة المسترشد[٣]. وأم الخليفة المقتفي كانت جارية من الجـــواري، وقـــد عرفت بأسماء منها نسيم، ست السادة، نزهة حبشية، وأسمها ايضاً بغية الـــنفوس[٤]. وأم الخليفة المستنجد بالله، يقال أنها كرجية تعرف بنرجس وقيل طاووس[٥].

---

(١) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص ١٢٤، إبن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ٢٥٣؛ إبن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٣٥؛ القرماني، أخبار الدول، ص ١٧٢؛ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ص ٦٢.

(٢) إبن الجوزي، المصدر السابق، ج١٧، ص ١٦٥، سبط إبن الجوزي، ج٨، ص ق١، ص ٤٥-٤٦؛ الإربلي، خلاصة الذهب، ص ٢٦٨، إبن كثير، البداية، ج١٢، ص ١٩٧.

(٣) الإربلي، المصدر السابق، ص ٢٧٢؛ القرماني، أخبار الدول، ص ١٧٤، إبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٢٥٧.

(٤) إبـــن العمراني، الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٢٥٥؛ إبن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص ٣١٣؛ إبن الكازروني، المختصر التاريخ، ص ٢٨٨؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥١٦.

(٥) إبـــن الأثـــير، الكامل، ج١١، ص ٢٥٦؛ الباهر في الدولة الأتابكية، ص ١٥١؛ الإربلي، خلاصة الذهب، ص ٢٧٦. انظر: كحالة، أعلام النساء، ج٢، ص ٢٦٥.

وأم الخلـــيفة المستضــــيء ارمينية ولها عدة أسماء، غضة، عصمت[1]. وكانت أم الخليفة الناصـــر لديـــن الله العباســـي جاريـــة تركية وأسمها زمرد[2]. وقد كان الخلفاء يتهادون الجـــواري كمـــا تهـــدي الحلي والجواهر ملاطفة ومجاملة، وكان بعضهن يهدي من قبل الأمـــراء، والســـلاطين إلـــى الخلـــيفة، فالأفضل بن صلاح الدين الأيوبي بعث في سنة (٥٩٠هـــ/١١٩٣م) إلى الخليفة الناصر العباسي أربع جواري من بنات ملوك الفرنج[3]. وهـــذا يدلل على المكانة التي وصلت اليها بعض جواري الخلفاء، وخاصة اللواتي اعتقن واصبحن زوجات للخلفاء، فقد أمتلكن الجواري وقمن باعتاقهن لوجه الله، فجارية الخليفة المستضيء بأمر الله بنفشا اعتقت كثيراً من الجواري والمماليك[4].

امـــا عـــن أحـــوال الجواري في الحياة اليومية في فترة الدراسة، فكانت جواري الخلـــيفة يحتجبن ويغطين رؤوسهن ولا يستطيع احد الاختلاط بهن، ولكن هناك ظروف خاصة كانت تضطرهن للخروج حاسرات عن وجوههن، كما حدث سنة ٤٥٠هـــ/١٠٥٨ م، فقـــد خرجت جواري الخليفة القائم بأمر الله حاسرات عندما قام البساسيري بنهب دار الخلافـــة[5]. وتكـــررّ خروجهـــن حاســـرات مكشـــوفات الـــرؤوس فـــي الملمات سنة

---

(١) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص ١٩٠، سبط إبن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ق١، ص ٢٨٢. الذهبـــي، تـــاريخ الإسلام، وفيات ٥٧١هـــ-٥٨٠هـــ، ص ١٦٦؛ الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص ٣٧١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ٨٣؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٠٩.

(٢) إبـــن الأثـــير، الكامل، ج ١٢، ص ١٨٤؛ أبي الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج٢، ص ١٩٥، الأربلي، خلاصة الذهب، ص ٢٨٠، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤١٣.

(٣) إبن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ١١.

(٤) إبن الساعي، نساء الخلفاء، ص ١١٤.

(٥) الصابئ، عيون التواريخ، ص ١١٠-١١١؛ إبن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ١٥٥.

(٥١٦-٥١٧هـ/١٢٢٢/١٢٢٣م)، عندما هاجم عسكر السلطان محمود دار الخلافة، فخرجن يلطمن ودخلن دار خاتون زوجة المستظهر[١]. وتكرر ذلك مرة أخرى سنة ٥٢١ هـ/١١٢٧م عندما نهب عسكر السلطان محمود دار الخلافة[٢]. وكما حدث في فيضان سنة ٤٦٦هـ/١١٧٣م، عندما دخلت مياه الفيضانات إلى دار الخلافة[٣]. بالإضافة إلى ما ذكر عن أحوال الجواري فأن الجارية كانت تتزوج برجل حر وأحياناً بعبد، وأحياناً تتزوج الجارية مملوك، وقد أورد سبط إبن الجوزي رواية طريفة فقال: "ان رجلاً أعتق عبداً وأمة وزوجهما بعضهما، وأقاما معاً أربعين سنة وبعدها تبين ان الأمة أخت العبد لإمه وأبيه، فاستفتى الفقهاء في ذلك فافتوا بأنه لا اثم عليهما فيما سبق ولكن يجب التفريق بينهما، وان تلتزم العدة. بينما ينظر هو اليها على أنها اخته"[٤]. ولا يمكن تحديد عدد الجواري في هذه الفترة فقد ذكر الأزدي في سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م "بلغ عدد الجواري ببغداد اربعمائة وستين جارية في الجانبين"[٥]. أي الجانب الشرقي والغربي ببغداد.

وأغلب الظن أن هذا العدد غير دقيق. وفي هذه الفترة لم تكن للجواري شأن كما كان لهن الشأن والصيت في العصور العباسية الأولى، فلم نجد سوى إشارات بسيطة لبعض الجواري المشهورات والمتميزات في هذه الفترة.

---

(١) إبن الجوزي، المنتظم ، ج١٧، ص ٢٠٥، إبن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ٢١١.

(٢) إبن الجوزي، المصدر السابق، ج١٧، ص ٢٠٥.

(٣) إبن الجوزي، المصدر السابق، ج١٦، ص ١٥٥؛ إبن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ١١٧.

(٤) مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ٣٤٢؛ إبن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ٩٧.

(٥) الأزدي، حكاية أبي القاسم، ص ٨٧.

وشـــاركت الجـــواري فـــي العصر العباسي الأخير (٤٤٧هـــ-٦٥٦هـــ/١٠٥٥-١٢٥٨م)، في مجالس الغناء، التي كان يحضرها العامة والخاصة وغايتها اللهو، وسماع الغـــناء والموسيقى ومشاهدة الرقص الذي تؤديه الجواري[١]. وكان للغناء أصول استقرت مـــنذ العصر العباسي الأول، وأصبح للموسيقى قواعد معروفة ومدارس متبعة، والملاحظ فـــي القرنيـــن الخامس والسادس الهجريين/الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، أنه لم تذكر فيهما أسماء المغنيين أو المغنيات كما كان في العصور العباسية السابقة.

وقد تضافرت عدة عوامل في هذه الفترة ادت إلى ذلك، أهما محاربة الدولة لهن، وقـــيام بعض المتدينين بكبح المنكرات بأنفسهم، فقد صادف أن إبن أبي عمامة الواعظ[٢]. رأى مغنـــية خارجة من بعض دور الأتراك ومعها عود فقطع أوتاره، فعادت إلى التركي وشكته، فأرسل غلمانهِ إلى داره، إلاّ ان إبن أبي عمامة جمع الناس ودخلوا جامع القصر، وطلبوا إزالة المنكرات وهدم الحانات التي تقدم بها الخمور والشراب المُسكر[٣].

ومـــن الذين أنكروا كثرة المغنيات الشيخ أبو اسحق الشيرازي توفيت (٤٦٤هـــ/١٠٧١م) فقـــد قـــام مع الحنابلة في الإنكار على المفسدين الذي يبيعون الشراب المسكر وغير ذلك من المفاسد، وكتبوا إلى السلطان في ذلك، فجاءت كتب بالإنكار[٤]. أما في سنة ٤٦٧هـــــ/١٠٧٤م فقد تقدم فخر الدولة بن جهير إلى المحتسب وطلب منه نفي المفسدات

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ١٣٩.

(٢) أبـــو عمامـــة: الواعظ أبو سعد بن أبي عمامة، عاش في فترة حكم الخليفة المقتدي سنة ٤٦٤؛ إبن الجوزي، المنتظم، ١٦، ص ١٣٨-١٣٩.

(٣) إبـــن الجوزي، المصدر السابق، ج١٦، ص ١٣٨-١٣٩، الصابئ، عيون التواريخ، ص ٢٧٤؛ إبن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٩١.

(٤) إبن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩١؛ إبن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٠٥.

والمغنيات من بغداد وبيع دورهن ومصادرتهن، وأبعادهن إلى الجانب الغربي من بغداد[١]، وكان ذلك في عهد المقتدي بأمر الله الذي أمر في سنة (٥٣٥هـ/١١٤٠م) بأخذ الواعظ المغربي مكشوف الرأس إلى باب النوبي لأنه وجد في داره آلات اللهو من عودٍ وغير ذلك. فأنهال عليه الناس يسبونه وحبس بعدها، وقد أنكروا ذلك بقوله: "أن امرأته مغنية والآلات لها"[٢]. وارى ان هذا الواعظ إدعى أن الآلات لزوجته، لكي يبعد عنه الشك والريب والتخلص من العقوبة التي ستنزل به، ولا يمكن ان يكون الواعظ يمتلك الات لهو ومفسدة.

وفي سنة (٥٣٢هـ/١١٣٧م) ظهرت بعض المغنيات والمعازف والجواري يرتدين لباسهن الملون، وقد مارسن المفاسد والمنكرات مثل شرب المسكر[٣]. وفي سنة (٥٣١هـ/١١٣٨م) قيل ان اربعاً من النسوة شربن المسكر في الشط مع الرجال[٤]. فوصفن بأنهن مسوّدات الوجوه، وهذه تطلق على من يفعلن المنكر ويختلطن بالرجال، وفي العادة فان هؤلاء النسوة سواء المغنيات أو المفسدات، والراقصات، فلا تقبل لهنّ شهادة[٥]. كما ذكر في بعض المصادر التاريخية الرقص يرافقه الغناء[٦]، أما الآلات المستخدمة للرقص تذكر منها الكَرْج وهما تماثيل خيلٍ مسرجة من الخشب معلقة بأطراف

---

(١) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ١٦٦؛ إبن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٢٣١، النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص ٣٠٩.

(٢) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص ٩.

(٣) إبن الجوزي، المصدر السابق، ج١٧، ص ٣٢٧؛ إبن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٤٧٦.

(٤) إبن الجوزي، المصدر السابق، ج ج١٧، ص ٣٢٣.

(٥) إبن الجوزي، تلبيس ابليس، ص ٢٣٠-٢٣١.

(٦) الأزدي، حكاية أبي القاسم، ص ٥٠.

اقبـــية تلبسها النسوة ويحاكين بها امتطاء الخيل فيكرون ويغزون ويثاقفون[1]. وتقدم مثل هــذه الرقصات في المناسبات والأعياد والأعراس ومجالس الفراغ[2]. وقد عملت النساء بالعزف حيث كنّ يرافقن المغنيات وكان البعض منهن تلقب باسم الآله التي تعزف عليها، كالطّـــبالة والـــزّمارة والصنّاجة، والعوّادة[3]. أما آلات الغناء التي انتشرت في تلك الفترة فهـــي، الـــناي والعود[4]. وهو أما أن يكون مصنوعاً من عود أو ساج منقوش بالعاج في خـــريطة ديباج[5]. ثم هناك الطبل[6]، والطنبور[7]. واشتهر من انواعه المعزفة والمزمار ويسمى الزلامي وهو على شكل القصبة المنحوتة من الجانبين جوفاء من غير تدوير[8]. ومـــن آلات الغـــناء المـــربّط (الرّباب)[9]. بعض المغنيات تذكر: المغنية عتب[10]. وقد اشتهرت في ضرب العود[11]. ولم تذكر المصادر التاريخية الكثير من المغنيات في فترة الدراســـة، وقـــد وجدت بعض الإشارات المتناثرة. وقد كان المحتسب مكلفاً بمراقبة آلات

---

(١) إبن خلدون، المقدمة، ص ٤٢٨.

(٢) إبن خلدون، المصدر السابق، ص ٤٢٨.

(٣) الأزدي، حكاية أبي القاسم، ص ٥٠.

(٤) الأزدي، المصدر السابق، ص ٤٥؛ إبن الجوزي، ذم الهوى، ص ٣٤٣-٤٥٢.

(٥) الأزدي، المصدر السابق، ص٥٥.

(٦) الأزدي، المصدر السابق، ص ص٨٩، إبن الجوزي، ذم الهوى، ص ٣٤٢.

(٧) إبن سيدة، المخصص، ج٣، ص ١٣؛ إبن الجوزي، تلبيس ابليس، ص ٢٤٥.

(٨) الأزدي، حكاية ابي القاسم، ص٥٠.

(٩) إبن الجوزي، تلبيس ابليس، ص ٢٤٥.

(١٠) إبن خلدون، المقدمة، ص ٤٢٤.

(١١) عتب: بنت عبدالله جارية مولدة كانت للعباسة عائشة بنت المستنجد، ابتاعها أبي الفضل هبة الله إبن الصاحب بمبلغ عشرة الاف دينار، توفيت سنة ٦٠٠هـ، إبن الساعي، الجامع المختصر، ج٩، ص ١٣٥-١٣٦، انظر، كحالة، اعلام النساء، ج٣، ص ٢٤٥.

الملاهي وكان يؤدب على المجاهرة بها ولا يكسرها ان كان خشبها يصلح لغير الملاهي[١].

ومن أشهر المغنيات في هذه الفترة ببغداد، نوسي وهي زوجة إبن رئيس الرؤوساء وعائشة السوداء زوجة إبن الكرخي وكانتا مغنيتين لا مثيل لهما، فأمر الخليفة الناصر لدين الله باحضارهما وكان يقال: ما ببغداد مغنية أصنع من عائشة السوداء، ولا غناء أطرب من غنائها ولا صوت ارق من صوتها[٢]. واشتهرت الإماء ايضاً بضرب الدفوف وخاصة في الجنائز[٣]. وقد شاع وجود الجواري بأعداد كبيرة في العصر العباسي الأول والثاني. واتخذ الناس الجواري إلى جانب الزوجات الحرائر، للمتعة[٤]. وللغناء والطرب، وخاصة ذوات الحُسن والدلال. فكان لغنائهن موقع في القلب أفضل من موضع غناء الرجال[٥]. وكان تجار الرقيق يهتمون بهن ويدربوهن على حفظ الشعر والغناء[٦]، وكان بعض أفراد المجتمع يفضلون الجواري على الحرائر حتى انه يقال: من أراد قلة المؤنة، وخفة النفقة وحسن الخدمة، وارتفاع الحشمة، فعلية بالإماء دون الحرائر[٧]. وكان يقال عن زواج الجواري وكساد الحرائر: "الجواري كخبز السوق والحرائر كخبز

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٢١٨؛ إبن الأخوة، معالم القربة، ص ٣٥.

(٢) الأيوبي، محمد بن تقي الدين، مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق حسن حبشي، عالم الكتب، القاهرة، عام ١٩٦٨. ص ١٨٩.

(٣) إبن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٦٠٨.

(٤) إبن الجوزي،الأذكياء، ص ١٩٢.

(٥) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج٤، ص ١٥٤.

(٦) الراضي، فاطمة حمزة، الظرف البغدادي، مجلة المورد، مج٨، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٩، العدد الرابع، ص ٣٢٩.

(٧) الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص ٢٥٣؛ التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج٣، ص ٣١٥.

الدور"[1] ولا شك ان هؤلاء الجواري، بما لديهن من جمال ورقة وثقافة تركن اثراً كبيراً في أدب العصر والحياة الاجتماعية والسياسية، وكان ذلك واضحاً في فترة الدراسة بسبب ظروف الدولة السياسية آنذاك. لأن الرقة والدلال من الأساسيات المغرية عند المرأة.

ترجمة لبعض الشهيرات من النساء:

تــرجم كثير من المؤرخين لبعض العالمات في العراق وبغداد، في فترة الدراسة وسوف نشير إلى بعض منهن:

أ. شـــهدة الإبري (٤٨٢هـــ-٥٧٤هـــ/١٠٨٩-١١٧٨م)، بنت احمد بن الفرج بن عمر الديـــنوري الإبـــري[2]. البغدادي الكاتبة الدينورية[3] الأصل البغدادية المولد والوفاة، لقبــت بفخــر النساء[4]. مسندة العراق[5]. كانت من العالمات اللواتي اشتهر ذكرهن

---

(١) الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص ٢٩٨.

(٢) الإبري، نسبة إلى بيع الإبر التي يخاط بها، والمشهور بهذا الانتساب أبو القاسم عمر بن منصور بن محمد بن بريد الإبري في بغداد، ووالد شهدة من مشاهير بغداد ومحدثيها توفي سنة ٥٠٦هـــ، ودفن بباب ابرز، السمعاني، ج١، ص ١١٨؛ إبن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، تحقيق: عبد اللطيف حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ص ٢٠، إبن الأثير، ج١١، ص ٢٠٠؛ إبن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص ٤٧٧-٤٧٨.

(٣) الدينورية: نسبة إلى دينور وهي بلدة من بلاد الجبل، بينها وبين همذان نيف وعشرين فرسخاً وهي قــرب قرميســين، ينســب اليها جماعة من العلماء، الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٥٤٥، إبن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص ٤٧٧-٤٧٨.

(٤) سبط إبن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ٣٥٢؛ إبن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٤٧٧. الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص ٨٧، العبر في خبر م غبر، ج٣، ص ٦٦.

(٥) الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص ٨٧، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص ١٩٠.

بالورع والعبادة[١]. كانت تكتب خطاً جيداً، وتعرف بالكاتبة[٢]. والفقيهة والشاعرة[٣].

من شعرها: (بحر الكامل)

واذا ابتسم ثغر ببرقٍ مُنجدٍ أغرى دموع العين بالهَمَلان

يا حادي البكرات هل لك رَوْقَة بالعمر عند مسارِح الرُّعيان[٤].

ولدت شهدة بعد سنة (٤٨٢هـ/١٠٨٩م)[٥]، ثم تزوج بها ثقة الدولة ابن الإنباري[٦]. وخالطت أهل العلم والعلماء، وكان لها أعمال البرّ والخير[٧]. فقد ذكرت بعض الروايات انها انشات رباطاً خاصاً تجتمع فيه النساء المتعبدات[٨]. ووجد هذا الرباط برحبة جامع القصر من بغداد، لقراءة الحديث النبوي، ووقفت عليه أوقاف حسنة وقد سكن

---

(١) سبط إبن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ٣٥٢؛ إبن الدبيثي، المختصر المحتاج اليه، ج١٥، ٣٩٤-٣٩٥. الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٣، ص ٦٦، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٥٤٢؛ كحالة، اعلام النساء، ج٢، ص ٣٠٩.

(٢) سبط إبن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ٣٥٢؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٣، ص ٦٦. دول الإسلام، ج٢، ص ٢٨٧؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص ١٩٠.

(٣) السيوطي، نزهة الجلساء، ٤٦، ٤٧، ٤٨، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص ١٩٠. عبود، نساء شهيرات، ص ٢٤٦.

(٤) السيوطي، نزهة الجلساء، ٤٦، ٤٧، ٤٨، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص ١٩٠. عبود، نساء شهيرات، ص ٢٤٦.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٥٤٢.

(٦) ثقة الدولة، علي بن محمد بن يحيى أبو الحسن الدريني، المعروف بثقة الدولة، كان من الأعيان، ومن أهل الأدب، ويقول الشعر، في مدرسة (الثقتية) لاصحاب الشافعي على شاطئ دجلة، والى جانبها رباط للصوفية، ولد سنة ٤٧٥هـ توفي ٥٤٩هـ، إبن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص ٤٧٨، إبن الساعي، الجامع المختصر، ج٩، ص ٦٤، أنظر الدروبي، البغداديون، ص ٢٥٧.

(٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص ٥٤٣، انظر، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص ٢١٩.

(٨) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٠٩؛ إبن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ١٤٧.

عــدد من العلماء في هذا الرباط[١]. وكانت تكتب على طريقة الكاتبة بنت الأقرع[٢]. وفي روايــة بعــض المصادر التاريخية ان شهدة الإبري اختصت بالخليفة المقتفي ومدحته[٣]. وفــي رواية اخرى انها كانت لها قرابة لأمير المؤمنين المقتفي[٤]. لم يقتصر علمها على الكــتابة والخــط بل روت الحديث وسمعت من مشايخ العراق وغيرهم ومن أهم العلماء والمشــايخ الذين سمعت منهم، أبو الفوارس طراد الزينبي، وابن طلحة النعالي[٥]. وفخر الإسلام أبو بكر الشاشي[٦] وغيرهم من علماء ومشايخ العصر. وقد سمعت شهدة من ابيها أبــو نصر وروت عنه[٧]. وذكرها إبن الجوزي في مشيخته وقال: "أخبرتنا شهدة بقراءتي عليها في صفر سنة ٥٥٧هــ/١١٦١م[٨]. وقال ان لها مشيخة[٩].

---

(١) الأطرقجي، رمزية أحمد ، نساء تركن بصماتهن على التاريخ، مركز احياء التراث العلمي، جامعة بغداد، ١٩٨٨، ٧٠.

(٢) الحمــوي، معجم الأدباء، تحقيق: احسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣، ج٣، ص ١٤٢٢-١٤٢٣، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص ١٩٠.

(٣) الحموي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٤٢٣-١٤٢٤، الصفدي، المصدر السابق، ج١٦، ص١٩٠، انظر التنيرّ، الشاعرات من النساء، ص ٢٨٤.

(٤) السمعاني، الأنساب، ج١، ص ١١٨؛ إبن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ج١، ص ٢٠.

(٥) إبــن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص ٤٧٧؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٠، ص ٥٤٢-٥٤٣، كحالة، أعلام النساء، ج٢٠، ص ٣٠٩.

(٦) أبــو بكر الشاشي: محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي، احد الأئمة في تفسير الحديث والفقه واللغة، ولد ٢٩١هــ وتوفي ٣٦٦هــ، وينسب إلى مدينة شاش وراء نهر سلجوق وهي ثغور الترك، انظر، السمعاني، الأنساب،' ج٧، ص ٢٤٤؛ إبن خلكان، وفيات لأعيان، ج٢، ص ٤٧٧، السبكي، طبقات الشافعية، ج٣، ص ٢٠٣.

(٧) سبط إبن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ٤٣.

(٨) ابن الجوزي، مشيخة إبن الجوزي، الشركة التونسية، تونس، ١٩٧٧، ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٩) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص ٥٤٢.

وحـــدث عـــنها الحـــافظ إبن عساكر وأبو سعد بن السمعاني والفخر الأربلي[1]، وغـــيرهم. وتلقـــت العلم ايضاً على كثير من العلماء والشيوخ أمثال أبو الحسن علي بن محمـــد العـــلاّف المقـــرئ[2] ومن الذين نقلوا عن شهدة إبن الجوزي توفيت (٥٩٧هـــ/ ١٢١١م)، والشـــيخ عـــبد العزيـــز بـــن دلف الخازن، وقد نقل عنها السمعاني علوم تلك العصـــور. ومن أشهر تلامذتها الخليفة الناصر لدين الله، فقد روى عنها في كتابه (روح العارفيـــن) وقرأ عبدالله أحمد بن قدامة المقدسي عليها (كتاب الأموال)، وقد ألفت رسائل فـــي الحديـــث والفقه والتوحيد[3]. ولكن لم تشر المصادر التاريخية إلى هذه الرسائل في الحديـــث وغـــيره مـــن العلـــوم. وعمـــرّت هذه العالمة الفاضلة طويلاً حتى توفيت سنة (٥٧٤هـــــ/١١٧٨م) ودفنت في بغداد بباب ابرز[4]. وقد تجاوزت التسعين عاماً[5]، وفي روايـــة اخـــرى أنها عمرت حتى قاربت المائة عام[6]. ولم تذكر المصادر التاريخية أية مؤلفات لشهدة الكاتبة. ولغيرها من العالمات في العراق في فترة الدراسة.

---

(١) إبن الدبيثي، المختصر المحتاج اليه، ج١٥، ص ٣٩٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢٠، ص ٥٤٢.

(٢) الذهبي، المصدر السابق، ج٢٠، ٥٤٢.

(٣) الزركلي، نور الدين، الأعلام، (قاموس تراجم) (د.ت)ن (د.م)، ١٩٦٩، ط٣، حكيم، حسن عيسى، العالمـــة شـــهدة ورواياتهـــا، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة للمؤرخين العرب، العدد الثامن والعشرين، ١٩٨٦، ص ٩٥-٩٦.

(٤) إبن الدبيثي، المختصر المحتاج اليه، ج١٥، ص ٣٩٥؛ الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص ٨٧؛ العبر في خبر من غبر، ج٣، ص ٦٦.

(٥) أبـــي الفـــداء، المختصـــر فـــي اخبار البشر، ج٢، ص ١٤٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص ٥٤٣.

(٦) ابن الدبيثي، المختصر المحتاج اليه، ج١٥، ص ٣٩٥؛ الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص ٨١، العبر في خبر من غبر، ج٣، ص ٦٦.

الكرخـــي[1]، توفيـــت الشـــيخة الواعظة سنة (٤٦٠هـ/١٠٦٧م)، ودفنت إلى جانب إبن سمعون[2].

جـ. الماوردية:

الشـــيخة الصـــالحة والعـــابدة الماوردية عاشت في البصرة[3]، لم تذكر المصادر التاريخـــية عن اسمها أي معلومات، ولم نعثر على اية تسمية سوى الماوردية البصرية، كانـــت تجـــتمع بالنســـاء وتعظهن وتؤدبهن[4]. وذكرت عنها بعض الروايات أنها مكثت خمســـين ســـنة صائمة مع قيام الليل[5]. ولم تأكل الخبز ولا الرطب ولا التمر، أنما كانت تعتمد على الخبز، المأخوذ من حب الباقلاء وابتعدت في طعامها عن اللحوم فلا تأكل منها إلاّ القلـــيل، وكانت تأكل الزبيب والتين المجفف اليابس لا الرطب[6]. ذكرها غرس النعمة أبـــو هلال في تاريخه وقال: انها كثيرة الخير والبركة[7]. توفيت هذه العابدة في البصرة

(١) كحالة، اعلام النساء، ج١، ص ٣٤٣.

(٢) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٣، ص ١٠٧، صفوة الصفوة، ج٤، ص ٢٤٧؛ إبن تغري بردي، النجوم الزاهـــرة، ج٢، ص ٨٣. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٣، ص ٢٩٦؛ إبن كثير، البداية والنهاية، حج١٢، ص ١١٨؛ كحالة، أعلام النساء، ج٥، ص ١٣.

(٣) إبـــن الجـــوزي، المنـــتظم، ج١٦، ص ١٥٩، صفة الصفوة، ج٤، ص ٢٤٧، ؛ إبن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٨؛ كحالة، اعلام النساء، ج٥، ص ١٣.

(٤) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ١٥٩، صفة الصفوة، ج٤، ص ٤٧.

(٥) إبن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ١١٨، كحالة، أعلام النساءج٥، ص ١٣.

(٦) إبـــن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ١٥٩؛ صفة الصفوة، ج٤، ص ٤٧؛ إبن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ١١٨؛ إبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٩٨.

(٧) إبن الجوزي، المصدر السابق، ج١٦، ص ١٥٩، صفة الصفوة، ج٤، ص ٢٤٧؛ إبن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ١١٨، كحالة، أعلام النساء، ج٥، ص ١٣.

فـــي سنة (٤٦٦هـ/١٠٧٣م)[١]. وشهد جنازتها كثير من سكان القصر ودفنت عند قبور الصالحين[٢].

ج. فاطمة بنت الأقرع

لم تقتصر ترجمات المؤرخين على شهدة الكاتبة، وانما ترجمت للكاتبة والخطاطة فاطمة بنت الحسن بن علي المؤدب العطار البغدادي[٣]. المعروفة ببنت الأقرع[٤]، والتي تكنى أم الفضل صاحبة الخط الجيد[٥]. كانت تكتب على طريقة إبن البواب (ت٤٢٣هـ)، وقد كتب الناس عنها وتعلموا قواعد الخط منها[٦]. وقد أهلت لكتابة كتاب الهدنة "الوثائق السياســية" إلــى ملــك الروم من جهة الخلافة، وذلك لحسن خطها وضرب المثل بخطها وكتابــتها، ســافرت إلى بلاد الجبل إلى العميد أبي نصر الكندري[٧] الذي اعجب بخطها

(١) إبن الجوزي، صفة الصفوة، ج٤، ص ٤٧؛ نقلاً عن الصابئ، عيون التواريخ.

(٢) إبــن الجوزي، المصدر السابق، ج٤، ص ٤٧، إبن كثير، البداية والنهائية، ج١٢ن ص ١١٨، كحالة، أعلام النساء، ج٥، ص ١٣.

(٣) إبــن الجــوزي، المنــتظم، ج١٦، ص ٢٦٨، ٢٧٣؛ الحموي، معجم الأدباء، ج٥، ص ٢١٥٥؛ إبن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ١٦٣؛ شندب، الحضارة في بغداد، ص ٧٠.

(٤) إبن الجوزي، صفة الصفوة، ج١٦، ص٢٧٣؛ إبن الأثير، المصدر السابق، ج١٠، ص ١٦٣؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٢، ص ٣٤٢؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص ١٠٠، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٥، ص ٦٤؛ إبن العماد، شذرات الذهب، ج٣، ص ٣٦٥.

(٥) إبــن الجــوزي، المنتظم، ج١٦، ص ٢٦٨، ٢١٣؛ إبن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ١٦٣؛ إبن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٤٥، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٥، ص ٦٤، الذهبي، العبر في خبر من عبر، ج ١٢، ص ٣٤٢، اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص ١٠٠، إبن العماد، شذرات، ج٣، ص ٣٦٥.

(٦) إبــن الجــوزي، المنتظم، ج١٦، ص ٢٦٨، ٢٧٣؛ الحموي، معجم الأدباء، ج٥، ص ٢١٥٥؛ الذهبي، سير أعــلام النبلاء، ج١٨، ص ٤٨٠؛ العبر في خبر من غبر، ج٢، ص ٣٢٢؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص ١٠٠؛ إبن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٤٥؛ إبن العماد، شذرات الذهب، ج٣، ص ٣٦٥.

(٧) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ٢٦٨، ٢٧٣؛ الحموي، معجم الأدباء، ج٥، ص ٢١٥٥؛ الذهبي، ســير أعــلام النــبلاء، ج١٨، ص ٤٨٠؛ العبر في خبر من غبر، ج٢، ص ٣٢٢؛ اليافعي، مرآة الجــنان، ج٣، ص ١٠٠؛ إبن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٤٥؛ إبن العماد، شذرات الذهب، ج٣، ص ٣٦٥.

فمـــنحها الـــف ديـــنار على ورقة كتبتها له[١]. وكانت تكتب للفقراء على الرقاع حروفاً يبـــيعونها للأغنـــياء[٢] أي الرقى والتمائم. ومن أجل مساعدتهم، وكانت تحب الخير والبرّ والصـــدقات، وكانـــت تحفـــظ شـــيئاً كثـــيراً من أشعار العرب، ولها إطلاع في معرفة الأحـــداث[٣]. وبرعـــت كذلـــك في علوم الحديث من خلال ماروته وسمعته عن المشايخ والعلماء، فقد روت بنت الأقرع عن أبي عمر عبد الواحد عبد الله بن المهدي الفارسي[٤]. وقـــد روى عـــنها ايضاً أبو القاسم بن السمرقندي وهو إسماعيل بن أحمد بن عمر وأبو الـــبركات، عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد الأنماطي ببغداد، وأبو سعيد أحمد بن محمد ابـــن أحمـــد بـــن الحســـن الـــبغدادي الحافظ بأصبهان وغيرهم من العلماء والشيوخ[٥]. وذكـــر الحمـــوي انه وجد بخطها رقعة[٦]، وقد كان أبوها عطاراً من أهل بغداد[٧]. لذلك سميت ببنت العطار، وبعد الفترة التي قضتها الكاتبة بنت الأقرع، في سماع الشيوخ وفي رواية الأحاديث، وغيرها من العلوم، توفيت سنة ٤٨١٠هـ/١٠٧٨م[٨]. ودفنت في بغداد بباب إبرز[٩].

---

(١) إبن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ٢٦٨، ٢٧٣؛ الحموي، المصدر السابق، ج٥، ص ٢١٥٦؛ الذهبي، سير أعلام، ج١٨، ص ٤٨١، العبر في خبر من غبر، ج٢، ص ٣٤٢؛ اليافعي المصدر السابق،ج٣، ص ١٠٠.

(٢) الذهبي، سير أعلام، ج١٨، ص ٤٨١، اليافعي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٠٠.

(٣) العمري، الروضة الفيحاء في تواريخ النساء، ص ٢٨٤.

(٤) الحموي، معجم الأدباء، ج٥، ص ٢١٥٦؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٢، ص ٣٤، سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ٤٨٠؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص ١٠٠؛ إبن العماد، شذرات الذهب،ج٣، ص ٣٦٥

(٥) الحموي، معجم الأدباء، ج٥، ص ٢١٥٦؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٢، ص ٤٨٠.

(٦) معجم الأدباء، ج٥، ص ٢١٥٦.

(٧) النوايسة، مصلح عبد الحميد، نساء في الذاكرة، دار العكش، الأردن، ١٩٨٢، ص ١٠١-١٠٢.

(٨) إبـــن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ٢٦٨-٢٧٣؛ الحموي، معجم الأدباء، ج٥، ص ٢١٥٦. إبن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ١٦٣؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص ١٠٠؛ إبن كثير، البداية والنهاية، ج١٢؛ ص ١٤٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص ٤٨٠، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٥، ص ٦٤.

(٩) باب إبرز: احد ابواب دار الخلافة، انظر، المقدسي، خطط بغداد، ص ٤٧.

الخاتمة:

حاولت هذه الدراسة أن توضح دور المرأة في العصر العباسي الأخير، منذ بداية دخول السلاجقة إلى بغداد حتى سقوطها، في الفترة الممتدة (٤٤٧هـ-٦٥٦هـ/١٠٥٥م-١٢٥٨م)، وقد استهلت الدراسة مقدمة بالحديث عن أوضاع المرأة في العراق في العصر البويهي الممتد من (٣٣٤هـ-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م). وتضمن الحديث عن أحوال وأوضاع المرأة في هذه الفترة، وشملت الحياة العامة واليومية، بعض عادات وتقاليد المرأة، ومشاركتها في الأفرح والأحزان، ابتداءً من نساء القصر وانتهاءً بنساء العامة. والحديث عن نظرة المجتمع للمرأة الحرة والجارية، حيث قيّد المجتمع العراقي المرأة إلى حد ما وليس قيداً مطلقاً، وظل ينظر اليها نظرة شك وريبة. وتناولت الدراسة الزواج السياسي، وخلصنا إلى أن هدف الزواج في العصر البويهي والسلجوقي هو سيطرة أمراء بني بويه وسلاطين السلاجقة على الحكم فأردوا بهذا الزواج إنهاء سيطرة الخلافة وإبقائها اسمية. فضلاً عن هدف الخلفاء العباسيين الذين رأوا في السلاجقة المنقذ والحامي لهم من أي سيطرة خارجية وداخلية؟

بالإضافة إلى أن هدف الزواج عند السلاجقة من بنات العباسيين كان من أجل الوصول والحصول على شرف هذا الزواج، والإفتخار به أمام الملوك.

وتوصلت الدراسة كذلك إلى ان النساء منذ العصر الجاهلي، إهتمت بزينتها وجمالها، ومما زاد في ذلك، عندما اتخذ الرجال الجواري والسرايا، والحظايا، واصبحن الحرائر يشعرن بالغيرة؟ فضلاً عن الإهتمام بتصفيفات الشعر، والخضاب والعطور والطيب، والحُلي والجواهر، وأنواع الملابس الحريرية وغيرها. وفي مجال الحياة السياسية، فقد توصلت الدراسة إلى أن المرأة كان لها دور هام في الحياة السياسية منذ العصور الإسلامية الأولى. ومما هو جدير بالإشارة أن النساء في فترة الدراسة، لم يكن

لهن النفوذ الواسع في التدخل في الحكم والنفوذ، كما كان شأنهن في العصر العباسي الأول والثاني. اما الجواري والحظايا فقد لعبن دوراً هاماً في الحياة السياسية في هذه الفترة، فنلاحظ ان معظم أمهات الخلفاء العباسيين كنّ من الجواري، ويطلق عليهن "أم ولد". وقد ظهرت شخصيات من الجواري كان لهن تأثير بالغ في وصول بعض الخلفاء إلى دفة الحكم، وولاية العهد.

كما كانت بعض الجواري، يعددن المكائد والحيل للنيل من الخليفة، ليحل الخليفة محله في الحكم، فهناك تشابه ما فعلته "ام علي" جارية المستظهر، من اجل ولدها، ومحاولة قتله المستنجد بالاتفاق مع الجواري، ومحاولة تركان خاتون من قتل بركياروق ابن ملكشاه؟ وما قامت به زبيدة بنت ياقوتي "ضُرتها" بالحشد وبذل الأموال، فهنا تشابه ليست بالمكائد والحيل وغيرها من الطرق الأخرى. وتوصلت الدراسة إلى ان الخاتون زوجة ملكشاه، تميزت بشخصية تتصف بالدهاء والذكاء؟ وتمكنت بذلك من الوصول إلى اهدافها في بداية الأمر لكن بوفاتها سرعان ما تلاشى كل ماعملته.

وخلصت الدراسة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمرأة، أن المرأة عملت إلى جانب الرجل في الأعمال المهنية وغيرها، من اجل الدعم المادي والمعنوي. ولم تتخلَ المرأة عن مهمتها ودورها الأساسي في تربية وتنشئة الأطفال، ليصبحوا شباب المستقبل.

وعلى الرغم من هذا، حاول المجتمع العراقي، الحفاظ على المرأة، من خلال إبعادها عن الاختلاط مع الرجال في الطرق والممرات وعلى الشواطئ والأماكن العامة حتى لا تتعرض للكلام السيء أو الكلام الفاحش من قبل الرجال.

وعلى الرغم من القيود التي فرضت على المرأة، نخلص إلى ان المرأة العربية المسلمة سواء في العراق أو في جميع البلاد الإسلامية، استطاعت ان تحقق ذاتها. وذلك من خلال نجاحها في العلوم المختلفة، سواء في العلوم الدينية أو العلوم الأدبية، فنبغت في

الحديث والفقه والشعر والأدب والخط، واستطاع العلماء الحصول على إجازات من بعض العالمات. كذلك رحلت المرأة في طلب العلم وتنقلت بين بغداد، وأصفهان، وإيران، وغيرها من البلاد الإسلامية، وساهمت المرأة بدعم المحتاجين والفقراء، فضلاً عن تشييد المساجد والمدارس والزوايا والأربطة، للوعظ والإرشاد والتحدث بأمور الدين والدنيا. ولم تقتصر هذه المساهمات على زوجات الخلفاء والسلاطين، ورجالات الدولة، ولكن شاركت نساء العامة في الأعمال الخيرية.

وتوصلت الدراسة إلى ان الجواري في العصر العباسي الأخير أي في فترة الدراسة لم يكن لهن النصيب الوافر، كما كان لهن في العصر العباسي الأول والثاني، وذلك لأن بعض الرجال المتدينين وأهل الحسبة قاموا بكبح المنكرات ومراقبة المغنيات والجواري ونفي المفسدات، وتمكنوا من الحصول على المراسيم من قبل بعض خلفاء بني العباس بإبعاد المفسدات.

وأكدت الدراسة أن المرأة كانت دعامة أساسية في المجتمع العراقي في العصر العباسي، وان المرأة نالت التقدير والاحترام والمراتب العالية في العلوم الدينية والأدبية. وان حقوقها كانت محترمة، فالإسلام أعطى المرأة حقوقها كاملة منذ مئات السنين.

الخاتمة:

حاولت هذه الدراسة أن توضح دور المرأة في العصر العباسي الأخير، منذ بداية دخول السلاجقة إلى بغداد حتى سقوطها، في الفترة الممتدة (٤٤٧هـ-٦٥٦هـ/١٠٥٥م-١٢٥٨م)، وقد استهلت الدراسة مقدمة بالحديث عن أوضاع المرأة في العراق في العصر البويهي الممتد من (٣٣٤هـ-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م). وتضمن الحديث عن أحوال وأوضاع المرأة في هذه الفترة، وشملت الحياة العامة واليومية، بعض عادات وتقاليد المرأة، ومشاركتها في الأفرح والأحزان، ابتداءً من نساء القصر وانتهاءً بنساء العامة. والحديث عن نظرة المجتمع للمرأة الحرة والجارية، حيث قيّد المجتمع العراقي المرأة إلى حد ما وليس قيداً مطلقاً، وظل ينظر اليها نظرة شك وريبة. وتناولت الدراسة الزواج السياسي، وخلصنا إلى أن هدف الزواج في العصر البويهي والسلجوقي هو سيطرة أمراء بني بويه وسلاطين السلاجقة على الحكم فأردوا بهذا الزواج إنهاء سيطرة الخلافة وإبقائها اسمية. فضلاً عن هدف الخلفاء العباسيين الذين رأوا في السلاجقة المنقذ والحامي لهم من أي سيطرة خارجية وداخلية؟

بالإضافة إلى أن هدف الزواج عند السلاجقة من بنات العباسيين كان من أجل الوصول والحصول على شرف هذا الزواج، والإفتخار به أمام الملوك.

وتوصلت الدراسة كذلك إلى ان النساء منذ العصر الجاهلي، إهتمت بزينتها وجمالها، ومما زاد في ذلك، عندما اتخذ الرجال الجواري والسرايا، والحظايا، واصبحن الحرائر يشعرن بالغيرة؟ فضلاً عن الإهتمام بتصفيفات الشعر، والخضاب والعطور والطيب، والحُلي والجواهر، وأنواع الملابس الحريرية وغيرها. وفي مجال الحياة السياسية، فقد توصلت الدراسة إلى أن المرأة كان لها دور هام في الحياة السياسية منذ العصور الإسلامية الأولى. ومما هو جدير بالإشارة أن النساء في فترة الدراسة، لم يكن

لهن النفوذ الواسع في التدخل في الحكم والنفوذ، كما كان شأنهن في العصر العباسي الأول والثاني. اما الجواري والحظايا فقد لعبن دوراً هاماً في الحياة السياسية في هذه الفترة، فنلاحظ ان معظم أمهات الخلفاء العباسيين كنّ من الجواري، ويطلق عليهن "أم ولد". وقد ظهرت شخصيات من الجواري كان لهن تأثير بالغ في وصول بعض الخلفاء إلى دفة الحكم، وولاية العهد.

كما كانت بعض الجواري، يعددن المكائد والحيل للنيل من الخليفة، ليحل الخليفة محله في الحكم، فهناك تشابه ما فعلته "ام علي" جارية المستظهر، من اجل ولدها، ومحاولة قتله المستنجد بالاتفاق مع الجواري، ومحاولة تركان خاتون من قتل بركياروق ابن ملكشاه؟ وما قامت به زبيدة بنت ياقوتي "ضُرتها" بالحشد وبذل الأموال، فهنا تشابه ليست بالمكائد والحيل وغيرها من الطرق الأخرى. وتوصلت الدراسة إلى ان الخاتون زوجة ملكشاه، تميزت بشخصية تتصف بالدهاء والذكاء؟ وتمكنت بذلك من الوصول إلى اهدافها في بداية الأمر لكن بوفاتها سرعان ما تلاشى كل ماعملته.

وخلصت الدراسة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمرأة، أن المرأة عملت إلى جانب الرجل في الأعمال المهنية وغيرها، من اجل الدعم المادي والمعنوي. ولم تتخلَ المرأة عن مهمتها ودورها الأساسي في تربية وتنشئة الأطفال، ليصبحوا شباب المستقبل.

وعلى الرغم من هذا، حاول المجتمع العراقي، الحفاظ على المرأة، من خلال إبعادها عن الاختلاط مع الرجال في الطرق والممرات وعلى الشواطئ والأماكن العامة حتى لا تتعرض للكلام السيء أو الكلام الفاحش من قبل الرجال.

وعلى الرغم من القيود التي فرضت على المرأة، نخلص إلى ان المرأة العربية المسلمة سواء في العراق أو في جميع البلاد الإسلامية، استطاعت ان تحقق ذاتها. وذلك من خلال نجاحها في العلوم المختلفة، سواء في العلوم الدينية أو العلوم الأدبية، فنبغت في

الحديث والفقه والشعر والأدب والخط، واستطاع العلماء الحصول على إجازات من بعض العالمات. كذلك رحلت المرأة في طلب العلم وتنقلت بين بغداد، وأصفهان، وإيران، وغيرها من البلاد الإسلامية، وساهمت المرأة بدعم المحتاجين والفقراء، فضلاً عن تشييد المساجد والمدارس والزوايا والأربطة، للوعظ والإرشاد والتحدث بأمور الدين والدنيا. ولم تقتصر هذه المساهمات على زوجات الخلفاء والسلاطين، ورجالات الدولة، ولكن شاركت نساء العامة في الأعمال الخيرية.

وتوصلت الدراسة إلى ان الجواري في العصر العباسي الأخير أي في فترة الدراسة لم يكن لهن النصيب الوافر، كما كان لهن في العصر العباسي الأول والثاني، وذلك لأن بعض الرجال المتدينين وأهل الحسبة قاموا بكبح المنكرات ومراقبة المغنيات والجواري ونفي المفسدات، وتمكنوا من الحصول على المراسيم من قبل بعض خلفاء بني العباس بإبعاد المفسدات.

وأكدت الدراسة أن المرأة كانت دعامة أساسية في المجتمع العراقي في العصر العباسي، وان المرأة نالت التقدير والاحترام والمراتب العالية في العلوم الدينية والأدبية. وان حقوقها كانت محترمة، فالإسلام أعطى المرأة حقوقها كاملة منذ مئات السنين.

قائمة المصادر والمراجع

١. المصادر المخطوطة:

العماد الأصفهاني: محمد بن محمد الكاتب (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م). نصرة الفترة وعصرة القطرة، مخطوطة المكتبة الأهلية، باريس نسخة في مركز الوثائق، الجامعة الأردنية، شريط ميكروفيلم رقم (٢١٤٦)،.

٢. المصادر المطبوعة:

القرآن الكريم.

إبن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

ـــــــــ، الكامل في التاريخ ١٣ جزء، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.

ـــــــــ، اللباب في تهذيب الأنساب، جزءان، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠، (د، ط).

ـــــــــ، الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق: أحمد طليمات، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٣.

إبن الأخوة: محمد بن محمد القرشي (ت٧٢٩هـ/١٣٢٨م).

ـــــــــ، معالم القربة في أحكام الحسبة، مطبعة كمبرج، دار الفنون، (د.م)، ١٩٣٧م.

الإربلي: عبد الرحمن بن قنيتو (ت٧١٧هـ/١٣١٧م).

ـــــــــ، خلاصة الذهب المسبوك، ومختصر سير الملوك، تحقيق: مكي السيد جاسم، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٤، ط٢.

الأزدي: جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر الخزرجي (ت٦١٣هـ/١٢١٦م).

ـــــــــ، اخبار الدولة المنقطعة، تاريخ الدولة العباسية. تحقيق: عصام هزايمة، محمد طعاني، محمد محافظة، علي عبابنة، دار الكندي، الأردن، الجزء الثاني، ١٩٩٩.

الأزدي: محمد بن أحمد، عاش في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

ـــــــــ، حكاية أبو القاسم البغدادي، مطبعة كرل ونتر، هيدلبرج، ١٩٠٢م.

الأصفهاني: محمد بن محمد الكاتب، (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)
ـــــــــ، خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء فارس، تحقيق: محمد بهجت الأثري، خمسة أجزاء، المجتمع العلمي العراقي، ١٩٥٥.

الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ/٩٧٦م).
ـــــــــ، الأغاني، أربعة عشر من جزء، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٤م.

الأيوبي: محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه (ت ٦١٧هـ/١٢٢٠م).
ـــــــــ، مضمار الحقائق وسر الخلائق. تحقيق: حسن حبشي، عالم الكتب، القاهرة،١٩٦٨.

برد، بشار بن برد بن بهمن (ت ١٦٨هـ/٧٨٤م).
ـــــــــ، ديوان بشار بن برد، جمعه وشرحه، أحمد الطاهر بن عاشور، جزءان، الشركة التونسية، تونس، ١٩٧٦.

البغدادي: صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت٧٣٩هـ/١٣٧٤م).
ـــــــــ، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي البجاوي، جزءان، دار المعرفة، بيروت، ١٩٥٤.

إبن بسام المحتسب: عاش في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي.
ـــــــــ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، مطبعة دار المعارف، بغداد، ١٩٦٨م.

البنداري: الفتح بن علي بن محمد (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م).
ـــــــــ، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٨م، ط٢.

البيروني: أبو ريحان محمد بن أحمد (ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م).
ـــــــــ، الجماهر في معرفة الجواهر، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد.
ـــــــــ، الآثار الباقية عن القرون الخالية، اعتناء: س. إدوارد، سخاو، دائرة المعارف العثمانية، ١٩٢٣م.

البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م).
ـــــــــ، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ١٠ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤.

ـــــــــــ، المحاسن والمساوئ، تحقيق: محمد سويد، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٨.

التطيلي: بنيامين بن يونه التطيلي النباري الأندلسي (ت٥٦٩هـ/١١٧٣م).
ـــــــــــ، رحلة بنيامين التطيلي، تحقيق: عزراء حداد، المدرسة الوطنية، بغداد، ١٩٤٥.

إبن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م).
ـــــــــــ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تعليق: محمد حسين شمس الدين، ٥ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.

التنوخي: القاضي أبو علي المحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م).
ـــــــــــ، نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي، ٨ أجزاء، دار صادر، بيروت، ١٩٨٧.
ـــــــــــ، الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالجي، ٥ أجزاء، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م.

التوحيدي: أبو حيان علي بن محمد (٤١٤هـ/١٠٢٣م).
ـــــــــــ، الأمتاع والمؤانسة، صححه: محمد أمين، محمد الزين، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٠.
ـــــــــــ، الرسالة البغدادية، تحقيق: عبود الشالجي، منشورات الجمل، (د.م)، (د.ت).

الثعالبي: أبو منصور عبد الملك النيسابوري (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م).
ـــــــــــ، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد محمد قميحة. ٤ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.

الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م).
ـــــــــــ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨.
ـــــــــــ، الحيوان، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ثلاثة اجزاء، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، ١٩٤٥.
ـــــــــــ، المحاسن والأضداد، قدمه وشرحه: علي بو ملحم، دار مكتبة الهلال، بيروت، (د. ت).
ـــــــــــ، البخلاء، حققه: طه الجاحري، دار المعارف، مصر، ١٩٧٦م.

إبن جبير: أبو الحسن محمد بن أحمد الكتاني الأندلسي (ت٦١٤هـ/١٢١٧م).
ـــــــــــ، رحلة إبن جبير، مكتبة دار صادر، بيروت، ١٩٨٠، (د. ط).

إبن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م).
ـــــــــــ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر، عطا؛ ١٨ جزء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.
ـــــــــــ، صفة الصفوة، ٥ أجزاء، دار المعرفة للطباعة، بيروت، (د. ت)، (د. ط).
ـــــــــــ، ذم الهوى، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، (د. ن)، (د م)، ١٩٦٢.
ـــــــــــ، تلبيس أبليس، علقّ عليه: إدارة الطباعة الخيرية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠، ط٤.
ـــــــــــ، أخبار الحمقى والمغفلين، تحقيق: عزيزة فَوال، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤م.
ـــــــــــ، الأذكياء، تحقيق: لجنة أحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠ ، ط٤.
ـــــــــــ، أحكام النساء، تحقيق: علي بن يوسف المحمدي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٠.
ـــــــــــ، مشيخة إبن الجوزي، الشركة التونسية، تونس، ١٩٧٧.

إبن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م).
ـــــــــــ، جمهرة أنساب العرب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢، ط٥.

الحسيني: صدر الدين أبو الحسن علي بن ناصر (ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م).
ـــــــــــ، أخبار الدولة السلجوقية أو (زبدة التواريخ)، صححه: محمد إقبال، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٤.

الحسيني: محمد بن محمد بن عبد الله بن النظام (ت ٧٤٣هـ/١٣٤٣م).
ـــــــــــ، العراضة في الحكاية السلجوقية، تحقيق: عبد النعيم محمد حسنين، حسين أمين، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٧.

الحميري: محمد بن عبد المنعم (ت٩٢٢هـ/١٥١٦م).
ــــــــــ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، نشر مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠، ط٢.

إبن حوقل: أبو القاسم النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م).
ــــــــــ، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت)، (د. ط).

الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م).
ــــــــــ، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ١٤ جزء، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.
ــــــــــ، التطفيل وحكايات الطفيلين وأخبارهم، تحقيق: عبد الله عبد الرحيم عسيلان، دار المدني، جدة، ١٩٨٦.

إبن خلدون: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م).
ــــــــــ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٥ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.
ــــــــــ، مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، ط٤.

إبن خلكان: شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م).
ــــــــــ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ٨ أجزاء، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧.

الخوارزمي: محمد بن العباس أبو بكر (ت٣٣٨هـ/٩٤٩م).
ــــــــــ، رسائل الخوارزمي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٠م.

إبن الدبيثي: محمد بن سعيد إبن يحيى بن علي (ت ٦٣٧هـ/١٢٣٩م).
ــــــــــ، المختصر المحتاج اليه من تاريخ إبن الدبيثي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطار، الجزء الخامس عشر، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

إبن دحية: الحافظ أبو الخطاب عمر بن ابي علي حسن (ت٦٣٣هـ/١٢٣٥م).
ـــــــــــ، النبراس في تاريخ دولة بني العباس، صحّحه وعلّق عليه، عباس الغزاوي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٦م.

إبن دقماق: صارم الدين ابراهيم بن محمد بن أيدم العلائي (ت٨٠٩هـ/١٤٠٦م).
ـــــــــــ، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، جزءان، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥.

الذهبي: الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م).
ـــــــــــ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٩.
ـــــــــــ، ذيول العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول، ٤ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥.
ـــــــــــ، دول الإسلام، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، جزءان، دار احياء التراث الإسلامي، قطر، (د. ت).
ـــــــــــ، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد العرقسوسي، ٢٣ جزء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤.

الراوندي: محمد بن علي بن سليمان (ت٦٠١هـ/١٢٠٤م).
ـــــــــــ، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، نقله إلى العربية: ابراهيم الشواربي، وعبد النعيم حسين، فؤاد الصياد، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٠.

إبن رجب الحنبلي: عبد الرحمن بن أحمد (ت٧٩٥هـ/١٣٩٢م).
ـــــــــــ، ذيل طبقات الحنابلة، جزءان، دار المعرفة، بيروت، (د. ت)، (د. ط).

إبن الساعي: علي بن أنجب بن تاج الدين الخازن (ت٦٧٤هـ/١٢٧٥م).
ـــــــــــ، نساء الخلفاء المسمى جهات الآئمة الخلفاء من الحرائر والإماء، تحقيق: مصطفى جواد، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣، ط٣.
ـــــــــــ، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، تحقيق: مصطفى جواد، ٩ أجزاء، المطبعة السريانية الكاثوليكية، بغداد، ١٩٣٤ (د. ط).

سبط إبن الجوزي: المظفر يوسف بن قزأوغلي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م).
ـــــــــ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، الجزء الثامن، القسم الأول، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدن، ١٩٥٢.
ـــــــــ، مرآة الزمان (الحوادث الخاصة بتاريخ السلاجقة) (٤٤٨هـ-٤٨٠هـ)، عُني بنشره وراجعه وقابله بأصوله: علي سويم، مطبعة الجمعية التاريخية التركية، انقره، ١٩٦٨.

السبكي: تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن الكافي (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م).
ـــــــــ، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو. مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٦.

السمعاني: عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت ٥٦٢هـ/١١٦٧م).
ـــــــــ، الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي اليماني، ٨ اجزاء، (د.ن)، بيروت، ١٩٨٠ ، ط٣.
ـــــــــ، التحبير في المعجم الكبير، تحقيق: منير وسالم، جزءان (د. ت)، (د. م)،١٩٩٠.

إبن سيدة: أبو الحسن علي بن اسماعيل النموي الأندلسي (ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م).
ـــــــــ، المخصص، تحقيق: لجنة أحياء التراث العربي، أربعة أجزاء، دار الأفاق الجديدة، بيروت، (د. ت).

السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن ت (٩١١هـ/١٥٠٥م).
ـــــــــ، تاريخ الخلفاء، تحقيق: إبراهيم أبو الفضل، دار النهضة، مصر، ١٩٧٥.
ـــــــــ، المستظرف من أخبار الجواري، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٦.
ـــــــــ، نزهة الجلساء في أشعار النساء، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٨.

الشابستي: علي بن محمد (ت٣٨٨هـ/٩٩٨م).
ـــــــــ، الدّيارات، تحقيق: كوركيس عواد، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٦م.

أبو شامة: شهاب الدين عبد الرحمن أبي محمد المقدسي (ت٦٦٥هـ/١٢٦٦م).

الروضتين في اخبار الدولتين، تحقيق: إبراهيم الزيبق، ٥ أجزاء، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧.
ـــــــــ، الذيل من الروضتين، ترجمة: محمد زاهد الكوثري، دار الجيل، بيروت،١٩٦٧.

أبو شجاع: محمد بن الحسين الروذاوري (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م).
ـــــــــ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، عني بنشره السيد الباز العريني، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٤٦.

الشيرازي: المؤيد في الدين هبة الله بن قوس ٠ت٤٧٠هـ/١٠٧٧م).
ـــــــــ، سيرة المؤيد داعي الدعاة، تحقيق: عارف تامر، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر بيروت، ١٩٨٣.

الشريف المرتضي:
ـــــــــ، ديوان الشريف تحقيق: رشيد الدين الصفّار، المؤسسة الإسلامية، بيروت، ١٩٨٧، ج١، ط٢.

الصابئ: غرس النعمة أبو الحسن محمد بن ابراهيم بن هلال (ت٤٨٠هـ/١٠٨٧م).
ـــــــــ، الهفوات النادرة الجارية على السن المتحفظين والسقطات الأمنيعن الفارين الغافلين، تحقيق: صالح الأشقر، مطبعة المجتمع العلمي، (د. م)، ١٩٦٧.
ـــــــــ، عيون التواريخ، تحقيق: سميحة أبو الفضل، مكتبة الدراسات الطلابية، جامعة دمشق، ١٩٨٦-١٩٨٧.

الصابئ: الهلال أبو اسحاق بن المحسن (ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م).
ـــــــــ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار فراج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٨.
ـــــــــ، رسوم دار الخلافة، تحقيق: ميخائيل عواد، مطبعة المعاني، بغداد، ١٩٦٤.
ـــــــــ، المنتزع من كتاب التاجي، تحقيق: محمد حسين الزبيدي. وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٧٧م

الصاحب: اسماعيل بن عباد بن العباس، (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م).
ـــــــــ، رسائل الصاحب، قدمه وصححه: عبد الوهاب عزام، دار الفكر (د. م)،١٩٤٦م.

الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م).
ـــــــــــ، الوافي بالوفيات، ٢٤ جزء، محققون مختلفون:
ج٢، تحقيق: محمد بن ابراهيم بن عمر، حمد بن الحسين بن محمد، فرانز شتاينر، فيسبادون، ١٩٩٠ (ج٣+٤) باعتناء س، ديدر ينغ، فرانزن ١٩٧٤، ط٢، ج١٠، باعتناء محمد الحجيري، فرانز شتانير، فيسبادن، ١٩٨٤، ج١٦، اعتناء يوسف فان، س، ط٢، ج٧، اعتناء: احسان عباس، ١٩٩١، ط٣.

الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م).
ـــــــــــ، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ٧ أجزاء، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢م.

إبن الطقطقا: محمد بن علي طباطبا (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م).
ـــــــــــ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.

إبن عبدربه: أبو عمر أحمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م).
ـــــــــــ، العقد الفريد، شرحه وضبطه وصححه ورتب فهارسه: أحمد أمين، أحمد الزين وآخرون، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٥.

إبن العبري: جمال الدين بن هارون أبو الفرج الملطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م).
ـــــــــــ، تاريخ مختصر الدول، دار المسيرة، بيروت (د. ت).
ـــــــــــ، تاريخ الزمان، قدم له جان موريس نييه، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦.

إبن العماد الحنبلي: شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م).
ـــــــــــ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الأفاق الجديدة، بيروت (د. ت).

إبن العمراني: محمد بن علي بن محمد (ت٥٨٠هـ/١١٨٤م).
ـــــــــــ، الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، المعهد الهولندي للآثار المصرية والبحوث العربية، القاهرة، ١٩٧٣.

العمري: ياسين بن خير الله (ت١٢٣٢هـ/١٨١٦م)
ـــــــــــ، الروضة الفيحاء في تواريخ النساء، تحقيق: رجاء محمود السامرئي، الدار العربية للموسوعات، (د. ت)، (د. ط).

الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ/١١١١م).
ـــــــــــ، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٠.

الفارقي: أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق (ت٥٨٠هـ/١١٨٤م).
ـــــــــــ، تاريخ الفارقي أو الدولة المروانية، تحقيق: بدوي عوض، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٤، ط٢.

أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود إبن عمر بن شاهنشاه أيوب (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م).
ـــــــــــ، تاريخ أبو الفداء المختصر في اخبار البشر، تعليق: محمود أيوب، جزءان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٧.

أبن الفوطي: كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن تاج الدين الشيباني (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م).
ـــــــــــ، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، الجزء الرابع، تحقيق: مصطفى جواد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٢، (د. ط).
ـــــــــــ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابقة، دار الفكر الحديث، بيروت، ١٩٨٧.

القابسي: أبو الحسن محمد (ت٤٠٣هـ/١٠١٢م).
ـــــــــــ، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠.

القرماني: أبي العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي، (د. ت).
ـــــــــــ، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتب، بيروت، (د. ت)، (د. ط).
القلقشندي: أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م).
ـــــــــــ، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، علق عليه: شوقي أبو خليل، جزءان، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٧، ط٢.
إبن القلانسي: حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي (ت٥٥٥هـ/١١٦٠م).

ـــــــــــ، تاريخ دمشق المعروف بذيل تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، دار حسان، دمشق، ١٩٨٣، (د. ط).

القمي، عباس:
ـــــــــــ، الكنى والألقاب، جزءان، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٧٠، (د. ط).

إبن قيم الجوزية: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابي بكر الزرعي الدمشقي (ت٧٥١هـ/١٣٥٠م).
ـــــــــــ، أحكام أهل الذمة، تحقيق: صبحي الصالح، جزءان، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣، ط٣.
ـــــــــــ، اخبار النساء، تحقيق: نزار رضا، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤، (د. ط).

إبن الكازروني: ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م).
ـــــــــــ، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تحقيق: مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٠.

الكتبي: محمد بن شاكر (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م).
ـــــــــــ، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: احسان عباس، ٥ اجزاء، دار صادر. بيروت، (د. ت)، (د. ط).
ـــــــــــ، عيون التواريخ، تحقيق: فيصل السامر وعبد المنعم داوود، الجزء الثاني عشر، وزارة الإعلام، العراق، (د. ت).

إبن كثير: الإمام الحافظ المؤرخ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل إبن عمر القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م).
ـــــــــــ، البداية والنهاية، ١٤ جزء، دار الحديثة، القاهرة، ١٩٩٤.
ـــــــــــ، الباعث الحثيث في شرح واختصار علوم الحديث، دار التراث، القاهرة، ١٩٧٩، ط٣.

الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م).
ـــــــــــ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢.

المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م).
ـــــــــ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ٧ اجزاء، المكتبة المصرية، بيروت، (د. ت)، (د. ط).
ـــــــــ، التنبيه والإشراف، تحقيق: عبد الله الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، ١٩٣٧، (د. ط).

مسكويه: أحمد بن يحيى (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م).
ـــــــــ، تجارب الأمم، تحقيق: ه.ف. أمدروز، التمدن الصناعي، مصر، جزءان، ١٩١٤.
ـــــــــ، تهذيب الأخلاق، مطبعة والد عباس، (د. م)، ١٩٠٨.

المقدسي: شمس الدين أبو عبد الله (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م).
ـــــــــ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، اعتناء: أم جي، ديغوريه، بريل، لندن، ١٩٠٦.

المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م).
ـــــــــ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: حلمي محمد حلمي، ثلاثة اجزاء، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧١.

المكي: أبو طالب محمد بن علي (ت٣٨٦هـ/١٤٤١م).
ـــــــــ، قوت القلوب في معاملة المحبوب، المطبعة المصرية، القاهرة، ١٩٣٢، جزءان.

المنذري: زكي الدين أبو محمد بعد العظيم عدب القوي (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م).
ـــــــــ، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق: بشار عواد معروف، اربعة أجزاء، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨، ط٤.

إبن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأغريقي المصري (ت٧١١هـ/ ١٣١١ م).
ـــــــــ، لسان العرب، ١٥ جزء، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣.

إبن النجار: محب الدين محمد بن محمود بن الحسين البغدادي (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م).
ـــــــــ، ذيل تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عطا، منشورات علي بيضون، الجزء (٢١+ ٢٢)، بيروت، ١٩٩٧.

أبو نواس: الحسن بن هانئ بن عبد الأول (ت١٩٧هـ/٨١٢م).
ــــــــــــ، ديوان ابو نواس شرحه علي العسيلي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (د. ت).

النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م).
ــــــــــــ، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢٨ جزء، جزء ٢٣، تحقيق: أحمد كمال زكي، ١٩٨٠، ج٢٦، تحقيق: محمد فوزي الفتيل، ١٩٨٥، ج٢٧، تحقيق: سعيد عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ت).

إبن الهبارية: نظام الدين محمد بن محمد بن صالح العباسي الهاشمي (ت٥٠٤هـ/١١١٠م).
ــــــــــــ، شعر إبن الهبارية، جمعه وحققه، محمد فائز الطرابيشي. تقديم محمد حموية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٧.

الهمذاني: محمد عبد الملك (ت ٥٢١هـ/١١٢٧م).
ــــــــــــ، تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: إبراهيم أبو الفضل، دار المعارف، مصر، ١٩٧٧، (د. ط).

الهمذاني: أبو الفضل بديع الزمان (ت٣٩٨هـ/١٠٠٧م).
ــــــــــــ، مقامات الهمذاني، بقلم مارون عبود، دار المعارف، مصر، ١٩٧١، ط٣.

أبن الوردي: زين الدين عمر بن مظفر (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م).
ــــــــــــ، تاريخ إبن الوردي، جزءان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦.

الوشاء: محمد بن اسحق أبو الطيب (ت٣٢٥هـ/٩٣٦م).
ــــــــــــ، الموشى أو الظرف والظرفاء، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٣.

اليافعي: عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م).

ــــــــــ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ثلا أجزاء منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية (د. م)، ١٩٩٧.

ياقوت الحموي: شهاب الدين ابو عبد الله الحموي الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م).

ــــــــــ، معجم البلدان، ٥ مجلدات، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥.

ــــــــــ، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، ٧ اجزاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣.

اليعقوبي: محمد إبن يعقوب (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م).

ــــــــــ، مشاكلة الناس لزمانهم، تحقيق: وليم فلورد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٦٢.

المراجع العربية الحديثة:

أحمد، رمضان أحمد، حضارة الدولة العباسية، الجهاز المركزي للكتب الجامعيةن (د. م)، ١٩٧٨م.

الأطرقجي، واجدة مجيد عبد الله، المرأة في أدب العصر العباسي، دار الرشيد، (د. ن)، العراق، ١٩٨١م.

أمين، حسين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، منشورات المكتبة الأهلية، بغداد، ١٩٦٥م.

سابق، السيد، فقه السنة، دار الفكر، بيروت، (د. ت).

الباشا، حسن، الألقاب الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٨م.

بلال، ثناء عبد الرحمن، الملابس في العصرين القبطي والإسلامي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٢م.

بيهم، محمد جميل، المرآة في حضارة العرب، دار النشر للجامعيين، (د. م)ن ١٩٦٢م.

التنير، سليم، شاعرات من النساء، دار الكتاب العربي، دمشق، ١٩٨٨م.

التونجي، معجم أعلام النساء، دار العلم للملايين، (د.م)، ١٩٧٢م.

البقلي، محمد قنديل، مصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٨٢م.

الجبوري، يحيى، الملابس العربية في الشعر الجاهلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٩م.

الجميلي، عبدالله رشيد، إمارة الموصل في العصر السلجنوقي، مكتبة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٠.

جواد، مصطفى، سيدات البلاط العباسي، دار الفكر، بيروت، ١٩٥٠.

حسنين، عبد النعيم محمد، سلاجقة ايران والعراق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.

خازن، عبود، نساء شاعرات في الجاهلية حتى نهاية القرن العشرين، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ٢٠٠٠م.

خريسات، محمد عبد القادر، المرأة والمشاركة السياسية في ظل الدولة الإسلامية حتى سقوط بغداد، الجامعة الأردنية، الأردن، ١٩٩٠م.

الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م.

الخن، مصطفى، الفقه المنهجي، دار القلم، دمشق، (د. ت).

دائرة المعارف الإسلامية، مجلد (١) نقلها إلى العربية، ابراهيم زكي خورشيد، ١٩٣٣.
ج٢+٣+٤+٥+١١+١٣+١٤+١٥، انتشارات جهان، تمران، بوذ حميري.
مج (٦+٧)، مراجعة من قبل وزارة المعارف العمومية، محمد أحمد جاد المولى (د. م) (د. ن). (د. ت).
مج ٩: اعداد وتحرير: ابراهيم زكي خورشيد، مطبعة الشب، القاهرة، (د. ت).
مج ١٠: مراجعة: محمد مهدي علامة.
مج ١٢: اعداد: ابراهيم زكي خورشيد، مطبعة الشب، القاهرة، (د. ت).

الدوري، عبد العزيز، دراسات في العصور العباسية المتاخرة، بغداد، ١٩٤٥م.

رؤوف، عبد السلام، إسهامات نسائية في حركة إنشاء المدارس في العراق، مركز إحياء التراث العلمي العربية، جامعة بغداد، ١٩٨٨م.

رشدي، صبحية رشيد، الملابس المصرية وتطورها في العقود الإسلامية، مؤسسة المعاهد الفنية، القاهرة، ١٩٨٠م.

الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد، تاج العروس، دار ليبيا، بنغازي، ١٩٦٦م.

الزركلي، خير الدين، الأعلام، (قاموس تراجم)، (د. ن)، (د. م)، ١٩٦٩م، ط٣.

زكارّ، سهيل، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، دار القلم، بيروت، ١٩٧٢م.

زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، تعليق: حسين مؤنس، ٥ اجزاء، دار الهلال، القاهرة، (د. ت).

زيدان عبد الكريم، مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٩، ط٦.

سعد، فهمي عبد الرزاق، العامة في بغداد في القرن الثالث والرابع للهجرة، دار المنتخب العربي، بيروت، ١٩٨٣م.

شاكر، مصطفى، دولة بني العباس، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٣م، جزءان.

شلبي، أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٨م.

شندب، محمد حسين، الحضارة في بغداد (٤٦٧هـ-٥١٢هـ)، دار النفائس، بغداد، (د. ت).

ضيف، شوقي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، مصر، (د. ت)، (د. ط).

العاملي، زينب فواز، الدرّ المنثور في طبقات ربات الخدور، دار المعرفة، بيروت، ١٩٠٢م.

عباس، صالح مهدي، أثر المرأة البغدادية في الحركة العلمية، مركز إحياء التراث العلمي، بغداد، ١٩٨٨م.

العبيدي، صلاح حسين، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي الثاني، دار الرشيد، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠م.

عسيري، مريزن سعيد مريزن، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، مكتبة الطالب الجامعي، ام القرى، ١٩٨٧م.

عكاشة، ثروت، فن الواسطي من خلال مقامات الحريري، دار المعارف، مصر، ١٩٧٤م.

العلي، زكية، التنزيق والحلي عند المرأة في العصر العباسي، منشورات الإعلام، الجمهورية العراقية، بغداد، ١٩٧٦م.

علي، وفاء محمد، الزواج السياسي في عهد الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٨م.

عيسى بيك، أحمد، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، (د. ن)، بيروت، ١٩٨١، ط٢.

غوانمة، يوسف حسن درويش، القدس الشريف، دار الفكر، عمان، ٢٠٠٢م.

ـــــــــــ، نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، دار الحياة للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٢م.

فريج، سهام عبد الوهاب، الجواري في الشعر في العصر العباسي الأول، ربيعان للنشر، (د. م)، ١٩٨١م.

فهد، محمد بدري، العامة في بغداد في القرن الخامس الهجري، مطبعة الإرشاد، (د. ن)، بغداد، ١٩٦٧م.

الفيروزآبادي، مجد الدين يعقوب الشيرازي، القاموس المحيط، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٥٢م.

القاسمي، محمد سعيد جمال، قاموس الصناعات الشامية، تحقيق: ظافر القاسمي، دار طلاّس، دمشق، ١٩٨٨م.

قبيسي، بشرى، المرأة في التاريخ، دار أمواج للنشر، بيروت، ١٩٩٥م.

كاهن، كلود، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ترجمة: بدر الدين القاسم، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٧٧.

الكبيسي، حمدان عبد المجيد، أسواق بغداد في العصر البهويهي، وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، ١٩٧٩م.

كحالة، المرأة في عالمي العرب والإسلام، جزءان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٨.

ـــــــــــ، أعلام النساء، مؤسسة الرسالة، ٥ اجزاء، بيروت، ١٩٨٢م.

ليسز، يعقوب، خطط بغداد في القرون العباسية الأولى، ترجمة صالح العلي، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٤.

المرنيسي، فاطمة، السلطانات المنسيات، ترجمة: فاطمة الزهراء، أزرديل، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٠.

معروف، عالمات بغداديات في العصر العباسي، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٧م.

معروف، ناجي، تاريخ علماء المستنصرية، مطبوعات الشعب، بغداد، (د. ت)، ط٣.

مقدسي، جورج، خطط بغداد في القرن الخامس الهجري، ترجمة: صالح أحمد العلي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٤م.

المنجد، صلاح الدين، الظرفاء والشحاذون في بغداد، مطبعة الرسالة، بيروت.

النوايسة، مصلح عبد الحميد، نساء في الذاكرة، دار العكش، الأردن، ١٩٨٢م.

المراجع المعربة:

إقبال، عباس،
الوزارة في عهد السلاجقة، ترجمة: أحمد كمال الدين حلمي، جامعة الكويت، الكويت، ١٩٨٤م.

دوزي، رينهارت.
تكملة المعاجم العربية (ج١+ج٩)، ترجمة محمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة والفنون العربي، ١٩٧٩، (ج١٠+ج١١)، ترجمة: جمال الخياط، ٢٠٠٠م.

الدوريات:

الحكيم، حسن عيسى، العالمة شهدة ورواياتها (تواريخ النساء)، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة للإتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العدد الثامن والعشرون، ١٩٨٦م.

الراضي، فاطمة حمزة، الظرف البغدادي، مجلة المورد، دار الحرية، بغداد، المجلد الثامن، العدد الرابع، ١٩٧٩.

مليحة، رحمة الله، صور من الحياة الاجتماعية في المجتمع العباسي، المجلة التاريخية المصرية، الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة، المجلد السابع عشر، (دع)، ١٩٧٠.

الرسائل الجامعية:

عقلة، عصام مصطفى عبد الهادي، رسائل أمين الدولة إين الموصلايا، دراسة وتحقيق، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، ١٩٩٧م.

المراجع الأجنبية:

Goitein, A Mediterranean socity, cd, 6. Los Anglos, London, 1978, vol. 2.

Klausar. Carla. L., the Seljuk. Vezirate a study of civil, administration. (1055-1194) Distrbuted for the Center for center for middle eastern stuatie of Harvard university, 1973.

Levey, Ruben, Baghdad Chronicle, Cambridge, university, press, 1929.

Lewis, Bernard, Islam from the phrophet muhmmad to the capture of Constantinople's, London, 1974, V.2.

Muir, W, the caliphate its Rise, Decline and fall, London. 1924.

Rice, Tamarra, Talbot. The seljuks in Asia minor, London, 1961.

Waddy, Charise, women in the Muslim History, London, newyourk, 1980.

William lane, Edward. Arabian Society in the Middle Ages, New Jersey, London, 1987.